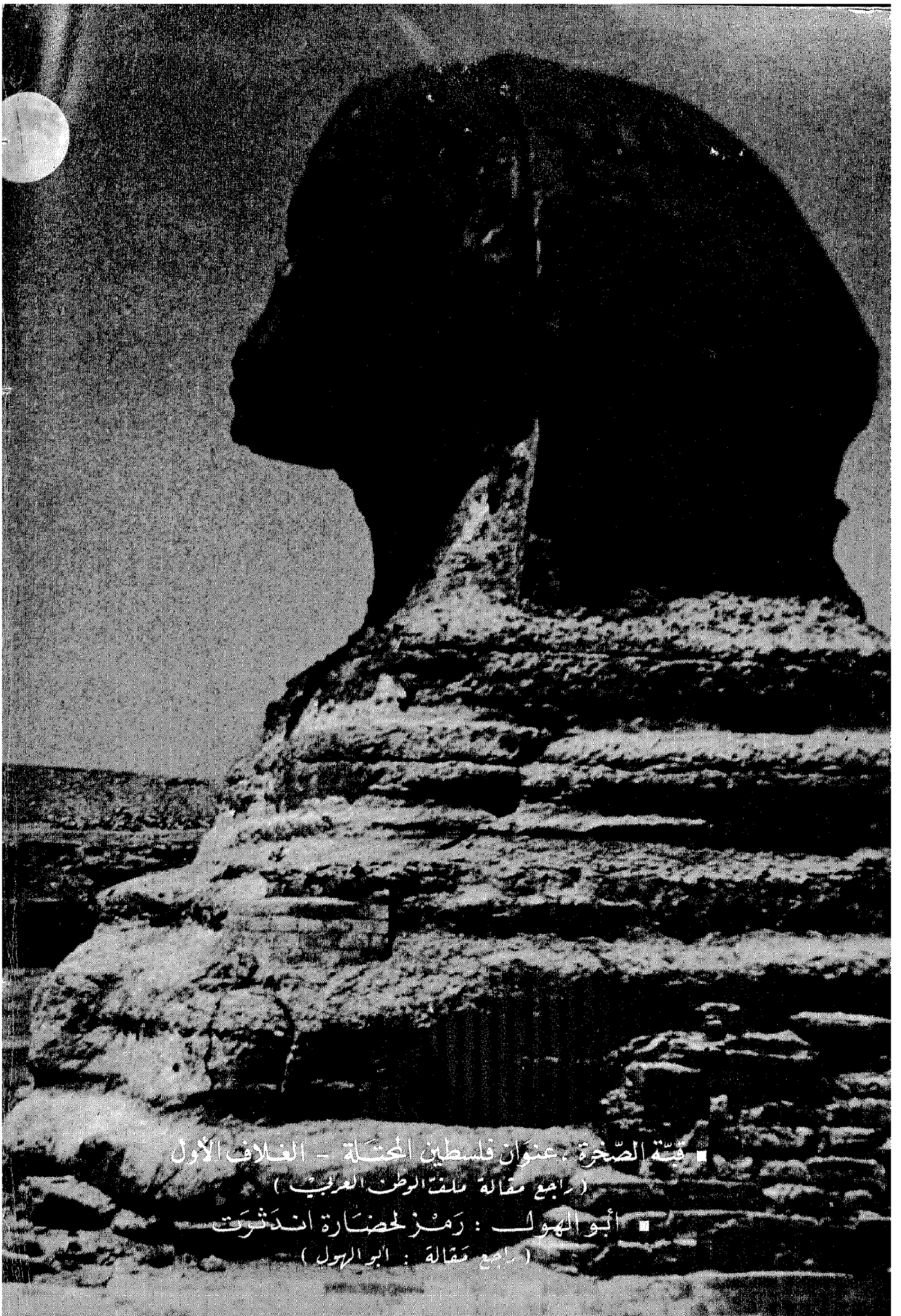
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد الحادي عشر - أيلول "سبتمبر" ١٩٧٩ - الموافق شوال ١٣٩٩



- مؤتمر باندونغ : التجمع الأول للدول الآسيوية - الافريقية
- الصهيونية من فكرة خرافية الى دولة توسعية واطماعها في لبنان
- تاريخ اصول الادارة في الاسلام
- من أخبار المسرح الكوميدي في مصر : نجيب الريحاني
- أبو الهول في المعتقدات الشعبية المصرية القديمة
- لماذا أبعدت فرنسا أمين الريحاني ؟
- إغتيال ابراهام لنكولن : هكذا حدث وهكذا تمت لفلفته !



■ قبّة الصّخرة . عنوان فلسطين المحتلة - الغلاف الأول
(راجع مقالة ملف الوطن العربي)

■ أبو الهول : رَمْزُ لحضارة اندَثرت
(راجع مَقالة : ابو الهول)

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الأولى
العدد الحادي عشر
أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩
شوال ١٣٩٩ هـ

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ - بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل - شقة ١١
شارع السادات - تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإعلانات
تمام : الشركة العربية لإنماء الإعلان
ص.ب : ١١/٦٨٨ - بيروت ، لبنان

الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.

التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	المغرب : ٥ درهم

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

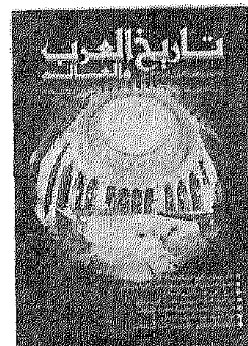
EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
No. 11. September, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط.

الموضوع — الصفحة



راجع مقالة الآثار في الاراضي العربية المحتلة ص ٤٢.

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة: ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.

● المقالات والدراسات التي تنشَر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تنشر.

مؤتمر باندونغ



السفير الدكتور
حليم سعيد أبو عز الدين

● آسيا وافريقيا : هذا العالم الضخم من الشعوب والحضارات ، من المغول والهنود والعرب والزنوج وسائر الأمم الشرقية ، وتلك البقاع الشاسعة الممتدة من القطب إلى القطب ، عبر الصحاري والسهول ، والجبال والوديان ، والبحار والمحيطات.

آسيا وأفريقيا كانت غريبتين ، في العصور الحديثة عن شعوبها ، أكثر مما كانتا غريبتين عن العالم.

فالاستقطاب الاستعماري حوَّل اتجاه هاتين القارتين نحو اوروبا فأغفلت شعوبها بعضها البعض ، وركزت صلاتها ومعرفتها بالأمم الأوروبية المستعمرة ، وتجاوزت جاراتها الراسفة مثلها في القيود الاستعمارية .

تلك الأمم والشعوب العربية كانت كلها تتطلع غرباً أو شمالاً باتجاه اوروبا، بنظرات متوازية ما كان لها أن تلتقي.

حدث كل ذلك بعد أن كانت هذه الشعوب قد أنشأت فيما بينها، وفي القرون الغابرة وحتى في القرون الوسطى، علاقات ودية مميزة، خاصة على الصعيدين الثقافي والتجاري. وفي الحديث الشريف «اطلبوا العلم ولو في الصين».

ونحن نذكر، ولا شك، كم قاسينا من شبه الانفصام الذي أوقعه الاستعمار بين مشرق العالم العربي ومغربه.

لذلك لم يكن غريباً أن تهفو الشعوب الآسيوية والافريقية المتحررة إلى اعادة اللحمة إلى علاقاتها التاريخية. فهي بمجملها تشكو من آلام مشتركة، وترنو إلى آمال متقاربة. وقد أحسن أمير الشعراء أحمد شوقي في وصف تلك العلاقات في قوله: «ولكن كلنا في الهم شرق».

عودة بالذاكرة إلى الخطوات الأولى: موضوع الهند الصينية

أقول ذلك، وأنا استعيد من ذاكرتي وفي أوراقي تلك الأحداث التي وقعت عندما قامت الحركة الوطنية الأندونيسية تطالب بالاستقلال لما كان يدعي في ذلك الحين «جزر الهند الشرقية الهولندية» وذلك عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧. وكنت وقتها في عداد ممثلي لبنان في جامعة الدول العربية عندما تبنت الجامعة ثورة الشعب الأندونيسي وساندته في كافة المحافل الدولية حتى نال استقلاله.

كان استقلال الدول الاسيوية، خاصة في جنوبي شرقي آسيا، وبعض الدول الأفريقية، انطلاقاً للعمل المشترك من أجل تعاون الدول الآسيوية والافريقية على ما فيه خير كل منها وخيرها جميعها. فتضافرت الجهود والمساعي، في العديد منها، للدعوة إلى مؤتمر تشترك فيه دول هاتين القارتين بوضع قواعد تعاملها وتعاونها المستقبليين.

فتقدمت حكومة اندونيسيا، وعلى رأسها السيد علي ساسترو حميد جوجو في ١٩٥٣/٨/٢٥ ببيانها الوزاري إلى البرلمان الأندونيسي الذي جاء فيه:

«وحيث اننا مقتنعون بأن التعاون الوثيق بين البلدان الآسيوية والافريقية يدعم الجهود العاملة من أجل تحقيق السلام العالمي الدائم، فاننا نعتبر أن التعاون بين هذه البلدان هو ضروري جداً.

كما أنه، وبالاضافة إلى ذلك، يتوافق وبنود شرعة الأمم المتحدة الخاصة بالتنظيمات الاقليمية. ناهيكم عما تعتنقه هذه البلدان من مبادئ واحدة في العديد من الشؤون الدولية، ما يهيئ لها أرضية مشتركة لاقامة تكتل خاص. واننا سنواصل مساعينا في هذا السبيل».

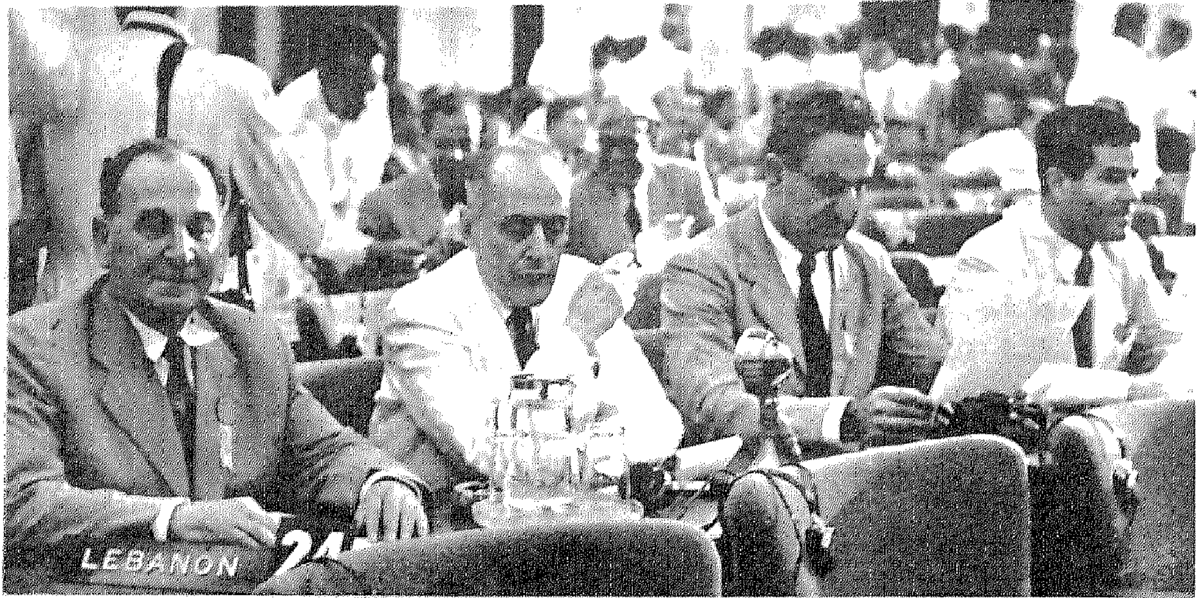
وفي اوائل عام ١٩٥٤ اقترح السير جون كوتيلا والا رئيس وزراء سيلان (المعروفة، الآن باسم سري لانكا) عقد اجتماع تمهيدي لهذه الغاية ودعى السير رؤساء حكومات الهند وباكستان وأندونيسيا وبورما.

ومما أكد على ضرورة عقد ذلك الاجتماع تفاقم الوضعين السياسي والعسكري في الهند الصينية في ذلك الحين، مع ما كان يمكن أن تؤدي اليه الحال في الهند الصينية من اضطراب يمس منطقة جنوبي شرقي آسيا كلها، وفي طليعتها الدول المذكورة آنفاً.

وقد وافق الجميع على الدعوة، واجتمع رؤساء الحكومات الخمسة في كولومبو عاصمة سيلان بين ١٩٥٤/٤/٢٨ و ١٩٥٤/٥/٢. ووافق اجتماع رؤساء الوزراء الاسيويين الخمسة في كولومبو اجتماع مؤتمر جنيف لحل مشكلة الهند الصينية.

وأول ما قرره الرؤساء الخمسة كان في موضوع الهند الصينية: فقد طلبوا أن تعلن فرنسا (الدولة المحتلة في ذلك الحين) عزمها الذي لا رجوع عنه على منح الاستقلال لشعوب الهند الصينية. واقترحوا اجراء مفاوضات مباشرة بين الفرقاء واصحاب العلاقة، كما تمنوا على الأمم المتحدة أن تبذل وساطتها في هذا السبيل.

وتناول الرؤساء الآسيويون الخمسة موضوعهم الرئيسي وهو: «التعاون الآسيوي - الافريقي» واتخذوا



اعضاء الوفد اللبناني ويظهر السفير الدكتور حليم سعيد أبو عز الدين الأول من اليمين.

بشأنه في بيانهم الختامي الصادر في ١٩٥٤/٥/٢، المقررات المذكورة بايجاز فيما يلي:

مقررات المؤتمر التمهيدي في كولومبو (٤/٢٨ حتى ١٩٥٤/٥/٢):

١ - ادانة الاستعمار كعدوان على الحقوق الاساسية لبني البشر.

٢ - تأييد مطالب تونس والمغرب في الاستقلال والعمل من أجل الحصول على الاعتراف بذلك الاستقلال.

٣ - الاهتمام العميق بقضية اللاجئين العرب من فلسطين، والاعراب عن الرغبة في التوصل إلى حل عادل وسريع للقضية الفلسطينية.

٤ - تأكيد الثقة بالديموقراطية.

٥ - احترام استقلال الغير، وعدم التدخل في شؤونه الداخلية، وبالتالي رفض تدخل الغير في شؤونهم.

٦ - استنكار انتاج القنبلة الهيدروجينية وسائر وسائل الدمار الجماعي.

٧ - وجوب تمثيل جمهورية الصين الشعبية في الأمم المتحدة.

٨ - التعاون الاقتصادي العالمي والمساعدة المتبادلة.

٩ - الموافقة على اقتراح رئيس وزراء أندونيسيا بالدعوة إلى مؤتمر آسيوي - افريقي، وتكليف الرئيس الأندونيسي درس امكانية الدعوة لهذا المؤتمر.

وبالفعل، فقد قام الرئيس الأندونيسي بمهمته، وزار كلاً من الهند وبورما لهذه الغاية، وبالتالي دعا الرئيس علي ساسترو حميد جوجو إلى اجتماع يعقد في بوغور، في أندونيسيا ويشترك فيه كل من رؤساء الحكومات الأربعة الآخرين وهم:

البانديت جواهرلال نهرو رئيس حكومة الهند السيد محمد علي رئيس حكومة الباكستان. أونو رئيس حكومة بورما.

سيرجون كوتيلا والان رئيس حكومة سيلان.

مقررات المؤتمر الاعدادي في بوغور (أندونيسيا) (٢٨ - ١٩٥٤/١٢/٣١).

اتفق رؤساء الحكومات الآسيوية الخمسة في بورغو على الدعوة إلى مؤتمر آسيوي - أفريقي يعقد في نيسان سنة ١٩٥٥ في باندونغ في أندونيسيا، ويستهدف الغايات التالية:

١ - اشاعة المودة والتعاون بين الأمم في آسيا وأفريقيا، سير وتوثيق مصالحها المتبادلة والمشتركة واقامة وتكريس الصداقة وعلاقات حسن الجوار بينها.

٢ - درس الشؤون والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الدول المشتركة.

٣ - بحث القضايا ذات الاهمية للشعوب الآسيوية والافريقية، كقضايا السيادة الوطنية، والعنصرية والاستعمار.

٤ - استعراض موقف آسيا وأفريقيا وشعوبهما في عالم اليوم، وما يمكنها أن تساهم به في تحقيق السلام والتعاون العالميين.

٥ - تتولى حكومة أندونيسيا، نيابة عن الأعضاء الخمسة الداعين، اجراء الترتيبات اللازمة لعقد المؤتمر في باندونغ، وتقام، لهذه الغاية، امانة عامة للمؤتمر في أندونيسيا تتمثل فيها الدول الخمسة الداعية.

٦ – قرر رؤساء الحكومات الداعية الخمسة أن يكون للمؤتمر قاعدة جغرافية عريضة ، وبأن تدعى اليه كل البلدان ، في آسيا وافريقيا ، التي تتمتع بحكومات مستقلة .

٧ – وبتعديل بسيط للقاعدة المذكورة آنفاً ، قرر الرؤساء الخمسة ، دعوة البلدان التالية للمشاركة في اعمال المؤتمر :

١ – افغانستان
٢ – كمبوديا
٣ – اتحاد أفريقيا الوسطى
٤ – الصين الشعبية
٥ – مصر
٦ – اثيوبيا
٧ – شاطئ الذهب (غانا)
٨ – ايران
٩ – العراق
١٠ – اليابان
١١ – الأردن
١٢ – لاوس
١٣ – لبنان
١٤ – ليبيريا
١٥ – ليبيا
١٦ – نيبال
١٧ – الفلبين
١٨ – المملكة العربية السعودية
١٩ – السودان
٢٠ – سوريا
٢١ – تايلاند
٢٢ – فيتنام الشمالية
٢٣ – فيتنام الجنوبية
٢٥ – اليمن

فيكون مجموع الدول المشتركة في المؤتمر بين داعية (٥) ومدعوة (٢٥) ثلاثين دولة .

٨ – يكون تمثيل الدول في المؤتمر على المستوى الوزاري . ومن المستحسن أن تتمثل كل دولة مدعوة برئيس وزرائها أو وزير خارجيتها . بالاضافة إلى سائر الأعضاء .

٩ – المؤتمر يقرر اعماله . كما يقرر الاجراءات المتبعة .

١٠ – يود رؤساء الحكومات الخمسة الداعية أن يشيروا إلى أن قبول الدعوة من قبل أية دولة معينة لا يعني بأية حال تعديلاً في موقفها من أية دولة أخرى معينة . فقبول الدعوة يعني فقط أن الدولة القابلة هي على توافق عام مع أهداف المؤتمر .

وفكر الرؤساء الخمسة بالقاعدة العامة القائمة على أن شكل الحكم وطرق الحياة السائدة في بلد ما لا يمكنها أن تكون محل انتقاد أو تدخل من بلد آخر.



جمال عبد الناصر يستمع إلى كلمات الوفود ويبدو إلى جانبه محمود فوزي ووراءه علي صبري.

فالرأي الذي يبديه في المؤتمر أحد الأعضاء المشتركين لا يمكنه الزام الآخرين إلا اذا قبلوه . والهدف الرئيسي للمؤتمر هو أن تتعرف البلدان المشتركة فيه على وجهات نظر سائر البلدان المشتركة . ويأمل الرؤساء الخمسة في أن يكون هذا التوضيح مدعاة لقبول الجميع للدعوة .

١١ – يود الرؤساء الخمسة أن يذكروا بأنهم ، في دعوتهم لهذا المؤتمر ، لم يكونوا راغبين في التفرد بتقرير العضوية . كما أنهم لم يستهدفوا أن يكتل الأعضاء أنفسهم في مجموعة أقليمية .

هذه هي الأهداف الرئيسية التي اقترحها رؤساء الحكومات الآسيوية الخمسة لمؤتمر باندونغ.

مؤتمر باندونغ
(١٨ - ١٩٥٥/٤/٢٤)

عقدت الجلسة الأولى للمؤتمر الآسيوي - الافريقي في باندونغ صباح يوم ١٨ - ٤ - ١٩٥٥ وقد رأسها



الدكتور أحمد سوكارنو رئيس جمهورية الدولة المضيفة، اندونيسيا، وافتتحها بخطاب طويل أشاد فيه بأهمية ذلك التجمع الهائل.

واثر انتهاء الرئيس سوكارنو من القاء كلمته، اقترح الرئيس جمال عبد الناصر، وكان في ذلك الوقت رئيساً لمجلس قيادة الثورة في مصر ورئيساً لمجلس الوزراء، اقترح تسمية رئيس الحكومة الاندونيسية المضيفة رئيس الوفد الاندونيسي، السيد علي ساسترو حميد جوجو لرئاسة المؤتمر. وبادر شوان لاي، رئيس حكومة الصين الشعبية إلى التثنية على هذا الاقتراح، الذي اقر بالتوافق وبالاجماع.

لقد أتيح لي أن أشارك في تمثيل لبنان في هذا المؤتمر كعضو في الوفد اللبناني. ومن حق التاريخ عليّ ومن حق القارئ أيضاً، ان اجلو بعض الحقائق عن هذا المؤتمر، وان أتناول الجو الذي خيم عليه، واذكر بعض الوفود العربية الهامة، وبعض ما كان يجري في الكواليس خلال انعقاد هذا المؤتمر، الذي استغرق حوالي الأسبوع.

كان الوفد اللبناني لمؤتمر باندونغ برئاسة الرئيس سامي الصلح رئيس الوزراء، وعضوية الرئيس ألفرد نقاش وزير الخارجية والمغتربين، والدكتور شارل مالك سفير لبنان في واشنطن، والدكتور حليم أبو عز الدين، المستشار الديبلوماسي لرئيس الوزراء والمدير العام لوزارة الاعلام، والدكتور كريم عزقول مدير شؤون الأمم المتحدة والمؤتمرات الدولية في وزارة الخارجية والمغتربين.

ورأس الوفد المصري الرئيس جمال عبد الناصر ومن أعضائه الدكتور محمود فوزي، والصاغ صلاح سالم.

ورأس الوفد السوري خالد العظم ومن أعضائه السادة صلاح الدين البيطار وأحمد الشقيري والدكتور أديب الداوودي - ورأس الوفد السعودي الأمير فيصل سعود (الملك فيصل فيما بعد) ورأس الوفد العراقي الدكتور فاضل الجمالي، ورأس السيد وليد صلاح الوفد الأردني، والسيد محمود منتصر الوفد الليبي، وسيف الاسلام الحسن الوفد اليمني، كما رأس السيد اسماعيل الأزهري الوفد السوداني. واذكر من رؤساء الوفود البارزة جواهر لآل نهرو رئيس حكومة الهند، وشوان لاي رئيس حكومة الصين الشعبية والسيد محمد علي رئيس حكومة الباكستان.

ولن أنسى الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الفلسطينية. والمطران مكاريوس زعيم القبارصة اليونانيين.

كل شيء في المؤتمر كان جديداً. الأبنية كلها جديدة وحديثة، كذلك التجهيزات والوسائل. الوفود كانت أكثرها حديثة العهد بالعلاقات الخارجية والسياسات الدولية. كان الكل يحاول أن يبرز أحسن

ما عنده. كان الجميع يعملون من أجل نصر الحق الآسيوي والافريقي، من أجل وحدة الكلمة الآسيوية – الافريقية، وذلك بالرغم من جميع أسباب التنوّع الظاهري في اللغة واللون، والقيافة، والتفكير.

فاللغة السائدة كانت الانكليزية – مع وجود الترجمة تتلوها اللغتان العربية والفرنسية، وتأتي بعدها لغات كثيرة أخرى بدءاً بالصينية وانتهاء بالنيبالية.

وكان هناك بحسب ألوان البشرة الصفر، والبيض، والسود، وما بين بين.

وتمثلت القيافة بجميع أشكال الملابس الحديثة والتقليدية، والقبلية الخ.

الاتجاه في المؤتمر كان حتماً آسيوياً – افريقياً، لكن المنطلقات كانت متنوعة وأحياناً متباينة

فخلفيات المشاركين كانت متنوعة كما التنوع الظاهر في لغاتهم وألوانهم وقيافاتهم. فالبعض كان من خريجي الجامعات في الصين والهند واكسفورد وكابردج وباريس وبيروت ودمشق والقاهرة. وآخرون خريجو الجيش والعسكرية، وغيرهم خريجو الجهاد والمعارك والسجون.

المذاهب السياسية كانت ممثلة خير تمثيل في المؤتمر. كان هناك التقليديون والرادكاليون. المحافظون والشيوعيون، الشموليون والليبراليون.

لم يكن مؤتمر باندونغ تجمّعاً للدول المحايدة، أو غير المنحازة. بل كان تجمعاً جغرافياً آسيوياً – افريقياً، اشترك فيه عدد من الدول والشعوب على أساس اقليمي. ولم يكن الهدف من المؤتمر تكريس عدم انحياز أعضائه إلى أحد النظامين السياسين – الاجتماعيين الكبيرين السائدين – فذلك حدث لفريق من أعضائه فيما بعد.

كان مؤتمر باندونغ ظاهرة آسيوية – افريقية تستهدف تكريس التعارف ومن ثم التعاون بين دول القارتين، والعمل المشترك لتحرير ما بقي من البلدان الآسيوية والافريقية خاضعاً للسيادة الأجنبية ومع ان بعض أقطاب المؤتمر، كالرئيس عبد الناصر ونهرو، كانا بدآ بممارسة سياسة عدم الانحياز وبالدعوة إليها، إلا أن تلك السياسة لم تكن حتماً هي الموجهة الرئيسية لمؤتمر باندونغ ففي باندونغ كان هناك المنحازون وغير المنحازين، سرّاً أو علانية. فلم يكن القطبان العالميان الكبيران، الولايات المتحدة الأميركية، والاتحاد السوفياتي، بعيدين عن أجواء المؤتمر من خلال بعض الأعضاء وبعض الوفود إليه.

ولكم سمع المؤتمرون أصواتاً، وبيانات سبق لهم ان سمعوا مثلها من واشنطن ومن موسكو.

وكان موضوع فلسطين شغل العرب الشاغل. والوفود لم تكن كلها صادقة وصديقة للعرب. وكان أحد الداعين للمؤتمر، أونو رئيس حكومة بورما، من أصدقاء اسرائيل وقد أصر في جلسات المؤتمرين الاعدادية في كولومبو بوغور على دعوة اسرائيل للمؤتمر. وقد جاراه في ذلك، ولكن ليس إلى النهاية، نهرو. ولكن كان لمواقف محمد علي رئيس حكومة الباكستان بصورة خاصة، والتي أيده فيها الوفد الاندونيسي، أثر فاصل في استبعاد اسرائيل.

وقد تضافرت الوفود العربية وساندتها في ذلك وفود الدول المجاورة والصديقة. وتوصلت جميعها إلى الفوز بقرار مؤيد للعرب كما كان لوجود الحاج أمين الحسيني في المؤتمر وللشعبية التي يتمتع بها في العالم الاسلامي تأثير بالغ في هذه النتيجة.

وكان هناك أيضاً المطران مكاريوس زعيم القبارصة اليونانيين. وكم كان الشبه كبيراً بينه وبين



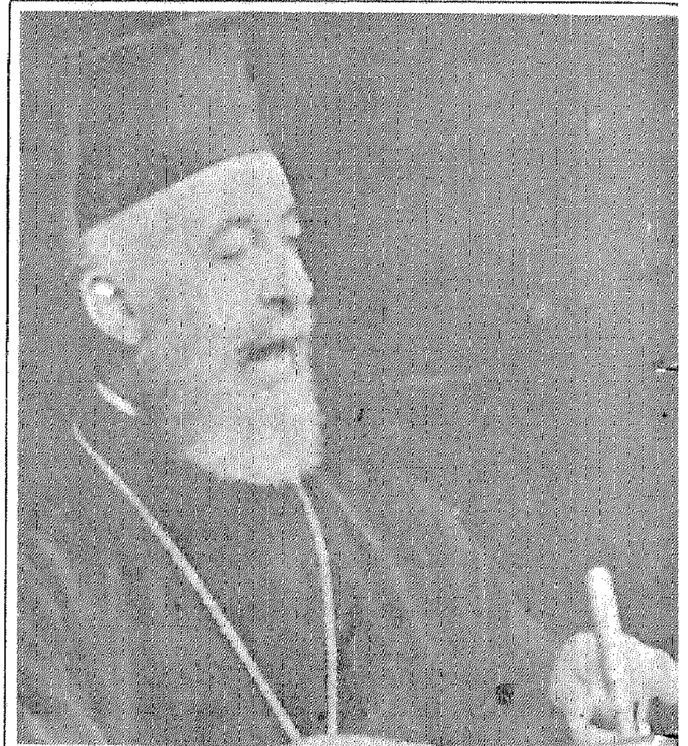
شو ان لاي يستمع إلى كلمات الوفود.

الحاج أمين الحسيني . وكلاهما رجل دين ، هذا تزينه عمامته . وذلك توقّره طابيته . احدهما يعيش مع أكثر شعبه في المنفى . والآخر يعيش هو في المنفى . على ان المطران مكاريوس توصل إلى تحقيق استقلال قبرص . وإن كان استقلالها مشوهاً ، ولكن الحاج أمين لم تكتمل امانيه ، وتوفي ودفن في لبنان ، بدلا من أن يكون في جوار الأقصى الشريف .

وعلى هامش الذكريات عن مؤتمر باندونغ ، أسرد الواقعة التالية :

كان شوان لاي رئيس حكومة الصين الشعبية من أبرز رؤساء الوفود في باندونغ ، وأكثر ما تسلطت الأنوار خلال انعقاد المؤتمر عليه وعلى الرئيس جمال عبد الناصر ونهرو . وقف شو مرة يتكلم في إحدى جلسات المؤتمر ويجانبه مترجمه الخاص الذي كان ينقل كلامه إلى اللغة الانكليزية بلهجة اكسفورد .

قال شو ، نحن الصينيون لا نعتقد بوجود الله . وما أن أتم هذا القول ، وقبل أن يستطرد في موضوعه ، حتى شعرت ، وأنا جالس قبالته استمع اليه ، شعرت برعدة سرت في عامودي الفقري وكان أن يصيبني منها دوار . فكيف يقول انسان بمركز شوان لاي ، وبرجاحة عقله وتفكيره ، بنكران وجود الله وفي



• المطران مكاريوس يخطب في المؤتمر

مؤتمر على هذا المستوى الرفيع ، وأمام جموع من المؤمنين من جميع الأديان (مع وجود غير المؤمنين أيضاً ولا شك)؟ استغفرت الله في نفسي في ذلك الحين ، واستغفره الآن لمجرد ذكر هذه الواقعة .

موجـــز مـقـــررات مؤتمر باندونغ (١٩٥٥/٤/٢٤)

أ – التعاون الاقتصادي :

١ – يقر المؤتمر الآسيوي الافريقي المبادرة إلى التنمية الاقتصادية في المنطقة الآسيوية – الافريقية . وهو يعكس الشعور الذي ساد الأعضاء حول العمل المشترك والتعاون الاقتصادي واحترام السيادة الوطنية . ولا يعني هذا التعاون الاقتصادي بين الاعضاء المؤتمرين التوقف عن ، أو عدم استحسان التعاون مع دول أخرى خارج المنطقة .

٢ – توافق الدول الأعضاء على توفير المساعدة الفنية لبعضها البعض ضمن امكانياتها .

٣ – الازدياد من الاستفادة من مساعدات صندوق الأمم المتحدة للتنمية الاقتصادية ، والبنك الدولي للانشاء والتعمير .

٤ – تنشيط التبادل التجاري بين بلدان المنطقة .

٥ – تسعى الدول الأعضاء لتثبيت الأسعار الدولية للسلع الرئيسية بعقد اتفاقات ثنائية أوجماعية .

٦ – تكثيف التجارة الخارجية بزيادة الصادرات ، وبالعمل على تصنيعها ولو جزئياً قبل التصدير .

٧ – تنظيم الملاحة التجارية الدولية والتدقيق في أجور النقل .

٨ – تشجيع قيام مصارف وشركات تأمين وطنية واقليمية .

٩ – تبادل المعلومات حول اسعار النفط توطئة لتحقيق سياسة نفطية مشتركة .

١٠ – تقدير أهمية استعمال الطاقة النووية للأهداف السلمية .

١١ – تبادل المعلومات والأفكار في المواضيع الاقتصادية .

١٢ – التشاور بين الدول الأعضاء قبل الاشتراك في الندوات الاقتصادية الدولية .

ب – التعاون الثقافي :

١ – يؤكد المؤتمر أهمية التعاون الثقافي في تحقيق التفاهم بين الأمم. فقد كانت كل من آسيا وافريقيا مهداً لديانات ولمدنيات كبيرة، وتقدم ثقافات آسيا وافريقيا على أسس روحانية وعالمية.

٢ – ادانة السياسة الاستعمارية التي تحول دون تعرف البلدان المستعمرة (بفتح الميم) بجوهر لغتها وثقافتها.

ادانة العنصرية كأداة للدمار الثقافي.

٣ – وفقاً لتقاليد الشعوب الآسيوية والافريقية في التسامح والالفة يحثّ المؤتمر على التعاون الثقافي على النطاق العالمي.

٤ – التعاون بين دول آسيا وافريقيا على صعيد التبادل الثقافي والعلمي.

٥ – التعاون الثقافي الآسيوي الافريقي يستهدف كسب المعرفة، والتبادل الثقافي، وتبادل الاعلام.

٦ – تشجيع الاتفاقات الثنائية الخاصة بالتعاون الثقافي.

ج – حقوق الانسان وتقرير المصير:

١ – يعلن المؤتمر تأييده الكامل للمبادئ الأساسية لحقوق الانسان كما وردت في شرعة الأمم المتحدة، ويأخذ علماً بالاعلان الكامل لحقوق الانسان.

ويؤكد تأييده لمبدأ حق الشعوب والأمم في تقرير مصيرها كما ورد في شرعة الأمم المتحدة.

٢ – يدين المؤتمر سياسة التفريق، والتمييز العنصري، في بعض انحاء افريقيا والعالم، ويتعاطف مع الشعوب التي تقع ضحية لتلك السياسة.

د – مشاكل الشعوب غير المستقلة :

١ – بحث المؤتمر موضوع مشاكل الشعوب غير المستقلة، والاستعمار، والمساوئ الناجمة عن اخضاع الشعوب للسيطرة والاستغلال، ويعلن المؤتمر:

أولاً : ان الاستعمار بجميع وجوهه هو شر يجب التعجيل في وضع حد نهائي له.

ثانياً : ان اخضاع الشعوب للسيطرة والاستغلال، يحرمها من مزاولة حقوقها الأساسية، ويتعارض مع شرعة الأمم المتحدة، ويعرقل مسيرة السلام والتعاون العالميين.

ثالثاً : تأييد قضايا الحرية والاستقلال لجميع هذه الشعوب.

رابعاً : دعوة الدول ذات العلاقة لمنح الحرية والاستقلال لهذه الشعوب.

٢ – يؤيد المؤتمر حقوق شعوب الجزائر والمغرب وتونس في تقرير مصيرها وفي الاستقلال، ويدعو الحكومة الفرنسية لوضع تسوية سلمية لهذا الموضوع.

هـ – قضايا أخرى :

١ – بالنظر إلى التوتر القائم في الشرق الأوسط بسبب الوضع في فلسطين وما يمثله هذا التوتر من خطر على السلام العالمي، يعلن المؤتمر تأييده للشعب العربي في فلسطين، ويدعو إلى وضع قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين موضع التنفيذ، وإلى تحقيق التسوية السلمية لقضية فلسطين.

٢ – يؤيد المؤتمر موقف أندونيسيا من قضية ايريان الغربية ويدعو حكومة هولندا للعودة إلى المفاوضات حول الموضوع.

٣ – يؤيد المؤتمر موقف اليمن من عدن والاجزاء الجنوبية من اليمن المعروفة بالمحميات، ويدعو الأطراف ذات العلاقة لتسوية الخلاف سلمياً.

و – السلام والتعاون العالميين :

١ – دعوة مجلس الأمن لقبول ضم جميع الدول المؤهلة لعضوية الأمم المتحدة وفق الشروط الواردة في الشرعة، ويذكر منها : كمبوديا، سيلان، اليابان، الاردن، ليبيا، نيبال وفيتنام الموحدة.

ويعتبر المؤتمر أن تمثيل بلدان اسيا ولأفريقيا في مجلس الأمن، غير كاف.

٢ – الدعوة إلى نزع السلاح، وتحريم انتاج الاسلحة النووية والحرارية، واقامة رقابة دولية فاعلة للاشراف على ذلك.

ز – اعلان حول السلام والتعاون العالميين :

يدعو المؤتمر الأمم إلى ابداء التسامح والعيش بسلام مع بعضها البعض، وانماء التعاون الودي بينها على أسس المبادئ التالية :

١ – احترام حقوق الانسان الأساسية، والمبادئ والأهداف التي نادت بها شرعة الأمم المتحدة.

٢ – احترام السيادة والوحدة الاقليمية لجميع الشعوب.

٣ – المساواة بين جميع العناصر والشعوب والأمم، كبيرها وصغيرها.



من ابرز نتائج المؤتمر كان المكانة التي حظيت بها الصين بين دول آسيا . لقد أكّدها المؤتمر دون نيّة مباشرة منه . والصورة خير دليل على ذلك .



نهرو يستريح قبل التوجه لالقاء كلمته ويبدو إلى جانبه بعض الأعضاء الآسيويين ومنهم إلى يمينه أونو رئيس وزراء بورما.

٤ - الامتناع عن التدخل في الأمور الداخلية للدول الأخرى.

٥ - احترام حق كل دولة بالدفاع عن نفسها، بمفردها أو بالتعاون مع غيرها، وفق مبادئ الأمم المتحدة.

٦ - الامتناع عن اتخاذ تدابير للدفاع المشترك خدمة لمآرب أية من الدول العظمى.

٧ - الامتناع عن أعمال العدوان، أو التهديد به، أو استعمال القوة ضد الوحدة الاقليمية أو الاستقلال السياسي لأي بلد.

٨ - تسوى جميع النزاعات الدولية بالوسائل السلمية عن طريق المفاوضات والتوفيق، والتحكيم، أو غيرها من الوسائل السلمية التي تختارها الأطراف وفقاً لشرعة الأمم المتحدة.

٩ - تنشيط المصالح المشتركة والتعاون.

١٠ - احترام العدالة والالتزامات الدولية.

وأوصى المؤتمر الآسيوي الأفريقي الدول الخمسة الداعية بدعوة المؤتمر لاجتماع تالٍ، بالتشاور مع الدول المشتركة.

هذه هي، بايجاز، مجموعة مقررات مؤتمر باندونغ، فأين نحن منها، ولماذا لم يجتمع المؤتمر ثانية؟

اتيح لي خلال سفارتي في الهند، في أواخر الخمسينات أن أسأل جواهر لا نهرو، أحد اعلام مؤتمر باندونغ، عن السبب عن عدم دعوة «مؤتمر باندونغ ثان» فابتسم بمرارة، وقال لي: أين نحن من باندونغ الآن؟ وهل بامكاننا الآن أن نوفق حتى بين دول مؤتمر باندونغ الأول؟ تلك الدول نفسها ليس بامكاننا جمعها الآن، فكل منها قد سار في طريقه الخاص إلى المعلوم، أو إلى المجهول. ●



●التاريخ معركة الفرد مع الجماعة، معركة يثيرها الناس لرغبتهم في الدعة والراحة، ويثيرها الفرد بسبب الدافع نحو الإبداع والعمل، ولهذا يظل التاريخ أبداً منعماً بالقسوة ولن يخلو منها أبداً.

مكسيم غوركي

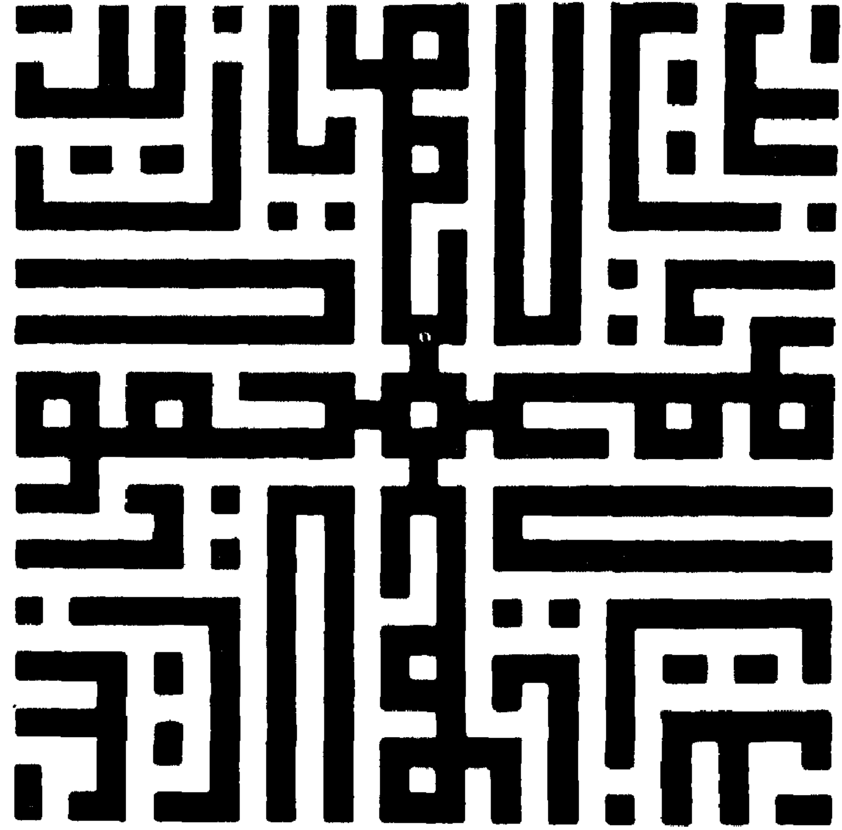


●إن قراءة التاريخ أمر حسن ولكن الأفضل أن يساهم المرء في صنع التاريخ.

نهرو

تاريخ أصول الإدارة في الإسلام

د. محمد أحمد خلف الله



● تستمد الادارة الاسلامية مقوماتها الرئيسية من المصادر الثلاثة التالية :

أولاً : التقاليد الادارية العربية التي كانت سائدة قبل الاسلام وكان العرب الجاهليون يمارسون حياتهم على أساس منها .

ثانياً : النظم الادارية الفارسية التي كان معمولا بها حين الفتح العربي لهذه البلدان : العراق وبلاد فارس .

ثالثاً : النظم الرومانية التي كانت مستقرة ومعمولا بها في البلدان الخاضعة للدولة البيزنطية حين فتح العرب لهذه البلدان : مصر وبلاد الشام .

ومن اليسير علينا أن ندرك ان ما أخذ عن هذه المصادر من الأصول الادارية لم يكن ليتعارض مع ما جاء به الاسلام من مبادئ أخلاقية . وقيم اجتماعية . ومعايير سلوكية .

والمصدر الأول—وهو التقاليد الادارية العربية—من أهم هذه المصادر . وأولاها بالوقوف عنده طويلاً . وذلك لسببين هامين :

الأول منهما :—أن هذه التقاليد هي التي نشأ فيها كل أولئك الذين اداروا عملياً المجتمع الاسلامي عند النشأة الأولى . تربى فيها كل أولئك الذين هاجروا مع النبي عليه السلام أو من قبله أو من بعده . فان هؤلاء

هم الذين أداروا الدولة التي قامت في المدينة أولا ثم في بقية الاقليم ثانياً، والجزيرة العربية بعد أن فتح الله على المسلمين مكة.

ويحفظ لنا التاريخ المجالات الادارية التي كان يشغلها بعض هؤلاء المهاجرين قبل أن يسلموا. فقد كان مرفق السدانة في يد عثمان بن طلحة، وكانت السقاية في يد العباس بن عبد المطلب عم النبي عليه السلام، وكانت الاشناق وهي الديات في يد عبد الله ابن أبي قحافة وهو الصديق أبو بكر، وكانت السفارة وهي السعي للصلح فيما بين الناس بيد عمر بن الخطاب، وكانت الرفادة وهي إطعام الحجيج لعبد المطلب ثم أبي طالب ثم الحارث بن عمرو، وكان اللواء بيد أبي سفيان بن حرب والد معاوية الخليفة المؤسس للدولة الأموية، وكانت الازلام بيد صفوان ابن أمية، وكانت الخيمة أو حراسة المجلس بيد خالد ابن الوليد من علي مخزوم، وهكذا.

أما السبب الثاني الذي يدفعنا إلى الوقوف عند التقاليد الادارية العربية فهي أنها التي سادت أول الأمر ثم شاركت كلا من النظم الفارسية والرومانية في البلدان التي كانت تسود فيها.

لقد أبقى عمر بن الخطاب على كل واحد من النظامين الاداريين: الفارسي والروماني في البلدان التي كان سائداً فيها. أبقى عليه في لغته وفي مؤسساته الادارية. ولكنه لم يبق عليه وحده وانما أدخل عليه النظام الاداري المعدل-أي النظام التقليدي الذي أدخل عليه الاسلام بعض التعديلات.

تعريب الادارة والدواوين

وهنا حقيقتان لا بد من ذكرهما في هذا المقام:

الأولى: أن النظم الادارية الفارسية والرومانية ظلت في لغتها الأولى وبمؤسساتها التي كانت عليها إلى أن قام بتعريبها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. وكان سبب التعريب فيما يحكى المؤرخون هو تمكين الولاة العرب من الاشراف إشرافاً تاماً على شؤون ولاياتهم المالية من حيث أن تدوين السجلات باللغات الأجنبية كان مما شجع صغار العمال على التزوير والتلاعب في السجلات دون أن يكتشف الأمر.

الثانية: ظهرت بعد عصر التدوين-أي في العصر العباسي حين أخذ العقل العربي في تكوين نظرية إدارية تتناول كل التقسيمات والتنظيمات الادارية والتسلسل الوظيفي والمواصفات المطلوبة في كل وظيفة. وما إلى ذلك.

لقد برزت هذه الحقيقة على شاكلة وجود آراء عديدة ومختلفة في كل عملية ادارية. وعندي أن السبب في ذلك هو أن الذين فكروا في النظرية لم يقيموا حواراً بين هذه النظم ينتهي إلى نظام واحد، وانما جمعوا كل ما أخذ عن هذه النظم المختلفة ووضعوه جنبا إلى جنب على أنه الآراء المختلفة التي تدور حول مسألة واحدة.

أنه من هنا يمكن القول بأن الأصول الادارية التي سوف نطرحها على أنها الاصول الاسلامية في الادارة هي أصول نظرية وليست عملية. ان الواقع الاداري كان يمضي مع الاعراف والتقاليد وليس مع



هذه الأصول النظرية.

ان هذه الأصول النظرية مستمدة من كل الأعراف وكل التقاليد في دولة ذات أقاليم عديدة ولكل اقليم طابعه الخاص.

ونأخذ الآن في بيان الكيفية التي استمد فيها المسلمون الأولون أصول ادارتهم من المصادر الثلاثة المشار اليها

ونبدأ من ذلك بالتقاليد العربية.

والتقاليد هنا هي تقاليد المجتمع المكي من حيث أن النبي عليه السلام وصحابته من المهاجرين ممن كانوا الرعيل الأول في إدارة الدولة زمن الخلفاء الراشدين

وبني أمية انما كانوا من أهل مكة ومن الذين نشأوا على هذه التقاليد الادارية.

كانت مكة في ذلك الوقت المركز الرئيسي للنشاطات الدينية والنشاطات الاقتصادية لكل البلدان والقبائل العربية. ومن هنا كانت أكثر بلدان الجزيرة أخذا بأسباب الحضارة.

وكانت مكة بحكم وضعها الحضاري ومكانتها الدينية المقدسة ومكانتها التجارية تسعى إلى الأمن عن طريق السلام، ومن ثم أدارت مرافق الحياة فيها على أساس من السلام.

فتأدية الناس للواجبات الدينية يجب أن يتم على أساس من السلام. ومن هنا كانت الأشهر التي يؤدي فيها الحج وتنشط فيها التجارة أشهرا حرما لا حرب فيها ولا قتال. أشهرا أمّن فيها الناس على حياتهم وعلى أموالهم

وقيام القوافل التجارية بالمسؤوليات الملقاة على عاتقها يتم هو الآخر في نطاق السلام. ومن هنا كانت الاتفاقات والمعاهدات تبرم ويتفق عليها مع كل القبائل التي تقع في طريق القوافل حتى لا يكون نهب وسلب وقتال.

وتحقيقاً للسلام في داخل مكة رأى رؤساء القبائل والعشائر ان يتم الأمر فيما بينهم على أساس من التشاور والتراضي بحيث تقتل العصبية في مهدها وتمضي الأمور في السلام المانع للخصومه لما تجر اليه الخصومة من عداوة فقتال.

وتحقيقاً للتشاور أنشأوا مجلساً عرف في التاريخ باسم الملأ، واتخذوا له مقرا عرف في التاريخ باسم: دار الندوة.

وهكذا مضى الأمر بحيث يمكن القول عن خصائص هذه الأدارة بأنها كانت جماعية، إذ كان الملأ هو الذي يدير مجالات الحياة في مكة. وانها كانت مركزية لأن نطاقها هو مكة والقرى القريبة منها والمحيطة بها والتي تقوم فيها الأسواق التجارية لأهل مكة، ويستكمل فيها مناسك الحج من أمثال عرفة، ومزدلفة، ومنى، تلك التي من أجلها سميت مكة بأم القرى.

الادارة العربية يومذاك كانت مركزية. جماعية. أداتها الشوري، وهدفها السلام.

مرحلة انتقال إلى الاسلام:

ولكي يتحقق السلام عقدوا حلفاً يقال له حلف الفضول حضره النبي قبل أن يبعث نبياً رسولاً وكان الهدف منه ألا يظلم أحد بمكة بعد عقد هذا الحلف-أي مقاومة الظلم وتحقيق العدل.

ولكي يتحقق السلام كانت المناصب الادارية توزع بالشوري على كل العشائر لكي تموت العصبية وحين جاء الاسلام بقيت أكثر هذه الخصائص على حالها وتغير الموقف بعض التغيير.

بقيت على حالها من حيث أن الذي ظل يدير مكة هو الملأ -أي الأرستقراطية المكية من مختلف الأسر والعشائر- أما المسلمون فكانوا قلة قليلة مغلوبة على أمرها ومضطهدة.

وتغير الموقف بعض الشيء من حيث أن هذه الجماعة قد أخذت نفسها بنظام لها جديد هو النظام الاسلامي الذي خرج بها عن الولاء للقبيلة أو العشيرة إلى الولاء لهذا الدين الجديد.



وأصبح لهذه الجماعة هدف جديد هو نشر هذا الدين، وأخذت نفسها بالعمل من أجل تحقيق هذا الهدف.

قام محمد عليه السلام بتنظيم هذا العمل. كان يتلقى الوحي من السماء ثم يطلب إلى مجموعات العمل أن تقوم أولاً بتوثيق هذه النصوص الآلهية. وكانت عملية التوثيق تتم في أسلوبين: حفظ هذه النصوص عن ظهر قلب أو كتابتها في الصحف. وبذا وجد عند النبي عليه السلام القراء وكتبة الوحي. وكلهم يعمل

على نشر الدعوة الجديدة.

ومضى مع نشر الدعوة تخلق أعضاء المجتمع الاسلامي الجديد بأخلاق هذه الدعوة الجديدة وأخذهم أنفسهم بممارسة الحياة اليومية على أساس من معاييرها السلوكية.

أخذوا أنفسهم بتقوى الله—أي اتقاء غضبه، وذلك ببعدهم عن الآفات التي تسبب انحرافات في الحياة.

وأخذوا أنفسهم بالعمل الصالح—أي العمل الذي يصلح به حال الفرد وحال المجتمع الجديد. ومن هنا كانت المصلحة العامة هدفاً من أهداف الادارة السليمة—المصلحة لكل الناس ولأشد الناس احتياجا إلى الخدمات.

وظلت هذه الجماعة الجديدة مغلوبة على أمرها في مكة لمدة ثلاث عشرة سنة، ووقع عليها من الاضطهاد والأذى ما دفع ببعض أفرادها إلى الهجرة—ولكن ذلك كله قد صقل أعضاء هذه المجموعة إلى الحد الذي جعلهم من الاداريين الممتازين حين قامت دولتهم في المدينة أولاً، ثم في الكوفة ودمشق ثانياً، ثم في بغداد وسر من رأى ثالثا، ثم في اقاليم أخرى بعد ذلك.

وفي المدينة تغير الموقف من حيث وجود مناخ ديني جديد، ووجود مجتمع بشري جديد متغير وسريع التغير—الأمور التي فرضت نظاما إداريا واضح المعالم.

كانت المشكلة التنظيمية الأولى التي واجهت النبي عليه السلام هي كيف يقيم العلاقة بين المهاجرين والانصار أولاً، ثم كيف يقيم العلاقة بين أتباعه من مهاجرين وأنصار وبقية سكان المدينة من العرب المشركين ومن أهل الكتاب وبخاصة اليهود.

وتغلب على هذا الموقف بنظام المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وبنظام الصحيفة التي حددت الأدوار لكل سكان المدينة. فقد كانت هذه الصحيفة أشبه بالمعاهدات الواجبة التنفيذ. غير أن التطورات السريعة التي لحقت جعلتها عديمة الأهمية فلم يلبث الوضع أن تغير بدخول الناس في الاسلام وباخراج اليهود من المدينة.

المهمات والتنظيمات القتالية

ثم كانت المشكلة الثانية الخاصة بقتال الذين ظلموا المهاجرين وأخرجوهم من ديارهم بغير ذنب إلا ان يقولوا: ربنا الله.

سم الله الرحمن الرحيم
الله و كبر كبيرا وا
لحمد لله كثيرا وسبحن
الله بكره واصيلا وليلا
طويلا اللهم رب
جبريل و ميكيل واسرفيل
اغفر لثبت بن يزيد
الاشعري ما تقدم من
ذنبه و ما تاخر و لمن قال
امين امين رب العلمين

وكتب هذا الكتب
شوال من سنه اربع و
ستين

وجاء الحل عن طريق نظام الجهاد—أي إدارة الحرب والقتال من أجل مقاومة الظلم وتحقيق العدل، ومن أجل التمكين للنظام الاسلامي الجديد في أرض العرب.

وتوالت الانتصارات، وساد النظام الجديد، واحتاج الأمر إلى وقفة تنتظم فيها مجموعات العمل ويحدد لكل مجموعة الاختصاص الذي تباشره.

بقيت مجموعات نشر الدعوة من القراء وكتاب الوحي كما هي من حيث التنظيم، وزاد عددها من حيث الحجم.

ونشأت مجموعة عمل أخرى هي مجموعة النقباء. وهؤلاء النقباء إنما يختارون من القبائل أو المدن التي دخلت في الاسلام، ويحضرون دورات تثقيفية في مدينة الرسول ثم يعودون إلى الاماكن التي جاءوا منها. وهذه العملية التثقيفية هي التي أشار بها القرآن الكريم جين قال «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم».

أما المقاتلة الذين يقومون بالغزوات والحروب فكانوا يستنفرون حسب العادة الجاهلية. وهم هنا إنما يستنفرون من المسلمين: مهاجرين وأنصار.

وهناك مجموعة عمل أخيرة هي العاملون على الزكاة والخراج وما إلى ذلك-أي المسؤولون عن الموارد المالية.

وكان الذي يدير هذه المجموعات هو الرسول عليه السلام. فهو وحده الذي يبلغ الناس القرار بعد ان يتلقاه عن ربه أو يفكر فيه ويصدره عن نفسه-وهذا مما يجعل الادارة ادارة مركزية وقد كانت مركزية من أول الأمر عندما كانت الدولة الاسلامية دولة مدنية-وذلك قبل أن تصبح بالفتح دولة أقليم.

ومن الظواهر التي يجب أن تلاحظ انه في المسائل العاجلة التي هي من خصائص الحياة الدنيوية من مثل قضايا الحرب والقتال كان النبي عليه السلام يستشير من هم إلى جانبه ممن سماهم القرآن الكريم بأولي الأمر. وكان في احيان كثيرة ينزل عند رأيهم-وهذا هو الأمر الذي تشير اليه الاية القرآنية الكريمة «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله».

وهذا يعني أن القيادة فيما لم ينزل فيه قرآن كريم كانت جماعية وأسلوبها هو الشوري.

وهنا يمكن القول بأن أولي الأمر قد حلوا محل الملأ من قريش وأن المسجد قد حل محل دار الندوة عند الاجتماع. وان الادارة ظلت مركزية وكانت جماعية استشارية في بعض المسائل الادارية.

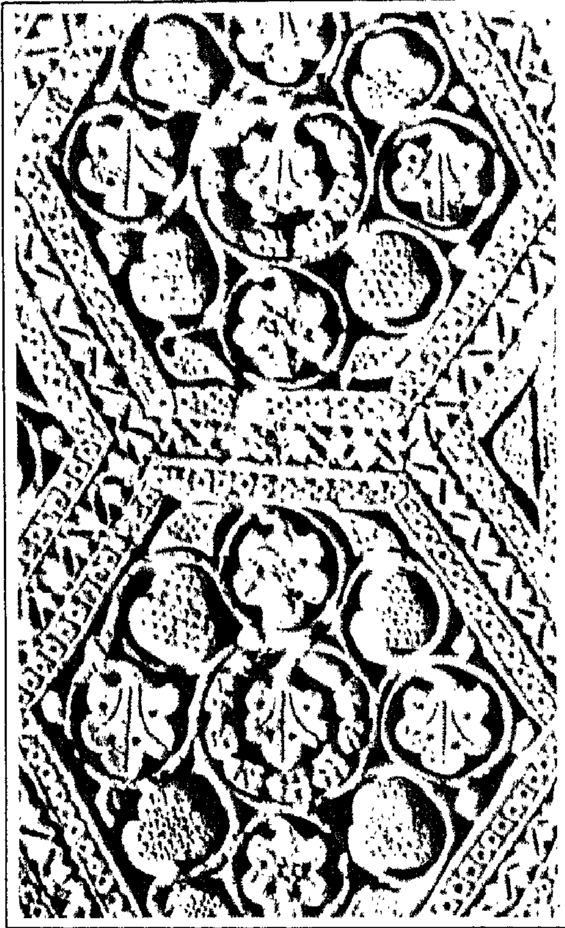
والأمور الجديدة في هذه الادارة الاسلامية هي: سيادة القانون باعتباره قانونا الهيا لا مناص من تنفيذه. وكان الهدف من هذا القانون الالهي هو مصلحة البشر التي يراعيها الله دائماً في تشريعاته.

وإلى جانب سيادة القانون كان حسن اختيار العامل، فهو دائماً متخلّق باخلاق الاسلام من حيث اتقان العمل ومن حيث السعي إلى العمل الصالح لأن الله «يحب اذا عمل احدكم عملاً أن يتقنه».

وظل أمر الادارة على هذه الصورة زمن النبي وابي بكر. وحين جاءت خلافة عمر تبدل الموقف وتبدلت النظم الادارية إلى حد كبير.

الادارة في عهد عمر

واجه عمر بن الخطاب مشكلة التنظيم الاداري بعقلية رجل يفهم أبعاد العمليات الادارية وكيف يمكن ان تترتب على التغييرات الادارية السريعة بعض الاضطرابات التي تفسد الحياة وتعيدها إلى الفوضى



وليس إلى النظام.

لقد وجد عمر الدولة في اتساع مستمر بسبب هذه الفتوح التي يحرز فيها العرب النصر بعد النصر، ووجد في الوقت ذاته اختلافاً بين هذه البلدان بعضها والبعض الآخر في المعتقدات، وفي النظم الادارية، وفي المعايير السلوكية، وفي اللغات التي يمارس بها الناس في هذه البلدان حياتهم اليومية وحياتهم العامة.

ورأى عمر أن يبقي على النظم الادارية السائدة في كل بلد من البلدان المفتوحة لسببين:

الأول منها: الخوف من اضطراب العمل إن هو

أقدم على تغيير النظام الاداري.

الثاني : الاستفادة من أهالي البلدان المفتوحة في الأعمال الادارية التي يقومون بها والتي أكسبتهم التجربة فيها خبرة وعلماً.

أبقى على هذه النظم في لغتها الادارية من غير تعريب، وترتب على ذلك أن وجد في الدولة أكثر من نظام اداري وأكثر من لغة للحياة فضلا عن اللغة الادارية.

وأضاف عمر إلى كل نظام من هذه النظم الادارية بعض التقاليد العربية التي صقلها الاسلام بمبادئه وأخلاقياته، ولا سيما ما يتعلق بالأهداف التي يرمي اليها الأسلام من أي تنظيم إداري.

كانت الولايات التي تتكون منها الدولة على أيام عمر هي : مكة، المدينة، الشام، الجزيرة بلاد العراق الشمالية بين دجلة والفرات، البصرة، الكوفة، مصر، فلسطين.

وعين عمر والياً على كل اقليم، وكان الوالي يسمى في بعض الحالات باسم الأمير، وذلك حين يكون واليا على مدينة، أو يكون أمير الجند عين والياً، أو يكون قائداً قد فتح هذه الولاية أو هذه المدينة.

كان هذا الوالي أو الأمير عربياً وعمال الادارة الذين يلونه من أهل البلاد الذين كانوا يديرون المرافق أو مجالات الحياة من قبل.

وكانت وظيفة الوالي مستمدة من وظيفة الخليفة فهو نائبه في الولاية ومسؤول أمامه عن أعماله. ومن هنا يمكن القول بأن الادارة ظلت مركزية.

كان يؤم الناس في الصلاة ويشرف على شؤون الحامية لتوفير الأمن وصد الأعداء، ويشرف على الخراج-أي الشؤون المالية، ويحكم في المنازعات. وباجملة كان المسؤول السياسي والمسؤول الاداري عن أعمال الولاية.

وجرى عمر على قاعدة توجيه الحياة في الولايات ومراقبة شؤون الولاة عن طريق مجلس استشاري مكون من القراء وكبار الصحابة وشيوخ القبائل.

وكان هذا المجلس يحقق فيما يصل اليه من الشكاوى الخاصة بالوالي أو الأمير، حتى ليمكن القول بأن أعمال هذا المجلس تشبه أعمال الرقابة الادارية الآن.

وكان يحدث عندما تكثر الشكاوى من أحد الولاة أن يعين الخليفة إلى جانبه مسؤولاً آخر عن بعض الأعمال ليكون كل منهما رقيباً على الآخر أو عينا للخليفة عليه، وفي مثل هذه الحالة لا تصبح الولاية عامة وانما تصبح ولاية خاصة ما دامت المسؤوليات قد وزعت على اثنين.

وكثيراً ما كان عمر يحصي أموال الولاة قبل تعيينهم وكان يقاسمهم أموالهم ان هي زادت عما أحصاه.

وكان يحدد أهداف الادارة في كتاب تعيينه للولاة ويديرها حول الاعمار والعدل بين الناس.

ولتحقيق الاعمار كان يطلب من الولاة استشارة المواطنين فيما يلزم الاقليم وينزل عند مشورتهم. فعل ذلك مع والي مصر عمرو بن العاص ونزل عمرو على مشورة بنيامين المصري.

وكانت الايرادات تنفق أولاً على مصالح الاقليم وما يتبقى يرسل لدار الخلافة. وشعر المصريون بالفارق الكبير بين ادارة الوالي العربي والوالي الروماني من حيث أن الوالي الروماني كان يعتبر الأهالي وسائل انتاج، ويدرك مهمته على أنها جباية الأموال من أجل صالح بيزنطة أو روما.

وكانت جباية الأموال أيضاً قائمة على العدل من حيث أن الضريبة تؤخذ من المحصول بنسبة مئوية متساوية، وكانت من قبل تؤخذ مقادير معينة من كل مواطن بصرف النظر عن الانتاج الذي حققه والمحصول الذي تحقق له.

وكان عمر يحرص في مواسم الحج على أن يبصر الناس بحقوقهم وبمسؤوليات الموظفين العاملين حتى يعرف كل مواطن ما له وما عليه فيقوم بما عليه من واجب ويطالب بما له من حق.

وجاء من بعد عمر عثمان بن عفان وجعل الولاية وقفا على بني أميه. وثار الناس على هذا الاسلوب واشتدت الثورة حتى انتهت بمقتل عثمان.

وحين جاء معاوية أحال الدولة إلى ملك عضوض فالخلافة تورث. والولاة من بني أمية أو من المخلصين لهم.

وجرى التقسيم الاداري على أساس مما يساعد الدولة على السيطرة، وأصبح الولاة من أمثال الحجاج وزياد بن أمية يحكمون ويتسلطون.

لقد كان الخليفة ثم الولاة في عهد عمر يديرون ولا يحكمون. أما منذ العهد الأموي فقد أصبحوا يحكمون ويتسلطون.

وفي نهاية العهد الأموي وأوائل العباسي بدأ عصر التدوين وأخذ رجال الفكر يدرسون ويستفيدون مما خبروه ومما توارثوه وأصبح لهم علم يمكن تسميته بعلم الادارة وهو ذلك الذي كان يُعنون بأسم الأحكام السلطانية أي الأحكام التي تمارس السلطة شرعياً على أساس منها.

ونشير في إيجاز غير مخل إلى الخطوط الرئيسية لهذه الدراسات.

علم الادارة

١ – المؤسسات التي تدير هي : الخلافة – الوزارة – الولاية.

٢ – المؤسسات التي تحقق العدل هي :

ديوان القضاء – وديوان المظالم.

٣ – المؤسسات المالية وهي في جملتها خاضعة للنوع الأول من المؤسسات، وليس لها استقلال ذاتي. وذلك من أمثال : ديوان العطاء – ديوان الخراج... الخ.

ولم يهتم المفكرون المسلمون بالتقسيم الاداري للدولة وانما كان اهتمامهم منصبا على التسلسل الوظيفي والعلاقات في هذا التسلسل. كما كان منصبا بصفة خاصة على الشروط التي يجب توفرها فيمن يشغلون هذه المناصب، والكيفية التي يصل بها الانسان إلى القيام بعمل وظيفة ما وتحمل مسؤولياتها.

والخلافة موضوعة فيما يقولون هم لحماية الدين وسياسة الدنيا ويقولون إنها واجبة، ولكنهم يختلفون في صفة هذا الوجوب فيرى بعضهم أنه وجوب ديني ويرى البعض الآخر انه وجوب عقلي.

ونحن نرى أنها عملية مدنية لأنها لو كانت دينية لورد عنها نص في القرآن أو في السنة النبوية وهما مصدر الدين. ثم ان الصحابة حين اختاروا أبا بكر خليفة قالوا : لقد رضيه رسول الله لديننا أي الامامة في الصلاة حين مرض مرض الموت – أفلا نرضاه لدنيانا.

يعني أنهم رأوها مسألة دنيوية.

هذا إلى جانب أن كل خليفة من الخلفاء الراشدين قد وصل إلى الخلافة بطريقة خاصة به ولو كانت المسألة دينية لعرفوها ولكانت طريقة واحدة للجميع.

والطريقة التي يصل بها الخليفة هي الاختيار. وحق الاختيار غير ثابت لكل المواطنين وانما لمن تتوفر فيه الشروط التالية :

١ – العدالة الجامعة لشروطها.

٢ – العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الخلافة بالشروط المطلوبة في ذلك.

٣ – الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف.

أما من يرشح نفسه للخلافة فيجب أن تتوفر فيه الشروط التالية :

١ – العدالة.

٢ – العلم المؤدي إلى الاجتهاد في المسائل.

٣ – سلامة الحواس

٤ – سلامة الأعضاء.

٥ – الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح.

٦ – الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة* وجهاد العدو.

٧ – النسب وهو أن يكون من قريش.

وحول كل واحد من هذه الشروط تختلف وجهات النظر إلى حد كبير.

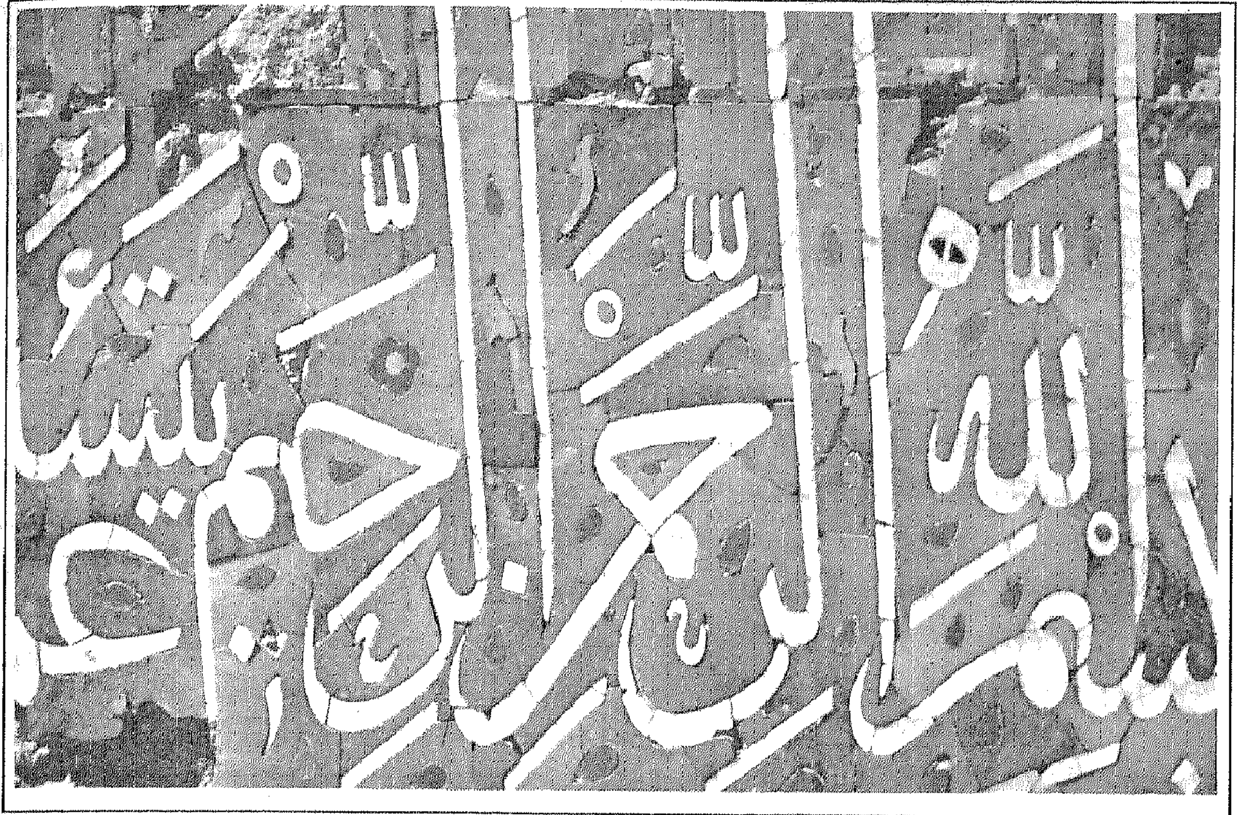
وعلى كل فقد ظلت هذه المسألة مسألة نظرية ولم تطبق في الواقع العملي.

والذي جرى عليه العمل أنهم جعلوا من طرق الوصول إلى الخلافة أن يعهد الخليفة إلى من يكون بعده – الأمر الذي فعله أبو بكر حين عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب.

وهذا الذي فعله أبو بكر وأجازوه هو الذي

---

* البيضة : يقال بيضة القوم – أي ساحة القوم وديارهم



أصبح القاعدة فيما بعد حين يعهد الخليفة إلى ابنه من بعده وبذلك نشأت دولة الأسر كدولة الأمويين والعباسيين والفاطميين والعثمانيين وما أشبه.

التسلسل الاداري

واذا وصل الخليفة إلى الخلافة بأية صورة من الصور أصبح هو المسؤول الأول في الدولة وهو مصدر المسؤولية لمن يليه من الوزراء والولاة والأمراء ومن اليهم. ومن هنا يكونون جميعاً من المسؤولين أمامه. أنه يملك حق التولية ويملك حق العزل.

وتأتي بعد الخلافة الوزارة والذي يملك حق تعيين الوزراء هو الخليفة ليس غير. وهم مسؤولون أمامه هو أو أمام من يفوضه للقيام بذلك.

والوزارة تكون وزارة تفويض ووزارة تنفيذ. وفي وزارة التفويض يختار الخليفة الوزير الذي يفوض اليه تدبير الأمور وامضاءها باجتهاده ومسؤوليته.

ويشترطون في هذا الوزير كل الشروط التي يجب توفرها في الخليفة نفسه ما عدا النسب إذ لم يشترطوا فيه أن يكون من قريش. وزادوا على شروط الخلافة أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل اليه من أمري الجهاد والخراج.

وفرقوا بين الخلافة ووزارة التفويض فقالوا: بأن على الوزير أن يطلع الخليفة على ما يمضيه من الأمور وبخاصة فيما يتعلق بتعيين كبار الموظفين حتى لا تنزع نفسه نحو الاستبداد. وأن على الخليفة أن يتصفح أحوال الوزير وتدبيره للأمور ليقر منها ما وافق المصلحة ويوقف منها ما يمكن أن يضر بالصالح العام ما دامت أمور الأمة موكولة اليه.

أما وزارة التنفيذ فليس الوزير فيها أكثر من وسيط بين الخليفة والمواطنين يؤدي عن الخليفة ما يأمر به فيخبر الولاة بتقليد الأمور وتجهيز الجيوش وما أشبه، ويرفع إلى الخليفة ما يجيء من الولاة والأمراء. أنه يعين في تنفيذ الأمور من غير أن تكون له ولاية على أي أمر من الأمور.

ويشترطون فيه أن يكون أميناً، صادق اللهجة، قليل الطمع حتى لا يرتشي، أن يسلم ما بينه وبين الناس بحيث لا تكون هناك كراهية وعداوات. وأن يكون ذكورا لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه. وأن يكون فطنا ذكيا حتى لا تدلس عليه الأمور. وأن لا يكون من أهل الهوى حتى لا يخرجه الهوى عن الحق إلى الباطل.

ويجيزون في وزير التنفيذ ألا يكون مسلماً من حيث أنه يختلف عن وزير التفويض من حيث أن وزير

التفويض ينوب عن الخليفة في إمامة الصلاة وإمارة الحج. أما وزير التنفيذ فليس من شأنه أي شيء من هذا.

والأمير أو الوالي يعين من قبل الخليفة وهو المسؤول السياسي والاداري في الاقليم. ويشترط في الوالي اذا كانت ولايته عامه ما يشترط في وزير التفويض. ومن مسؤوليات الوالي النظر في تدبير الجيوش، والنظر في الأحكام، وتقليد القضاة، وتقليد العمال، وجباية الخراج والصدقات وحماية الدين، وإقامة الحدود، وتسيير الحجاج، وإمامة الناس في صلاة الجمع والأعياد.

وقد تكون الولاية خاصة بحيث لا تتجاوز تدبير الجيوش وسياسة المواطنين من غير جباية للأموال أو إمامة للصلاة أو تقليد القضاة والحكام.

وهناك نوع من الولاية يقال له ولاية الاستيلاء، وهي الولاية على مدينة أو اقليم يفتتحه الوالي بالقوة ويضمه إلى الولاية الأصلية.

أما المؤسسات الخاصة بتحقيق العدل فسوف نكتفي هنا بالحديث عن ديوان المظالم لأن أمر ديوان القضاء ليس في حاجة إلى النص عليه.

والهدف من ديوان المظالم هو كف يد الظالمين ممن يعجز القضاء عن الوصول اليهم واللحاق بهم من الوزراء والولاة، ومن اقارب الخليفة نفسه. ومن هنا كان اشتراطهم أن يتولاه الخليفة نفسه أو من يفوضه في ذلك ممن لهم رهبة في النفوس، وقدرة على الضرب على أيدي الظالمين، وتحقيق العدل فيما بين الظالمين مع قوتهم والأفراد العاديين مهما يكن ضعفهم.

أهداف الادارة

ونستطيع الآن أن نستخلص من كل ما تقدم النتائج الادارية التالية:

أولاً: أن التقسيم الاداري للدولة انما يرام به تحقيق الأمن للدولة-الأمن الداخلي والأمن الخارجي.

وكان الهدف على أيام عمر بن الخطاب باعتباره الاداري الأول في الدولة العربية الاسلامية هو أمن المواطنين. أما بعد مقتل عثمان وما تبع ذلك من حروب وثورات فقد أصبح الأمن مطلوباً أولاً للسلطة الحاكمة ثم للمواطنين ومن هنا أعيد التقسيم الاداري للدولة على أيام معاوية بحيث يتحقق الأمن عن طريق أخذ الولايات الثائرة بالشدة وتعيين الوالي القادر على ذلك.

ثانياً: تقسيم العمل إلى مجالات كانت هي المطلوبة في ذاك الزمان من مثل امارة الحج، إمامة الصلاة، ديوان العطاء، ديوان الخراج والصدقات، ... إلى غير ذلك مما كانت تقتضيه الظروف.

ثالثاً: كانت السلطة مركزية في يد الخليفة، وهو المسؤول أمام المسلمين عن أعمال الوزراء والأمراء والولاة، وهم مسؤولون بدورهم أمامه. وكل العاملين في الولاية مسؤولون أمام الوالي الذي يرجع في الأمور الهامة إلى الخليفة.

رابعاً: كان العمران وتحقيق الصالح العام هو الهدف الأكبر من الادارة في كل الولايات ومن هنا اهتم المفكرون الاداريون بالمواصفات التي يجب تحققها فيمن يقومون بالأعمال العامة.

وكان المطلوب من كل عامل مهما يكن قدره هو أن يدير الادارة الحسنة القائمة على أساس من الحق والعدل بحيث يتساوى الجميع أمام الأحكام الشرعية، وليس للحاكم مهما يكن قدره أن يتسلط.

وكان الشرط فيه الكفاءة الادارية المستمدة من الخبرة أو من العلم بأبعاد ما يدير إلى جانب المبادىء الأخلاقية والمعايير السلوكية التي أقرها الاسلام أو جاء بها.

وفي النهاية نضع صورة بعض التوجيهات التي كان يتوجه بها عمر إلى الولاة والأمراء من جانب وإلى المواطنين من الجانب الآخر لنتعرف على بعض أصول الادارة في الاسلام من الواقع العملي.

كانت الخطوات الأولى في سبيل الادارة الحسنة هي تلك التوجيهات التي تصدر عن الخليفة عند التعيين وأثناء الادارة.

وهذه التوجيهات تتعلق بتنظيم العلاقة بين الولاة والناس أكثر مما تتعلق بشخص الوالي ومظهره العام.

كان عمر يقول للوالي: اني لم استعملك على دماء المسلمين ولا على أعراضهم، ولكن استعملتك لتقيم فيهم الصلاة وتقسم بينهم فيأهم وتحكم فيهم بالعدل.

وكان عمر يتوجه إلى الناس في مواسم الحج قائلاً: أيها الناس إني اشهدكم على أمراء الأمصار. فإني الم أبعث بهم الا ليفقهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيأهم، ويحكموا فيهم بالعدل، فان أشكل عليهم شيء رفعوه ●

الصهيونية

من فكرة خرافية إلى دولة توسعية

نشأتها وتطورها واطماعها بلبنان

العقيد الدكتور ياسين سويد





الصهيونية : من النظرية والفكرة الى التنفيذ والتحقيق

● اذا اردنا أن نحدد تاريخا نعتبره منطلقاً للحركة الصهيونية لوجدنا أن عام ١٨٨٢ هو التاريخ الملائم ، في هذا العام نشر الطبيب والمفكر اليهودي ليو بنسكر (١٨٢١ - ١٨٩٤) كتابه «التحرر الذاتي» فكان أول من اطلق الفكرة الصهيونية أو فكرة الوطن القومي اليهودي ، حين قال «الشعب اليهودي لا وطن ابويا له على كثرة أوطانه الأم ، إنه حاضر في كل مكان ، وليس له بيت في أي مكان أبداً» ، وقال في مكان آخر من كتابه «اليهود ليسوا أمة حية ، انهم غرباء في كل مكان ، لذا يحتقرهم العالم ، والحل الوحيد الصحيح ينطوي على خلق قومية يهودية وإيجاد شعب له كيانه الخاص وأرضه». وتلقف الفكرة ذاتها بعده الصحفي النمساوي الشهير تيودور هرتسل الذي اعتبر بحق مؤسس الحركة الصهيونية والأب الروحي لها ، في كتابه «الدولة اليهودية» الذي نشره عام ١٨٩٦ والذي اعتبره هو نفسه محاولة لإيجاد «حل عصري للدولة اليهودية» ، طرح هرتسل فكرة «إعادة بناء الدولة اليهودية» مبرراً ذلك بالقول ان المسألة اليهودية ليست مسألة إجتماعية أو دينية ، وإنما هي مسألة قومية لا يمكن حلها إلا على الصعيد السياسي وعلى مستوى عالمي ، وينطلق الى هذه النظرية من بؤس اليهود في العالم وعزلتهم واضطهاد باقي الأجناس لهم ، ومن ظاهرة العداء للسامية.

ورغم أن هرتسل اتى بنظريته هذه في العصر الذي عرف بعصر القوميات في اوروبا ، وفي الوقت الذي لم يعد فيه الدين ، أي دين ، يشكل قومية ، كما أن بؤس اليهود وعزلتهم واضطهادهم ، وما يسميه هرتسل بالعداء للسامية ، لم يكن ليشكل عناصر تسمح بالقول بأكثر من حركة عنصرية في الوقت الذي أصبحت عناصر تكوين أية قومية ابعد ما تكون عن هذه المبادئ ، ورغم كل المغالطات في هذه النظرية ، فقد انطلق هرتسل في المخطط الذي رسمه بذكاء ودهاء ، وكرس العقد الأخير من حياته لتطوير أفكاره هذه ونقلها الى صعيد العمل والتنظيم ، فعقد مؤتمرات صهيونية متتالية كان أولها في بال بسويسرا بتاريخ ٢٧-٣٠ آب (اغسطس) ١٨٩٧ وحدد هذا

المؤتمر هدف الصهيونية الذي تسعى لتحقيقه وهو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين. كما قرر الوسائل التي يجب اعتمادها لبلوغ الهدف وهي:

- استعمار فلسطين زراعيا وصناعيا.
- تنظيم اليهودية العالمية.
- تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي.

وتتالى بعد ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية تنفيذاً لهذه القرارات فعقد في خلال خمس عشرة سنة فقط أحد عشر مؤتمراً. ففي عام ١٨٩٨ عقد المؤتمر الصهيوني الثاني وكان هدفه اكتساب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب الحركة الصهيونية.

وفي عام ١٨٩٩ عقد المؤتمر الثالث وفيه أسس المصرف اليهودي المسمى: «صندوق الائتمان اليهودي للإستعمار» بغية تمويل النشاط الإستيطاني اليهودي في فلسطين.

وفي عام ١٩٠٠ عقد المؤتمر الرابع تحت شعار «العمل اليهودي على الأرض اليهودية».

وفي عام ١٩٠١ عقد المؤتمر الخامس وفيه أسس «الصندوق القومي اليهودي».

وفي عام ١٩٠٣ عقد المؤتمر السادس وفيه جرت مناقشة العرض الذي قدمته الحكومة البريطانية باستعمار أوغندا (بافريقيا) أو العريش. وعين المؤتمر لجنة لدرس العرض الا أن الخلاف بين المؤتمرين أدى الى رفض الإقتراح.

وفي عام ١٩٠٥ عقد المؤتمر السابع وكان ذلك بعد وفاة هرتسل بفترة قصيرة وكان النزاع قد اشتد بين الذين ارتضوا بأوغندا وطناً قومياً لليهود وبين الذين أصروا على أن تكون فلسطين ذلك الوطن. الا أن الفئة الثانية تغلبت في النهاية.

وفي عام ١٩٠٧ عقد المؤتمر الثامن وفيه اتخذت المنظمة الصهيونية قراراً بمتابعة المسعى لاستيطان فلسطين بشكل واسع ومنظم. وانشىء في يافا «مكتب فلسطين» الذي عهد اليه امر متابعة هذا النشاط الإستيطاني وتطويره. فاعتمد هذا المكتب سياسة «التغلغل الإقتصادي» بعد أن ربطها بنظرية «الحق اليهودي التاريخي في فلسطين». وقد عبر البروفسور اوتو واربورغ عن هذه السياسة بقوله: «ان الحق التاريخي الذي يستند الى ملكيتنا لفلسطين قبل ألفي سنة لا مفعول له وحده لدى الدول الكبرى. بل يتوجب علينا ايجاد صيغة عصرية لذلك الحق كي تضاف اليه... إن فلسطين تخضع اقتصاديا لنفوذنا وإن جميع ما أحرزه ذلك البلد من تقدم كبير وملموس يرجع في الأصل الى مبادرتنا نحن وقوة وسائلنا الإقتصادية وفعاليتها ولم ينشأ الا بفضلها».

وفي عام ١٩٠٩ عقد المؤتمر التاسع وفيه طرح الإقتصادي اليهودي الألماني فرانتس اوبنهايمر فكرة انشاء مستوطنات ومستعمرات زراعية في فلسطين تقوم على المبادىء التعاونية.

وفي عام ١٩١٠ عقد المؤتمر العاشر وفيه انتخب واربورغ رئيساً للمنظمة الصهيونية فأخذ يضع أفكاره موضع التنفيذ بينما أخذ اسم حايم فايتسمان يبرز في المنطقة ويستقطب حوله زعماءها.

المخطط بحذافيره:

وفي عام ١٩١٣ عقد المؤتمر الحادي عشر والأخير قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى وفيه ترأس فايتسمان اللجنة الدائمة للمنظمة وراح يسعى لدى الدول المتحاربة كي يحصل منها على براءة الإستيطان اليهودي في فلسطين وتأمين الإعتراف الدولي بها فتفتقت عبقريته عن المخطط التالي:

١ – يجب أن ينتصر الحلفاء في الحرب (العالمية الأولى).

٢ – بعد انتصارهم توضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

٣ – تقوم الدولة المنتدبة بتسهيل دخول مليون يهودي أو أكثر الى فلسطين.

٤ – ينتهي الإنتداب بعد أن يستتب الأمر لليهود في فلسطين وتتم لهم السيطرة على مقدراتها.

وتلاحقت الأحداث وفقاً للمخطط الذي وضعه فايتسمان فكان وعد بلفور في كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٧ حصيلة التحالف الصهيوني البريطاني في أثناء الحرب. وكان هذا الحدث التاريخي المصيري ذروة ما كان يحلم اليهود بتحقيقه. في أعقاب الحرب العالمية الأولى. من انتصار. وقد قال عنه الكاتب اليهودي «اشركوستلز» في كتابه «الوعد والتحقيق–فلسطين ١٩١٧–١٩٤٩» ما يلي: «لقد بلغت الحركة الصهيونية العجيبة ذروتها في وعد بلفور الشهير، وهو يمثل إحدى الوثائق السياسية الأبعد احتمالاً على مدى الأزمنة. إذ أقدمت أمة ما

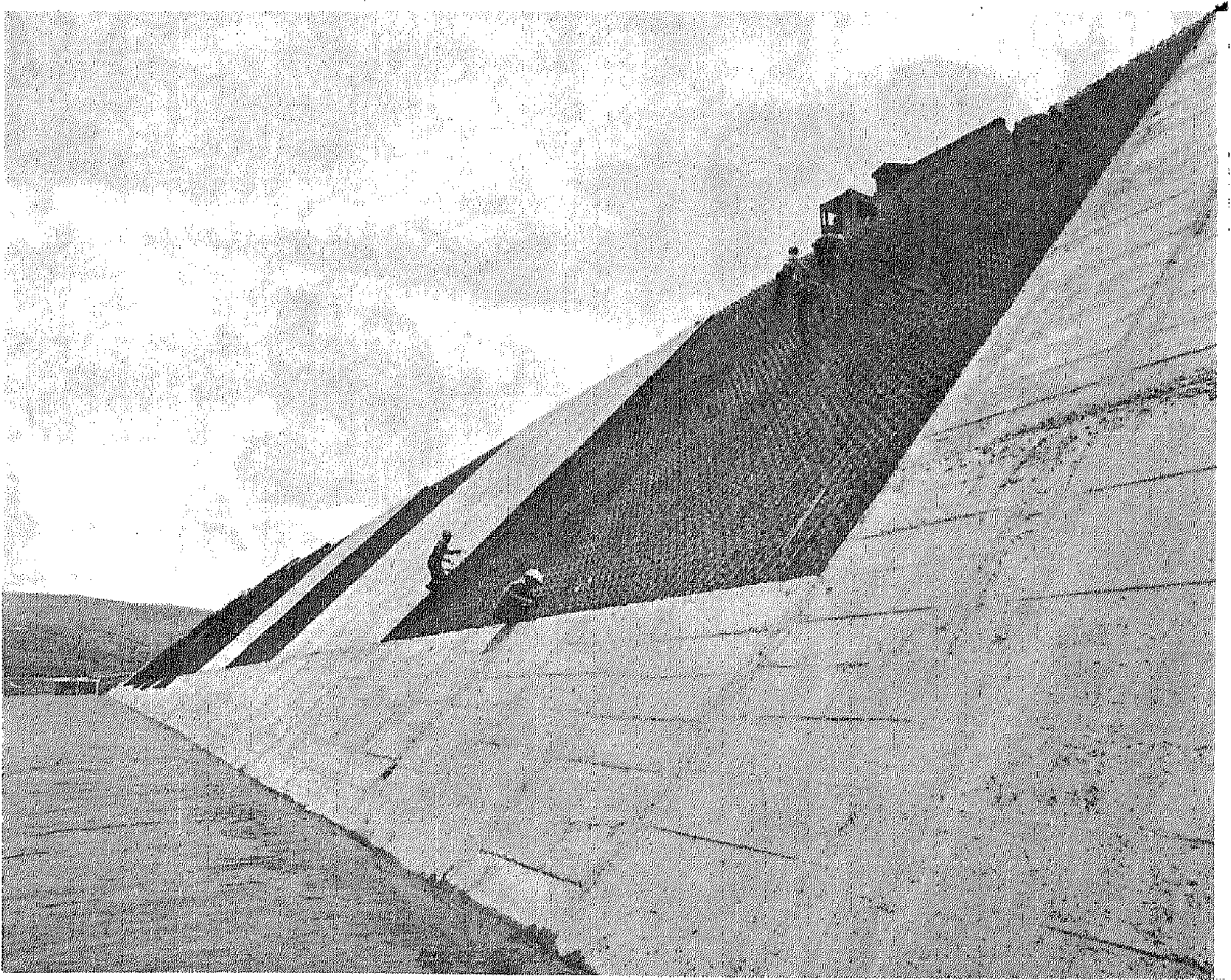


الشعب العربي... في فلسطين المحتلة أمس... وفي الجنوب اليوم...

(بريطانية) في هذه الوثيقة على وعد أمة ثانية (الصهيونية) وسط مظاهر الإجلال والمهابة ببلد يخص أمة ثالثة (عرب فلسطين)»..الا أن الحركة الصهيونية لم تتوقف، في نشاطها، عند حدود هذا الإنتصار، بل دأبت في السعي لتوسيع حدود فلسطين على حساب الدول العربية المجاورة ولبنان منها رغبة في توسيع رقعة الأرض التي سوف تتكون منها الدولة اليهودية فيما بعد.

لقد كان الحد الشمالي لفلسطين وفقاً لإتفاقية سايكس بيكو يمر بالزيب شمال عكا حتى الطابغة شمالي طبرية. وفي أوائل سنة ١٩١٨ تقدم فريق من الصهيونيين الألمان الى الدولتين التركية والألمانية بمقترحات رسمت فيها حدود الدولة اليهودية، وقد تقدموا بعرضين لهذه الحدود. الأول يجعل رأس الناقورة حدا شمالياً للدولة اليهودية المقترحة والثاني يجعل مصب الليطاني حدا لهذه الدولة. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨ رسمت اللجنة الاستشارية الصهيونية لفلسطين الحدود الشمالية للدولة اليهودية فجعلتها تمتد من الليطاني الى بانياس، وفي الوقت نفسه قام مجلس اتحاد الصهيونيين الهولنديين يطالب بتوسيع حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها حتى تشمل نقاطاً «لا تبعد عن بيروت ودمشق كثيراً».

وجاء هربرت صموئيل أول مفوض سام بريطاني في فلسطين، وكان أحد زعماء الصهيونية في بريطانيا، فاقترح أن تصل الحدود الشمالية لفلسطين (أو الدولة اليهودية) حتى الضفة الشمالية لليطاني، وحتى أقصى ينابيع الأردن قرب راشيا، وكان موقف بريطانيا والولايات المتحدة الأميركية مؤيداً لهذه المطالب الصهيونية، الا أن فرنسا وقفت بحزم في وجه هذه المطامع، وفي أثناء المفاوضات التي جرت بين فرنسا وبريطانيا لسحب قوات هذه الأخيرة من المناطق المخصصة للنفوذ الفرنسي، اقترحت بريطانيا أن تسحب قواتها الى خط يتجاوز حدود فلسطين نحو الشمال وذلك بقصد تكريس حدود جديدة لها تكون هي حدود الدولة اليهودية المرتقبة، ويمتد الخط الذي اقترحته بريطانيا من صيدا الى نقطة قريبة من راشيا ويسير عبر قمة جبل الشيخ الى نقطة تقع جنوبي دمشق، الا ان فرنسا رأت عكس ذلك تماماً، إذ رأت أن تنسحب القوات البريطانية الى خط يتجه من شمالي عكا الى طبرية، وهكذا تم الإتفاق أخيراً بين الدولتين المنتدبتين على أن تنسحب القوات البريطانية



سد القرعون على نهر الليطاني.

الى خط يمتد من الزيب الى الحولة وهو ما يقل كثيراً عن المطامع الصهيونية. وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩، عقد مؤتمر بين بريطانيا وفرنسا لتسوية مشاكل الدولتين المنتدبتين في الشرق الأوسط، وفي أثناء البحث بالحدود بين لبنان وفلسطين، تمسكت فرنسا بخط سايكس بيكو خطاً فاصلاً بين لبنان وفلسطين، بينا سعت بريطانيا جاهدة لإقناع فرنسا أن يكون الخط الحدودي الفاصل بين البلدين ممتداً من شمالي عكا الى حيث يستدير الليطاني نحو الغرب قبل مصبه، فجبل الشيخ، وقد انتهى المؤتمر بتمسك فرنسا بوجهة نظرها.

وأمام هذا الموقف الفرنسي المتصلب، تراجع الصهيونيون عن مطالبهم الإقليمية بالأرض اللبنانية وأعلنوا أنهم يقبلون بالإستفادة من مياه الليطاني دون أية مكاسب اقليمية في وادي ذلك النهر، وفي كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠ وقع على اتفاق الحدود بين بريطانيا وفرنسا ورسم الحد الشمالي لفلسطين بحيث يمتد من رأس الناقورة غرباً حتى المالكية فالمطلة شرقاً.

وحين صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ أدخل الجليل الأعلى ضمن حدود الدولة العربية الفلسطينية التي أقرها. هذا القرار فشكل عازلاً بين اسرائيل ولبنان. الا أن اسرائيل لم تلبث أن استولت على الجليل الأعلى دافعة بحدودها نحو الشمال حتى أصبحت مجاورة لحدود لبنان.

الأطماع الصهيونية بلبنان:

مما تقدم، يتبين أن الصهيونية قد خططت منذ نشأتها، لدولة توسعية تجتاح في توسعها، بالإضافة الى فلسطين، أجزاء من أراضي الدول العربية المحيطة بها، وخاصة لبنان، ولم تبق اطماع الصهيونية بلبنان قائمة على صعيد نظري فقط، بل قد تبين لنا مدى الجهد الذي بذله زعماؤها، خاصة قبل قيام اسرائيل في سبيل الحصول على جزء من هذا الوطن.

والسؤال الذي يطرح: لماذا تطمع اسرائيل بالتوسع على حساب لبنان؟ وما هي بواعث هذا الطمع؟

يمكن تلخيص هذه البواعث بما يلي:

١ - الباعث الديني:

وهو أحد أهم البواعث التي تدعو اسرائيل للطمع بلبنان والتوسع على حسابه، فإذا اعتبرنا أن

الصهيونية بحد ذاتها، حركة قائمة في الأساس على فكرة دينية، رأينا أنها تحلم بإنشاء دولة يهودية تنطبق عليها أوصاف أرض الميعاد التي ورد ذكرها في التوراة.

فماذا تقول التوراة عن أرض الميعاد هذه:

– جاء في سفر التثنية (اصحاح ١١ فقرة ٢٤): «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم».

– وجاء في سفر يشوع (اصحاح ١ فقرة ٣ و ٤): «كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم».

– وجاء في سفر التكوين (اصحاح ١٥ فقرة ١٨): «في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك اعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات».

– وجاء في سفر العدد (اصحاح ٣٤ فقرة ١–١٢). «وكلم الرب موسى قائلاً: أوص بني اسرائيل وقل لهم انكم داخلون الى أرض كنعان، هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيبا، ارض كنعان بتخومها» وبعد أن يحدد تخوم ارض اسرائيل هذه جنوباً وشرقاً بأسماء لم تعد متداولة اليوم، وغرباً «وأما تخوم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تخماً. هذا يكون لكم تخم الغرب» يعود فيحدد تخم الشمال قائلاً: «وهذا يكون لكم تخم الشمال، من البحر الكبير ترسمون لكم الى جبل هور (وجبل هور هو إما حرمون حسب رأي بطليموس، أو جبل المدار الواقع جنوبي غربي البحر الميت، حسب رأي المؤرخين المحدثين) ومن جبل هور ترسمون الى مدخل حماة وتكون مخارج التخم الى صدد». (ويعتقد بعض المؤرخين أن صدد هذه كانت تقع في شمال لبنان بين النهر الكبير ونهر عكار).

يتبين من هذه الأقوال الواردة في التوراة، ومن أقوال سواها أن ارض الميعاد التي تستند اليها الصهيونية لتحديد دولتها اليهودية محددة في هذه النصوص تحديداً عاماً، في بعض الأحيان، مثل: البرية ولبنان، جميع أرض الحثيين، من نهر مصر الى نهر الفرات.. وفي احيان أخرى تحديداً مفصلاً مع ذكر أسماء لأماكن انقرضت وأصبحت غير معروفة في جغرافية اليوم، ولكننا نجد أن معظم هذه النصوص، إن لم يكن جميعها، يورد اسم لبنان ضمن ارض الميعاد المزعومة.

وللتأكيد على أهمية الباعث الديني لدى الصهيونية في تحديد الدولة اليهودية، وعلى أن لبنان، أو قسماً منه يدخل في نطاق هذه الدولة، كتب الحاخام ايزاكس سنة ١٩١٩ كتاباً رسم فيه حدود الدولة اليهودية وفقاً لما ورد في سفر العدد بالتوراة مدعياً أن هذه الحدود هي الحد الأدنى الذي يرضى به اليهود لدولتهم، وقد شملت الحدود التي رسمها ايزاكس لبنان كله اذ امتدت من الحدود التركية شمالاً الى أواسط النقب جنوباً.

ولم يكن الحاخام ايزاكس الصهيوني الوحيد الذي تخيل حدود الدولة اليهودية المزعومة حينذاك ورسمها في مخيلته وأدخل لبنان ضمنها، بل تخيلها كثير من مفكري اليهود ورسموها، محاولين تحديد الأماكن التي وردت في التوراة على الأرض ووفقاً للأماكن الجغرافية الحالية، ولم يكن الخلاف بينهم الا على تصور هل أن لبنان كله، أم جزءاً منه، يقع ضمن حدود هذه الدولة.

ولقد بدا واضحاً خطر هذه الدعوة الصهيونية لضم قسم من أرض لبنان الى الدولة اليهودية عندما طالبت المنظمة الصهيونية مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ بضم جنوبي لبنان لدولة اسرائيل المزمع انشاؤها، وما زال هذا الخطر ماثلاً خاصة عندما ندرك أن اعلان الإستقلال للدولة اليهودية التي انشئت عام ١٩٤٨ لم ينص على حدود لها لأن هذه الدولة التي قامت على الأرض العربية في فلسطين منذ ربع قرن لم تكتمل بعد جغرافياً في نظر قادتها.

٢ – الباعث الجغرافي – الاقتصادي أو باعث الحاجة الى المياه:

لقد خصّ الله لبنان بميزة حرمت منها الأراضي المجاورة له، خاصة أرض فلسطين، وهذه الميزة هي وفرة المياه فيه، وهذا ما أثار طمع اليهود الذين خططوا للدولة اليهودية معتمدين على أملهم في الحصول على المياه اللبنانية من الليطاني لري صحراء النقب وسواها، فالخطة الصهيونية تقضي باعمار كل الأراضي التي ستقوم عليها الدولة اليهودية وذلك لكي تتمكن هذه الأرض من استيعاب أكبر عدد من المهاجرين اليهود، وذلك يتطلب ولا شك ماء وفيرا

الأمر. الذي كانت هذه الدولة وما تزال تفتقر اليه.
من هنا. كانت المصادر المائية عاملاً حاسماً ورئيسياً في رسم حدود الدولة اليهودية. فقد طالب المشروع الذي قدمته المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ بادخال ضفتي نهر الليطاني ضمن حدود الدولة اليهودية. كما ألح يهود بريطانيا عام ١٩١٦ على حكومتهم أن تجعل الحدود الشمالية لإسرائيل تصل الى الضفة الشمالية لنهر الليطاني كي يتسنى لهذه الدولة الإستفادة من مياهه. الا أن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل وذلك بسبب الموقف الصامد والمتعنت الذي وقفته فرنسا في وجه هذه المحاولات. وحين وقع الإتفاق على حدود لبنان وفلسطين بين الدولتين المنتدبتين. بريطانيا وفرنسا. اصرت فرنسا على أن تكون حدود لبنان. جنوبي نهر الليطاني وأن يكون هذا النهر بكامله ضمن أرض لبنان.

وما أن قامت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى عاود اليهود الكرة محاولين بجميع الوسائل الحصول على مياه الليطاني. فبالإضافة الى المشروع الذي أعدته المنظمة الصهيونية عام ١٩٤٣ لإستثمار مياه الليطاني في فلسطين وذلك بواسطة جرها بقنوات من عند النقطة التي ينحرف فيها هذا النهر غرباً نحو البحر. أثار مندوبو اسرائيل في اجتماعات لجنة التوفيق الدولية سنة ١٩٤٩ مسألة مياه الليطاني مما دعا اللجنة المذكورة لأن توصي باستثمار ٧/٨ مياه الليطاني في اسرائيل وذلك بتحويله الى وادي الأردن. وكانت حجة اسرائيل في ذلك أن مياه الليطاني تفيض عن حاجة لبنان وتذهب الى البحر هدرا.

وفي سنة ١٩٥٤، ورداً على مشروع جونستون لإستثمار مياه الأردن، وضعت اسرائيل مشروعا آخر اسمه (مشروع كوتون) (cotton) ضمنته خططاً مفصلة لإستثمار مياه الليطاني بحيث تستفيد منه بمقدار ٤٠٠ مليون متر مكعب، وهي المياه التي تسميها (فائض الليطاني) فتستثمر هذه الكمية في مشروع ضخم للري باسرائيل بحيث تروي نحو مليون و ٨٠٠ الف دونم من أراضيها. ولم يترك مشروع كوتون هذا للبنان من مياه الليطاني سوى ما يكفي لري ٣٥٠ الف دونم فقط.
وعندما فكر لبنان جدياً باستغلال مياه الليطاني وأوجد المشروع المسمى بمشروع الليطاني لم ير موشي شاريت، أحد رؤساء الحكومة السابقين في اسرائيل، افضل من القول بأن استثمار لبنان لمياه الليطاني سوف يخلق لاسرائيل مشاكل اقتصادية. وأن أكبر خطأ ارتكبته دولته هو عدم تضمينها مياه الليطاني في مشاريعها التوسعية. بينما اقترحت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» أن يتم استثمار مياه االليطاني على وجه اقليمي. حتى أن ليفي اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي عام ١٩٦٨ صرح أمام الفيلسوف سارتر بأن اسرائيل قُسِّمت ثلاث مرات الأولى عندما أخرج نهر الليطاني والحاصباني من حدود الدولة اليهودية. والثانية عندما اخرجت الضفة الشرقية للأردن من حدود وعد بلفور والثالثة قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧.
وفي وثيقة سرية أعدها بن غوريون في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤١ بعنوان «خطوط هيكلية للسياسة الصهيونية» وسرقها عملاء بريطانيون من حقيبته في أثناء وجوده بلندن ذلك العام. وأعادتها السفارة البريطانية في اسرائيل الى وزارة الخارجية الإسرائيلية بعد مرور ٣٠ سنة على إخفائها. في هذه الوثيقة. يذكر بن غوريون أن حدود الدولة اليهودية المزمع انشاؤها تشمل شرقي الأردن ولكنه ينصح بعدم اعلان ذلك مؤقتاً لأغراض تكتيكية. كما يذكر أن «أراضي النقب القاحلة وكذلك مياه نهري الأردن والليطاني يجب أن تكون مشمولة داخل حدودنا».
كما نشرت مجلة «جويش اوبزرفر أند ميدل ايست ريفيو» في عددها الصادر في ١٩٧٣/١١/١٦ رسالة وجهها حاييم فايتسمان في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٩ الى ديفد لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية حول الحدود الشمالية لفلسطين مؤكدة أن هذه الرسالة تنشر لأول مرة نقلاً عن محفوظات فايتسمان في معهد روحوفوت باسرائيل. وفيما يلي مقتطفات من الرسالة كما وردت في المجلة المذكورة:
«الى دولة الرئيس د. لويد جورج
«سيدي. في اللحظة التي توشك فيها على أن تشترك مع زملائك في المفاوضات النهائية التي سيتوقف عليها مصير فلسطين، تود المنظمة الصهيونية أن تتوجه اليك في موضوع يسبب لها اعمق القلق الا وهو مسألة حدود فلسطين الشمالية.
«وضعت المنظمة الصهيونية، منذ البدء، الحد الأدنى من المطالب الأساسية لتحقيق الوطن القومي اليهودي، ولا داعي الى القول إن الصهيونيين لن

يقبلوا. تحت أية ظروف. خط سايكس بيكو حتى كأساس للتفاوض. انه لا يقسم فلسطين التاريخية ويقطع منبع المياه الذي يزود الليطاني والأردن فحسب بل يفعل اكثر من ذلك كثيرا. إنه يحرم الوطن القومي اليهودي بعض أجود حقول الإستيطان في الجولان وفي حوران التي يعتمد عليها. الى حد بعيد. نجاح المشروع بأسره». ويتابع فايتسمان رسالته قائلاً:

«بينما كانت حدود فلسطين التاريخية عرضة للتغيير المستمر تبعاً لمصائر اسرائيل المتغيرة. كانت حدود فلسطين الطبيعية التوراتية في الشمال تمتد شرقاً على طول سفوح حرمون موطن قبيلةدان الجبلي، الى جانب الليطاني في الشرق حيث يبدأ الإنفصال بين جبال لبنان الغربية وجبال لبنان الشرقية بسلسلةمن الهضاب المرتفعة»

ويقول في مكان آخر من الرسالة: «إن مستقبل فلسطين الإقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها للري والقوة الكهربائية، وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع الأردن ونهر الليطاني» ويبرر فايتسمان في رسالته مطالبته بمياه الأردن والليطاني بان فلسطين بلد يفتقر الى الثروة الطبيعية كما يفتقر الى الوقود «إذ لا فحم فيها ولا حطب ولا وجود للنفط» وللتعويض عن هذه النقائص «زودت الطبيعة فلسطين بموارد مائية هائلة هي مياه الأردن وشلالاته للطاقة الكهربائية ومياه الليطاني للري المباشر أو لتحويلها الى الأردن أو لتخزينها في وادي الليطاني واستثمارها بعد ذلك». ويتابع:

«ولهذه الأسباب، نرى من الضروري أن يضم حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني الى مسافة نحو ٢٥ ميلا فوق المنحنى، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية. لضمان السيطرة على منابع الأردن. وإتاحة إعادة تحريج هذه المنطقة». ثم ينهي رسالته بقوله: «إن اي تنازل عن هذه المطالب لا يمكن أن يعتبر من وجهة نظر صهيونية. سوى كارثة خطرة».

٣ – الباعث الإستراتيجي:

نشرت جريدة «فلسطين» اليهودية الصادرة بالإنكليزية عام ١٩١٧ مقالاً «تحدد فيه العوامل التي يجب أن تتوفر في الأرض التي سوف تقوم عليها الدولة اليهودية. وهي:

١ – سهولة الدفاع.

٢ – مساحة كافية للتوسع الإقتصادي.

٣ – شمول جميع المناطق التي يمكن أن تشكل خطراً على الدولة في المستقبل.

وقالت أن حد هذه الدولة من الشمال هو «الحد الاستراتيجي الطبيعي الشمالي لفلسطين،» أي القطاع الذي يقع من صيدا الى أقصى الحد الجنوبي للبنان «وأن الحد الطبيعي الآخر وهو وادي البقاع وجبل الشيخ».

يتبين لنا إذن أنه. بالإضافة الى العوامل الإقتصادية والتاريخية والدينية، تبحث الصهيونية دوماً عن العوامل الإستراتيجية والحيوية لرسم حدود دولتها. لهذا تصور بعض المفكرين الصهاينة أن الحدود المثلى لإسرائيل تمتد من البحر المتوسط غرباً الى سفوح لبنان ومنابع الأردن وقمة جبل الشيخ شمالاً فالصحراء السورية شرقاً فالعقبة جنوباً.

وقد تمكنت اسرائيل في حرب الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من تحقيق معظم ما رسمته لنفسها من حدود فاحتلت سيناء والضفة الغربية من نهر الأردن ومرتفعات الجولان السورية وجبل الشيخ. فأضحت حدودها مع مصر والأردن وسوريا طبيعية ولم يبق أمامها الا تعديل حدودها مع لبنان بشكل يتلاءم ومصلحتها. وذلك ما جعل موشي دايان وزير الدفاع الإسرائيلي يصرح في تشرين الأول (اوكتوبر) عام ١٩٦٧ يقوله: «إن حدود اسرائيل طبيعية مع جاراتها باستثناء لبنان». وأخطر من ذلك كله ما اشار اليه الصحفي الهندي «كارنجيا» في كتابه «خنجر اسرائيل». نقلاً عن تقرير اسرائيلي تمكن من الإطلاع عليه. وقد جاء في التقرير ما يلي: «يمكن تأمين سلامة مناطقنا الحيوية في الشمال بانشاء خط دفاعي على محاذاة نهر الليطاني وبذلك نحمي الجليل وحيفا. إن احتلال الجليل حتى نهر الليطاني سيسهل الدفاع عن الحولة وسيعزل كذلك لبنان عن سوريا». وجاء في التقرير نفسه: «إن الاستيلاء على مرجعيون – زحلة. الشوف. عن طريق بيروت – دمشق. سيعزل الجيش السوري. والإستيلاء على رياق سيمنع تدخل اي جيش عربي لمساعدة سوريا، واحتلال بيروت واللاذقية سيحرم سوريا ولبنان الطرق البحرية. والاستيلاء على نهر الليطاني سيبعد الجيشين اللبناني والسوري عن حدود اسرائيل الشمالية».

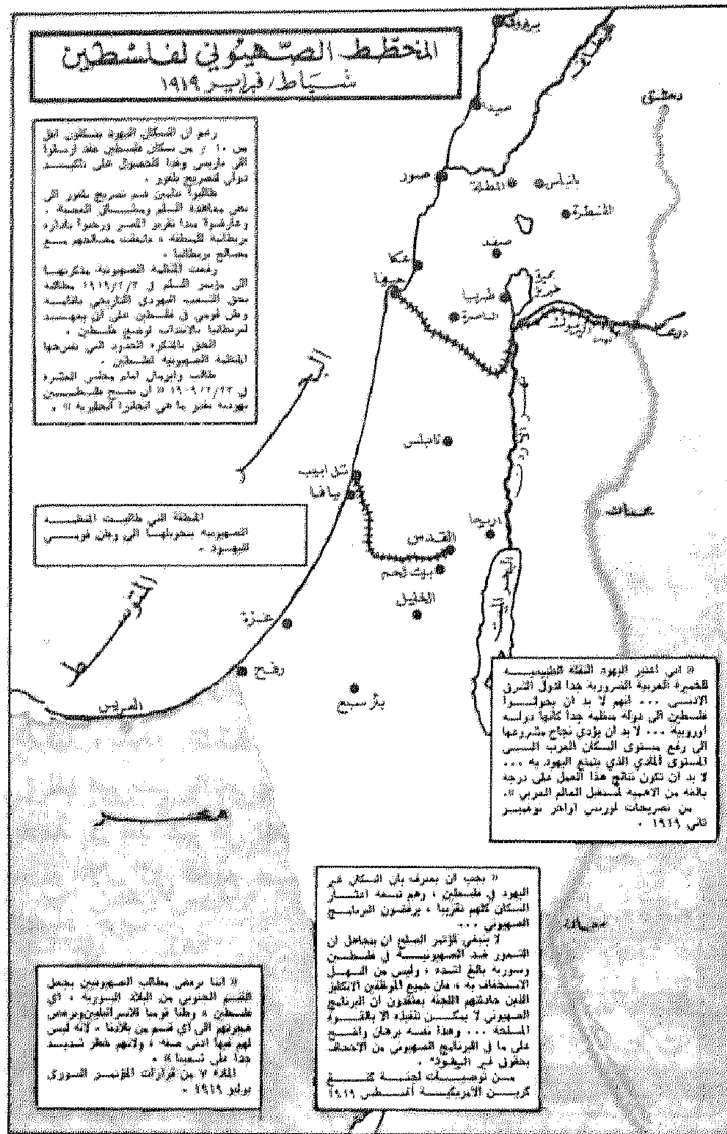
بالإضافة الى هذه البواعث، فان لدى اسرائيل باعثاً آخر ربما يوازي في الأهمية هذه البواعث جميعها بل هو الذي كان وراء الدور الخطير الذي لعبته هذه الدولة في الحرب اللبنانية الأخيرة، ولا تزال، هذا الباعث هو رغبة اسرائيل الجامحة في أن تحتل المكانة التي كان لبنان يحتلها في المشرق العربي والعالم، قبل أن تجتاحه نار الحرب الأهلية التي التهمت كل إمكاناته وقضت على كل طموحاته، فقد كان لبنان، قبل هذه الحرب، يتميز بأدوار ثلاثة هي نقيض كل ما اتت به اسرائيل وما قامت عليه من خصائص وميزات، ويمكن تلخيص هذه الأدوار بما يلي:

١ - الدور الإجتماعي:

كان لبنان، بتشكيله الطائفي والإجتماعي، يعتبر تحدياً صارخا لجميع المقومات التي بني عليها المجتمع الإسرائيلي والدولة الاسرائيلية، فلا غرابة إذن أن نجد منظمة التحرير الفلسطينية تضع لبنان نموذجاً للدولة التي تنشدها كبديل لإسرائيل على أرض فلسطين، ولا غرابة كذلك في أن نجد الكثير من أحرار العالم يؤيدون هذه الفكرة ويقتنعون بها. أما اسرائيل، فهي مجتمع عنصري قائم على اعتبار اليهودي اساس الكيان وصاحب الدولة، وما عداه إن هو إلا غريب عن الوطن دخيل عليه. وحتى اليهودي نفسه، في المجتمع الإسرائيلي، يخضع للتمييز العنصري، فاليهودي الشرقي هو من طبقة دون طبقة اليهودي الغربي أو الأوروبي، وإذا كان الإنسان اللبناني قديماً في أرضه قدم لبنان، ثابت الجذور في التربة التي يعيش عليها، فالإنسان الإسرائيلي جديد على أرض جلب اليها جلباً واستعملت الصهيونية لجلبه كل الوسائل والمغريات، فإذا بالمجتمع الإسرائيلي اليهودي خليط من كل أمم العالم وشعوب الأرض، لا رابطة بين الناس في هذا المجتمع الا رابطة الدين، وهي، في القرن العشرين، رابطة هشة لم تعد تكفي لتكون أمة أو تصنع مجتمعاً وشعباً ودولة.

ويقسم اليهود في المجتمع الإسرائيلي الى فئتين: فئة اليهود الشرقيين (السفارادیم) الذين يشكلون نحو ٦٠٪ من السكان اليهود، وقد جاء معظمهم من البلاد المجاورة كالعراق وسورية ومصر واليمن وشمال افريقيا، وفئة اليهود الغربيين (الأشكنازيم) الذين يشكلون نسبة ٤٠٪ من السكان اليهود وقد جاؤوا من أوروبا الشرقية كبلغاريا وبولونيا ورومانيا ومن بعض بلاد أورروبة الغربية ومن روسيا وأميركا، وتختلف الأوضاع الإجتماعية لهاتين الفئتين من نواح عديدة، فبينما نجد اليهود الغربيين (ويسمون أنفسهم البيض) مثقفين ومتحضرين، نجد الكثير من اليهود الشرقيين (أو السمر كما يسمونهم) أميين وغير متحضرين، ويعيش الغربيون في يسر نسبي في المدن بينما يعيش الشرقيون في الأرياف ويمارسون الحرف البسيطة التي لا تدر ارباحاً. ويلاحظ التمييز العنصري بشكل كبير في الجيش والحكومة، فلا يوجد، مثلاً، في قيادة الجيش الإسرائيلي، إلا قلة من اليهود الشرقيين. وكل القادة هم من اليهود الغربيين، كما أن اليهود الشرقيين لا يمثلون بأكثر من وزير أو إثنين في الحكومة، ويمتد هذا التمييز الى الوكالات اليهودية والأحزاب السياسية ومؤسسات الإعلام وغيرها.

وبالإضافة الى التمييز العنصري بين اليهود أنفسهم شرقيين وغربيين، لا حاجة بنا للحديث عن التمييز العنصري بين اليهود والعرب، فالكل يعلم أية معاملة يلاقيها العرب المقيمون في دولة اسرائيل، وقد كتب العديد من الأحرار في الشرق والغرب الكثير عن هذا الموضوع. ويطلق اليهود على العرب المقيمين في اسرائيل اسم الأقلية العربية إذ إن عددهم لا يتجاوز ال ٤٠٠ الف عربي أي نسبة ١٠٪ من مجموع سكان اسرائيل (هكذا كانت نسبة اليهود في فلسطين قبل الإحتلال عام ١٩٤٨). ويتمركز العرب في اسرائيل في ثلاث مناطق هي: الجليل في الشمال والمثلث في الوسط والنقب في الجنوب، وتستوعب هذه المناطق نحو ٧٥٪ من السكان العرب في اسرائيل وهم يعيشون على الأعمال الزراعية، بينما يسكن الباقون منهم بعض المدن مثل الناصرة وحيفا وعكا وشفاعمرو ويافا واللد والرملة وتعتبر السلطات الإسرائيلية السكان العرب مواطنين من الدرجة الثانية وتعاملهم على هذا الأساس وتخضعهم لمختلف أنواع الإضطهاد والتمييز السياسي والإقتصادي والثقافي. حتى أن اسرائيل قد سنت قوانين تقضي بمصادرة حقوق العرب العامة والخاصة وحرياتهم السياسية بقصد تشريدهم والتخلص منهم. ولعل أقسى هذه القوانين وأكثرها ظلماً للعرب هو نظام الأحكام العسكرية المطبق على المناطق العربية، وهو ينص على الرقابة المستمرة والشديدة وتحديد حرية التنقل وحرية الكلام والتعبير والصحافة، حتى أنه يجيز للحاكم العسكري الإسرائيلي أن يغلق بعض المناطق في



في اسرائيل هي دولة دينية تعتمد في الأساس على وجه السكان العرب كما يجيز ترحيلهم من مناطقهم الى مناطق اخرى وأن يفرض عليهم الإقامة الجبرية في أماكن نائية، وعندما نقول السكان العرب نعني بذلك المسيحيين منهم والمسلمين على حد سواء، باستثناء اليهود العرب الذين يعتبرون مواطنين اسرائيليين كاملي الحقوق، وان تميز عنهم، كما قدمنا، أولئك اليهود المتحدرون من أصل أوروبي أو أميركي. بعد كل ما تقدم،يتبين لنا كم هو تحد لإسرائيل، وربما كم هو خطر عليها، أن يكون بجوارها على حدودها، مجتمع غير طائفي وغير عنصري كالمجتمع اللبناني الذي كان، فلا غرابة إذن أن يكون أحد هموم اسرائيل هو تهديم هذا المجتمع وتخريبه.

والى جانب التمييز العنصري، يتميز المجتمع الإسرائيلي بالتعصب الديني ولا نجد غرابة في ذلك فالدولة القائمة الدين الذي هو اليهودية، وهو امر ترفضه المفاهيم الحضارية في عصرنا، كما لا تزال ترفضه الأكثرية اللبنانية رغم ما مر عليها في هذه الحرب من ويلات.

٢ – الدور الإقتصادي:

كان لبنان يتميز، في المجال الاقتصادي، بأنه باب الشرق وميناؤه إلى الغرب. فهو ذو موقع جغرافي ممتاز بحكم وجوده على شاطئ البحر المتوسط ويتبع نظاماً اقتصادياً حراً يجتذب رؤوس الأموال في عالم عربي تتخبط فيه الأنظمة الإقتصادية ما بين رأسمالية واشتراكية، فإذا به يصبح مركزاً تجارياً ومالياً لجميع بلدان الشرق الأوسط، كما كان يمتاز اقتصاده بأنه اقتصاد خدمات أكثر منه اقتصاد صناعة، بل يكاد يكون البلد الوحيد في المشرق العربي الذي يمتاز بهذه

الميزة الاقتصادية. وذلك ما يثير الرغبة لدى اسرائيل بأن تنافس لبنان على دوره هذا وكلنا يعلم ما لها من تفوق تقني وعلمي على البلدان العربية ولبنان منها ولا غرو فهي تختار مهاجريها من طبقة معينة من اليهود وهي تلحّ باختيارها على اليد العاملة الماهرة والفكر التقني والعلمي وعلى اليهودي المثقف، كما أن خبرة يهود العالم وتجاربهم وأدمغتهم كلها بتصرف الدولة اليهودية، ولها ما للبنان من موقع جغرافي مميز على شاطئ البحر المتوسط. والإقتصاد الإسرائيلي، وإن حدد نظرياً انه اقتصاد اشتراكي النزعة، إلا أنه في الواقع غير ذلك تماماً، فالدولة في اسرائيل لا تمتلك من الإنتاج سوى جزء يقل عن النصف، بينما يمتلك القطاع الخاص معظم رؤوس الأموال الصناعية، بعكس ما هو مألوف في الاقتصاد الاشتراكي لذا يرى كثير من الاقتصاديين أن الإقتصاد الإسرائيلي يميل ميلاً واضحاً إلى الرأسمالية. إذ أنه يؤكد المبادرة الفردية ويشجع الملكية الخاصة (ما عدا القطاع الزراعي) لذا فهو يتميز بالتجريبية دون المذهبية الجامدة، وهو يعتمد إلى حد كبير على المعونات الخارجية خاصة وأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري والإقتصاد الإسرائيلي اقتصاد حرب.

إذن، فالإقتصاد الإسرائيلي، بميزاته التي عددناها، والتي تلتقي الى حد كبير بميزات الإقتصاد اللبناني من حيث تغلب القطاع الخاص في كثير من المجالات ومن حيث المبادرة الفردية، ثم ما يمكن أن يتوفر لهذا الإقتصاد، في معظم المجالات (وخاصة مجالي الخدمات والصناعة) من امكانات تفوق الى حد كبير الإمكانات المتوفرة في لبنان، كل هذا يشكل تحديا للاقتصاد اللبناني وبالتالي خطراً عليه، فإذا قدر لاسرائيل أن تستقر وأن يتحول مجتمعها من مجتمع عسكري الى مجتمع مدني، واقتصادها من اقتصاد حرب الى اقتصاد سلم، علينا عندها أن نحسب، نحن اللبنانيين، لذلك الف حساب، إذ أن الصناعة الاسرائيلية سوف تغمر ولا شك الأسواق العربية وسيصبح قطاع الخدمات (وخاصة الخدمات المصرفية) متفوقاً في اسرائيل عليه في لبنان، إذ أن لليهود اختصاصا متميزاً في هذا المجال كما نعلم، وربما سوف نرى رؤوس الأموال العربية تفلت من أيدينا وتتسرب من مصارف بيروت لتستقر في مصارف تل ابيب. حتى السياحة سوف يصبح من العسير علينا أن نبقيها كما هي عندنا اليوم. وبكلمة، علينا أن نفكر كثيرا، وأن نعمل كثيراً وأن نأخذ زمام المبادرة في كل مجال من مجالات الإقتصاد، لكي نتمكن من أن نرد التحدي الإسرائيلي وأن نطمح للتغلب عليه.

٣ – الدور الحضاري:

عرف لبنان في العالم أنه نافذة الشرق الروحية والحضارية على الغرب، وذلك بحكم اتصاله الوثيق به منذ قرون، وبحكم موقعه الجغرافي على شاطئ البحر المتوسط، وجاءت اسرائيل، بكل ما تحمله من الغرب من حضارة، جاءت الى المشرق العربي لتكون كما يتحدث عنها مفكرو الغرب من مناصريها ومؤيديها، واحة الحضارة الغربية في صحراء التخلف الشرقي (أو العربي).

وهكذا فقد كان وجود اسرائيل حضارياً في قلب هذا العالم تحدياً للبنان بالذات، وتحدياً للمجتمع اللبناني الذي كان، الى ما قبل انشاء اسرائيل نافذة العالم العربي على الغرب وحضارته.

والآن، وبعد كل الذي جرى على الأرض اللبنانية في خلال السنوات الأربع المرة التي انصرمت، وبعد أن هدمنا بأيدينا كل شيء، وقضينا على جميع أوجه الحضارة والإنسانية التي كانت متألقة في هذا البلد، وبعد أن استقرت اسرائيل في قلب العالم العربي كدولة وكمجتمع، وتحولت من «دولة مصطنعة» في هذا المشرق العربي الى دولة قادرة وقوية ومتحكمة، ماذا بقي لنا، نحن اللبنانيين، الذين خسرنا في هذه السنوات الأربع كل شيء، وربحت اسرائيل في رهانها علينا كل شيء، ماذا بقي لنا سوى أن نضاعف الجهود كي نعيد بناء الوطن المهدم والمحترق، ونرد التحدي، ونكون في مستوى المهمة التي انتدبنا انفسنا لها منذ زمن طويل؟. ●

مراجع البحث

● «القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني» الصادر عن قيادة الجيش اللبناني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت.

● «العرب في اسرائيل»، لصبري جريس.

● نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت.

● «اسرائيل الكبرى»، للدكتور اسعد رزوق.

● «الإقتصاد الاسرائيلي»، للدكتور يوسف صايغ.

● «تاريخ الحركة الصهيونية»، للدكتور الن تايلر، ترجمة بسام أبو غزالة.

د. محمد يوسف نجم



نجيب الريحاني

أوليـــاتــه بين الهوايــة والاحتراف (١٩٠٤ – ١٩١٦):

● يذكر الريحاني في مذكراته ان أول مسرحية اشترك في تمثيلها كانت مسرحية «الملك يلهو» التي ترجمها أحمد كمال رياض بك[١]، عن مسرحية فكتور هيجو. ولدينا خبر يفيد ان هذه المسرحية مثلتها فرقة من الهواة تدعى «محفل الهلال الأدبي التمثيلي» بتياترو عبد العزيز يوم الاثنين ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٤[٢]، ثم مثلتها يوم السبت ١٨ شباط (فبراير) ١٩٠٥[٣]. ويوم الخميس ٩ آذار (مارس) ١٩٠٥[٤]. وهنالك أيضاً خبر يفيد ان جوق اسكندر فرح مثل هذه المسرحية بهذه الترجمة على مسرحه بتياترو عبد العزيز في أيار (مايو) ١٩٠٦. واختتمت بقصائد يلقيها عزيز عيد[٥] ولا أعلم ان هذه المسرحية مثلت قبل ذلك. ومن هنا يمكننا أن نؤرخ بداية اتصال الريحاني بالمسرح، خارج نطاق الحفلات المدرسية، بأواخر سنة ١٩٠٤ أو أوائل سنة ١٩٠٥ أو أيار (مايو) ١٩٠٦. وأنا أرجح التاريخ الأخير لأنه كان آنذاك موظفاً في البنك الزراعي. وكان عزيز عيد زميله في ذلك البنك.

وابتداء من أيلول (سبتمبر) ١٩٠٧ عمل الريحاني ممثلاً في جوق عزيز عيد وسليمان حداد الذي استمر نشاطه حتى أيار (مايو) ١٩٠٨. وكانت تسند إليه في هذا الجوق أدوار ثانوية[٦].

وقد أقيل من عمله في البنك بسبب إهماله، فلاذ بقهوة الفن المجاورة لمسرح اسكندر فرح بشارع عبد العزيز.

ثم أسس وبعض أصدقائه «جمعية ترقي التمثيل العربي». وقد بسط غايتها في كتاب وجهه إلى جريدة الأهرام، قال فيه:

لمّا كان فن التمثيل هو الفن الوحيد الذي ينمي الشعور والعواطف.

ولمّا كان هذا الفن ساقطاً لا يلتفت إليه في القطر المصري بعكس البلاد الأوروبية، عزمنا بحوله تعالى على احياء هذا الفن بكل قوانا. نحن بعض المتخرجين من المدارس الثانوية وبعض المستخدمين في القاهرة. واتيناكم بهذه العجالة آملين ان تبدوا آراءكم في هذا الصدد.

ثم إننا عزمنا أيضاً على انشاء جمعية للخطابة تنعقد في كل اسبوع مرة. ونحن الآن على وشك انتهاء هذا العمل وكل آت قريب. فأملنا أن تحثوا أهل العلم والأدب. كما اننا سننشر على صفحات الجرائد موعد افتتاح هذه الجمعية ونرسل لأرباب الأدب أوراقاً للحضور[٧].

وقد استهلت الجمعية نشاطها بتمثيل مسرحية «شهيدة العفاف» في تياترو عبد العزيز. وذلك يوم الجمعة، ٤ تموز (يوليو) ١٩٠٨[٨]. وكانت حفلة خاصة



الريحاني مع أسرة فيلم «غزل البنات» محمد عبد الوهاب، يوسف وهبي، أنور وجدي وليلى مراد.

بالصحفيين. واعادت تمثيلها يوم الأحد ١٢ تموز (يوليو)[٩]. وكانت الجمعية تنشط في الصيف وتفتر في الشتاء لأن أعضاءها كانوا من الطلبة والموظفين[١٠].

وفي تلك الأثناء، كما تروي المذكرات، عرض عليه أمين عطا الله ان يلتحق بجوق أخيه الأكبر سليم في الاسكندرية. فقبل نجيب العرض ومثل مع الفرقة مسرحية «شارلمان»، التي ترجمها أديب أسحق، وكان دوره فيها دور شارلمان نفسه[١١]. واقدّر، استناداً إلى أخبار هذا الجوق التي لدي، ان ذلك كان في يوم الاربعاء ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٠٩[١٢].

وبقي الريحاني على هذا الحال حتى اضطرته ظروفه القاسية، وهي ظروف كل فنان آنذاك، إلى الالتحاق بوظيفة في شركة السكر بنجع حمادي. واستمر في وظيفته هذه سبعة أشهر، اقيل بعدها فعاد بائساً مشرداً إلى ملجأه الدائم في قهوة الفن[١٣]. وفي أثناء فترة تشرده هذه شارك صديقه محمود صادق سيف في ترجمة حلقات من وقائع نقولا كارتر التي كانت تصدرها دار المعارف آنذاك[١٤]. ثم عرض عليه مصطفى سامي أن ينضم إلى فرقة أخيه الشيخ أحمد الشامي، معرباً وممثلاً بمرتب شهري قدره أربعة جنيهات. فقبل العرض دون تردد وترجم للفرقة مسرحيتي «الابن الخارق للطبيعة» و«عشرين يوماً في السجن». وتجول مع الفرقة في رحلتها إلى الوجهين القبلي والبحري[١٥]، وكان هذا، حسب المعلومات المتوافرة لدي عن فرقة الشامي، بين شهري آذار وتشرين الأول (مارس وأكتوبر) ١٩١٠[١٦].

وفي شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٠ اعادته شركة السكر إلى وظيفته، وبقي فيها قرابة أربعة أعوام، أقالته الشركة بعدها للمرة الأخيرة[١٧] فعاد إلى القاهرة.

وفي تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٤ – بعد عودته إلى القاهرة بمدة وجيزة – ألف «جوق أبيض وحجازي»، فانضم الريحاني اليه. وعمل معه حتى نهاية الموسم الأول، ثم انشق عليه مع عزيز عيد وروز اليوسف وألفوا «جوق الكوميدي العربي» في أيار «مايو» ١٩١٥[١٨].

نحو الاستقلال : الأبيه دي روز وشخصية كشكش بك (١٩١٦) :

انسحب الريحاني من جوق الكوميدي العربي في أيار (مايو) ١٩١٦[١٩]. وفي أول حزيران (يونيو) ضمه زميله استفان روستي مساعداً له في كازينو الأبيه دي روز، كما ذكرنا، حيث كان يقدم اسكتشات ايمائية أشبه بخيال الظل، ثم أخذا في تمثيل فودفيلات فرنسية من فصل واحد عمادها من الذكور شخصان، هما استفان ونجيب، إلى جانب عدد من الممثلات اللاتي كن يشتركن في استعراضات الكازينو[٢٠].

وبعد ان قضيا شهراً في تمثيل هذا النوع أخذ الجمهور ينفضّ عنهما يوماً بعد يوم، فاضطر الريحاني إلى التفكير في نوع جديد يضمن له وللكازينو جمهوراً كبيراً دائماً. فابتكر شخصية كشكش بك، وكان عبارة عن عمدة يفد من الريف إلى القاهرة وهو يحمل الكثير من المال، فتلتف حوله الحسان ويبتززن ماله بشتى الأساليب ويتركنه خاوي الوفاض، فيعود إلى قريته يعضّ بنان الندم ويقسم أغلظ الايمان ان يتوب إلى رشده والا يعود إلى ارتكاب ما فعل[٢١].

وقدم أول مسرحية له من هذا النوع، وهي مسرحية «تعالي لي يا بطة»، وهي عبارة عن اسكتش قصير يستغرق عشرين دقيقة. واتبعها بعد اسبوع بمسرحيته الثانية «بلاش أونطة» التي أدخلها فيها شخصية شيخ الخفر زعرب، تابع كشكش بك. وقد أسند تمثيلها إلى عبد اللطيف المصري، ثم بمسرحية «بكره في المشمش»[٢٢] وكانت جميعاً من تأليفه. وقد حققت هذه المسرحيات نجاحاً فائقاً جعل صاحب الكازينو يزداد تمسكاً بنجيب ويرفع مرتبه من ثمانية عشر جنيهاً إلى سبعة وعشرين جنيهاً في الشهر[٢٣]. وبسبب انهماك الريحاني في عمله الجديد لم يجد متسعاً من الوقت لتأليف المسرحيات. فرأى ان يستعين بزميله القديم أمين صدقي. فألّف معه ثلاث مسرحيات هي: «خليك ثقيل» و«هز يا وز» و«اديله جامد»[٢٤]، وبسبب الاقبال الشديد قرروا أن يقدموا مسرحية جديدة كل اسبوعين. لا كل اسبوع كما كانوا يفعلون في السابق.

وفي أواخر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٦ اختلف الريحاني مع الخواجة روزاتي صاحب الأبيه دي روز، فتركه إلى مسرح الرينسانس.

على مسرح الرينسانس (١٩١٦ - ١٩١٧) :

كان الخواجة ديمو كنجس صاحب ملهى الرينسانس ممن غاظهم نجاح اللون الكوميدي المبتكر الذي كان يقدمه الريحاني في الأبيه دي روز فجاء بالممثل الهزلي محمد ناجي لينافس به الريحاني. فقدّم على مسرحه في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٦ مسرحيتين من نوع المسرحيات التي كان يقدمها الريحاني. احداها «انت جيت يا مرحب»[٢٥] والثانية «أبو عميرة وشيشبنت» تأليف توفيق إده[٢٧]. ولكنه لم يقتنع بهذا النجاح الذي حققه محمد ناجي فأخذ يفاوض الريحاني على العمل معه، وانتهى الاتفاق بينهما على أن يدفع له مرتباً شهرياً قدره مائة وعشرون جنيهاً[٢٧].

انتقل الريحاني إلى هذا المسرح ومعه استفان روستي وعبد اللطيف المصري وعبد اللطيف جمجوم، وزميله في التأليف أمين صدقي[٢٨]. وقدم في ١٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦ مسرحية «ابق قابلني» واستمر تمثيلها شهراً كاملاً[٢٩]. ثم قدم مسرحية «كشكش بك في باريس» فكان نصيبها من النجاح نصيب سابقتها[٣٠]. وبعد ذلك أعادوا تمثيل عدد من مسرحياتهم السابقة ومنها «ابق قابلني» و«هز يا وز» و«اديلو جامد» و«بلاش أونطة»، وقدموا مسرحيات أخرى جديدة منها: «أيوه والا لأ» و«احم احم» و«الحدق يفهم» (أو «أحلام كشكش بك») و«وداع كشكش بك». وفي أواخر الموسم انضم إليه عزيز عيد وروز اليوسف ومثلا مسرحية «ام أربعة وأربعين»[٣١]، التي عربها عبد الحليم دلاور عن لابيش، وكان عزيز وروز قد قدماها في الأبيه دي روز في ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٧.

وفي ٢٨ نيسان (ابريل) تعطل الجوق بسبب انتهاء عقد الخواجة ديمو مع صاحب المسرح[٣٢].

على مسرح الاجبسيانة ١٩١٧ :

رأى الخواجة ديمو بثاقب بصره ان لا يجدد عقده مع صاحب المسرح، وان يقيم مسرحاً خاصاً

به[٣٣]. ولذا اختار مقهى في شارع عماد الدين كان يملكه البنك العقاري وبنى عليه مسرح الاجبسيانة الذي افتتح في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩١٧[٣٤]. وانضم إلى الفرقة آنذاك حسين رياض، وبدأوا موسمهم الجديد على المسرح الجديد بمسرحية «أم أحمد»[٣٥].

وفي ٤ تشرين الأول (أكتوبر) توفي الشيخ سلامة حجازي، ورأى الريحاني ان واجب الزمالة يدعوه إلى اعلان الحداد وتعطيل العمل في المسرح ليلة واحدة. ولكن صاحب المسرح لم يوافق على هذا الاقتراح، وانتهى الاختلاف في الرأي بينهما إلى انسحاب الريحاني من الفرقة. فأسند دوره في المسرحية الثانية «دقة بدقة» إلى حسين رياض[٣٦]. ولم يستطع الجوق الجديد الذي تكون من حسين رياض واستفان روستي وحسن فايق وحسين نجيب وصادق أحمد وعبد الحميد زكي وأحمد عبد الحافظ[٣٧]، ان يجتذب إليه الجمهور، بعد ان فقد شخصيته الأولى، فاضطر صاحب المسرح إلى اقفال مسرحه والعودة إلى مفاوضة الريحاني. فوافق الريحاني على العودة شريطة أن يتخلى الخواجة ديمو عن الادارة نظير ان يتقاضي ٣٠٪ من الايراد يومياً[٣٨]. فقبل ديمو بهذا الشرط. ومنذ ذلك الحين أصبح الريحاني مديراً لفرقة تمثيلية[٣٩].

أعاد الجوق بعد عودة الريحاني تمثيل مسرحية «أم أحمد»، ثم اتبعها بمسرحية «حماتك تحبك» ومسرحية «حلّق حوش»، ومسرحية «ام بكير». بعد ذلك رأى ان الاقبال على جوقه يخف، وان الجمهور ينصرف عنه إلى كازينو دي باري حيث يمثل «جوق الأوبريت الشرقي» الذي يديره مصطفى أمين وعلي الكسار. فقرر أن يدرس سرّ نجاح هذا الجوق عن كثب وان يشهد بنفسه ليلة من لياليه. وقد تبين له ان هذا الجوق يعتمد على فخامة المناظر وعظمتها، وعلى «تابلوهات» الرقص أكثر مما يعتمد على الموضوع، فقرر أن يحذو حذوه في ذلك وأن يبدأ في تقديم المسرحيات الاستعراضية. وعلى هذا النسق ألف مع زميله أمين صدقي مسرحية «حمار وحلاوة» التي لحنها كميل شمبير والتي حققت نجاحاً عظيماً أنقذ الجوق من حالة الركود التي كانت تخيّم عليه. وقد أغرى هذا النجاح أمين صدقي بأن يملي عليه شروطاً جديدة، منها أن يكون الايراد بينهما مناصفة، فرفض الريحاني ذلك، فتركه أمين صدقي[٤٠] إلى جوق الأوبريت الشرقي وبدأ اسمه يظهر في اعلانات الجوق منذ شهر آذار (مارس) ١٩١٨[٤١]، واستمر



الريحاني في مسرحيته «لو كنت مكاني».

معه حتى انفصل عنه بصحبة الكسار وألّفا جوقهما الخاص الذي أخذ يمثل في الماجستيك. كان انسحاب أمين صدقي من الجوق نعمة على الريحاني وعلى مهنته المسرحية، إذ قادته آنذاك إلى التعرف على بديع خيري، شريكه وصديقه الذي لازمه حتى آخر عمره. ومنذ ذاك الحين بدأ الريحاني مرحلة جديدة من حياته الفنية، إذ انه اهتدى إلى المؤلف الذي يستطيع أن يبرز أفكاره في حلة ملائمة من الأزجال والنكت والمشاهد المصرية الصميمة.

أعدّ نجيب مع زميله الجديد في فاتحة عهده الذهبي هذا مسرحية «على كيفك» التي لحنها كميل شمبير واستمر تمثيلها شهرين وبلغ ايرادها في تلك الأيام ٢٢٠٠ جنيه. وقدما بعدها مسرحية «مصر ١٩١٨ - ١٩٢٠» التي اشترك في تأليفها معهما حسين شفيق المصري، ولحنها كميل شمبير[٤٢].

في ذلك الحين أثبت اللون الذي كان يقدمه الريحاني والكسار بأنه اللون الذي يرغب فيه الجمهور

ويقبل عليه. وقد أغرى ذلك جورج أبيض بأن ينهج نهجها فكلف عبد الحميد دلاور المصري بأن يؤلف له مسرحية غنائية تماثل مسرحيات الريحاني والكسار، فألف له مسرحية «فيروز شاه» التي لحنها سيد درويش وأخرجها عزيز عيد، والتي أخفقت إخفاقاً ذريعاً كما ذكرنا[٤٣]. ولم تحدث هذه المنافسة أي أثر في مسرح الفودفيل والريفو، بل ان الريحاني استطاع أن يستغلها أحسن استغلال، إذ هو من خلال ألحانها وأناشيدها البديعة اكتشف الريحاني الموهبة الموسيقية الفذة التي يتمتع بها سيد درويش، ولذا بادر إلى التعاقد معه واستمثار موهبته قبل أن يهتدي إليها أصحاب الأجواق المنافسة.

أعدّ نجيب وبديع مسرحيتهما التالية، وهي «ولو»، وكلفا سيد درويش بتلحينها، فأبدع في تلحين ازجالها الرائعة ولا سيما لحن «السقايين» الذي اشتهر فيما بعد. وقدمت المسرحية في ١٧ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٨ واستمر تمثيلها ثلاث أشهر، لم ينقص الايراد اليومي فيها عن الثمانين جنيهاً[٤٤] وبعدها قدما مسرحية «إش» التي لحنها سيد درويش أيضاً ونالت من الاستحسان والنجاح مثل ما نالته سابقتها بفضل أزجال بديع خيري وألحان سيد درويش وتمثيل الريحاني، فضلاً عن الأزجال الوطنية التي حشدها فيها بديع استجابة لروح الثورة التي أخذت تعم جميع طبقات الأمة آنذاك.

الثلاثي العظيم:

وحالت وقائع الثورة دون استمرار العمل، ولكن الجوق استغلها في إعداد مسرحية جديدة، تعبر عن الروح المصرية آنذاك، فقدم مسرحية «قولو له» التي أعدها الثلاثي الموهوب، وحشد فيها من الأزجال الوطنية والألحان المصرية الحماسية ما جعلها شعلة وطنية متأججة. واتبعها بمسرحية «فلفل» التي ألفها نجيب وبديع ولحنها سيد درويش أيضاً.

وقد كان الجوق يعيد تمثيل مسرحياته هذه وسابقاتها بين الحين والحين، وخاصة في فترات الأعداد للمسرحيات الجديدة.

بعد ذلك دخل موسم الصيف وأخذ الجوق يتجول في الأقاليم واختفت أخباره في الصحف وحل محله جوق مصطفى أمين فترة من الزمن.

وافتتح الجوق موسمه الجديد على المسرح نفسه في أول سنة ١٩٢٠ بتمثيل مسرحية «رن» التي ألفها نجيب وبديع ولحنها سيد درويش، وقد كانت مليئة بالألحان الوطنية والمعاني القومية التي تلائم روح العصر، واستمر تمثيلها شهوراً عدة. وفي تلك الأثناء ألف جوقاً لعزيز عيد مثل به أوبريت «العشرة الطيبة» وعدداً من مسرحياته الأخرى في كازينو دي باري، كما ذكرنا آنفاً. ولم تدم علاقته بهذا الجوق اذ تآمر عليه عزيز عيد وسيد درويش فآثر التخلي عنهما. أما هو فقد قدم في الشهور الباقية من موسمه ثلاث مسرحيات لحنها ابراهيم فوزي، وهي «فشر» و«فرجت» و«انت وبختك» وعقب ذلك اشترك مع الحاج مصطفى حفني وقام برحلة إلى سورية استمرت ثلاثة أشهر[٤٥].

ولا بد لنا، كما فعلنا في أكثر من موضع في هذا البحث، من اللجوء إلى الناقد محمد تيمور، ليمدّنا بالرأي الفني في دور نجيب الريحاني على المسرح العربي في هذه الفترة. يقول تيمور[٤٦]:

دفاعاً عن الريحاني:

يتحدث الناس كثيراً عن الريحاني، عن ذلك الممثل الذي كان مقبوراً في ظلام المسرح منذ أربع سنوات ثم ظهر فجأة أمام الناس يهز أعصابهم فيضحكون، ويبتسم لهم ابتسامته الجميلة تهتز تحتها لحيته الطويلة فينبثق في قلوبهم نور يضيء ذلك الظلام القاتم الضارب خباءه فوق صفحات قلوبهم من يوم ان سمعت آذانهم تلك الكلمة القاسية «الحرب». أجل أتى الريحاني إليهم ليفرغ أمامهم ما في جعبة مؤلفيه، وهم كثيرون، من النكات العذبة والمواقف الهزلية دون أن ينهضه لذلك غير عزيمته التي أخرجتها من غمدها الصدفة وشحذت حدها الظروف. أتى إلى المسرح فقيراً ومكث حيناً يتقلب بين الأجواق العاملة يغالب فيها القدر ويغالبه، ويصارع الأيام وتصارعه دون أن يسمع به أحد أو يتحدث بذكره انسان، إلى ان بلغ الغاية المنشودة من نفسه، والأمنية التي كان يسعى وراءها من قديم، متحملاً في سبيلها مصائب التمثيل وشدائده التي لا تفل أعصاب غيره من الممثلين. والآن أصبح الريحاني أينع زهرة في حديقة التمثيل وأصبحت دار تمثيله محط رحال الناس فتدفق المال من جيوبهم لجيبه عن طيبة خاطر وكيف لا يفعلون ذلك وليس للساعة



نجيب الريحاني وميمي شكيب.

من لقاء الريحاني ثمن. هذا هو الريحاني الذي أصبحت القلوب مليئة بعذوبة ألحانه تنشدها الغانيات في خدورهن ويرددها الأطفال في الشوارع والحارات وتتغنى بها فتات الناس من رفيعهم لوضيعهم في كل مكان وزمان. ولكن الريحاني لم تسلم شهرته الواسعة من سهام أعدائه وهم من حملة الأقلام. قوم لا تسكن لهم سورة يودون تحطيم تلك الشهرة التي أنضجها الليل والنهار فلا يلبثون أن يرجعوا القهقرى منهزمين متفرقين بعد أن راموا مقاطعة مسرحه الذي بنته يده العاملة، وإسقاط ثماره التي أخرجتها من أكمامها عزيمته القاطعة.

يقول أنصار الريحاني انه ارتقى بالتمثيل إلى قمة المجد ومشى به في أقوم سبيل، ودليلهم على ذلك تهافت الجمهور على سماع رواياته كل ليلة حتى لا ترى في داره مقعداً خالياً عند ارتفاع الستار، ويقول أعداؤه انه رمى التمثيل الحق بسهم قاتل باحثاً عن المال من أي سبيل، وهو وان فتحت الاسماع له حجابها فما ذلك عن جدارة واستحقاق ولكنه ميل غريزي في النفس للمزاح واللهو.

وهجوم عليه :

فما قيمة عمل الريحاني؟ وهل هو من خادمي التمثيل أم من هادميه؟ وهل طريقته المبتكرة ضرورية للحياة التمثيلية في مصر؟ وعلام لا يصيخ الجمهور لأقوال من ناصبوه العداء؟ تلك أسئلة سهل الجواب عنها ومحتم على كل مشتغل بفن التمثيل ان يشرحها للقراء ويحللها تحليلاً وافياً ومن أجل ذلك اكتب هذا المقال.

ليس فيما يفعله الريحاني شيء يسمى بتمثيل إذا كنا نقصد بكلمة تمثيل ما تؤديه هذه الكلمة من المعنى الذي يريده أهل الفن وخادموه. أما إذا كان التمثيل في عرفنا ان تقف جماعة على المسرح يفعلون ما يشاؤون ويقولون ما تنفضه على عقولهم وأذهانهم رؤوس جماعة من المؤلفين وضعوا همهم في جمع نكات السوقة والبحث عن المواقف المخجلة فانه يصح حينئذ عند من يرى ذلك أن يسمي ما يجري على مسرح الريحاني بالتمثيل الحق. ولكنا نسأله أن يعذرنا إذا كنا لا نساير أهواءه ولا ننهج على منواله.

التمثيل الحق ينقسم إلى ثلاثة أقسام: التراجيدي. والدرام. والكوميدي. ولكل من القسمين الأخيرين أقسام أخرى لا أرى داعياً للخوض فيها.

أما ما يسميه الناس تمثيلاً وليس من التمثيل في شيء لخلوه من كل تحليل نفسي أو أخلاقي فينقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام الجنبول والفودفيل والريفو (أما الأوبرا والاوبراكوميك والابريت فتدخل تحت لواء الغناء وليس هذا موضوع مقالنا). كنا لا نعرف عن هذه الأقسام الثلاثة شيئاً إلى ان دعت الظروف عزيز أفندي عيد ان يشق ببراعته تلك الحجب الكثيفة التي كانت تحجب عن أعيننا نوع الفودفيل والجنبول، فقدم لنا على مسرحه روايات عديدة من النوع الأول ورواية واحدة من النوع الثاني وهي «قبلة في الظلام». وقد اراد بذلك أن يدهش الجمهور المصري بشيء جديد حتى إذا وثق به الجمهور مشى به من الفودفيل إلى الكوميدي الأخلاقية المصرية، ويكون ذلك قد وصل إلى تحقيق الفكرة القديمة التي كانت تجول في مخيلته قبل احترافه فن التمثيل، وهي فكرة ايجاد الروايات المصرية. ولكنه مع الأسف عاد من حيث أتى بعد أن حبط في مسعاه.

ثم انشق عنه تلميذه القديم نجيب أفندي الريحاني وبدأ حياته التمثيلية الجديدة بنوع لم تسمع به مسارح العالم من قبل، والذي لا أجد له مسمى في العربية غير اسمه الأفرنكي المبتدع (فرنكو اراب). ولقد جرى الريحاني بهذا النوع شوطاً كبيراً ثم وهنت منه القوى وكاد أن يقر بعجزه أيام ان رأى الجمهور يدير له ظهره في أواخر أيامه بمسرح الرينسانس. ثم عز أن يرى نظيره ممثل الكازينو دي باريز تصفو مشاربه وتخصب مرابعه فانتقل إلى مسرح الاجبسيانة وفي نيته أن يحطم جارحة خصمه، فلجأ إلى نوع الريفو ومزجه بالألحان حتى ظن الناس انه يقدم لهم نوعاً من الابريت وشتان بين النوعين.

ليس الريفو غير معرض الحوادث الهامة التي تجري في بلد من البلاد ينظر إليها المؤلف نظرة الهازىء الساخر ثم ينقلها إلى المسرح مشوهة تشويهاً يضحك فئة خاصة من الشعب. أما المغازي الأخلاقية التي يأتي بها المؤلف عفواً من غير قصد فليست صاحبة المقام الأول ولهذا لا يعز على المؤلف أن يضحيها من أجل نكاته.

جمهور لا يعرف مصلحته؟

هذا ما نقوله عن قيمة هذا النوع من الجهة الفنية وهو نوع يأنف الكتاب في أوروبا من نقده وأظن ان كل من أطلع على تاريخ التمثيل في أوروبا يوافقنا على ما نقول.

واذا كان هذا النوع ليس من التمثيل في شيء كما قلنا فعلام يقبل عليه الجمهور المصري ويعضده بل ويتفانى في الاقبال عليه؟ اني لا أرى لهذا غير سببين: أولهما أن سواد الجمهور المصري ما زال طفلاً يميل إلى ما يوافق مزاجه الصغير وعواطفه التي لم تحنكها التجارب. وهذا النوع يلائم كثيراً مزاج الجمهور وعواطفه. أما السبب الثاني، وهو الأهم في نظرنا، فهو ان الجمهور سئم أن يرى الأجواق الجدية ترجع القهقرى وعاف رؤية الهاوية التي هوت إليها دون أن يدفعها غير كسل مديريها ووقوفهم في منتصف الطريق التي كان في نيتهم أن يقطعوها للنهاية. وما عهد الجمهور بمسرح برنتانيا ومناظره المهشمة وملابسة الرثة ورواياته أجواقه التي لا توافق الجمهور ببعيد. لهذا لا ترى الجمهور المصري يقعد تحت حكم من يقبح لهم روايات الريحاني والجمهور محق في ذلك. وما مثل الفريقين إلا كمثل أخ يقول لأخيه الصغير اني أخوك الأكبر اسهر عليك جفني وأنفق عليك عمري وأفرش لك صدري ثم يأخذه إلى منزله وهناك يطعمه المر ويحرمه لذيذ النوم ويمنعه بياض اليوم. فاذا طوى الأخ الصغير صدره على أذى الكبير اتاه رجل غريب سلاحه الحيلة وحجته الدهاء والمكر يعرض له بضاعته الخبيثة التي طلاها بطلاء كاذب ليستمد وداده ويمتلك عليه فؤاده، حتى إذا آواه إلى داره أتاه بأنواع الخمور وأطيب المآكل وأجمل النساء وأشجى الألحان ليأكل هنيئاً ويشرب مريئاً ويشنف آذانه ويمتع نفسه وجسده غير حاسب حساباً لسوء العاقبة. وأظن أن القارئ الكريم يوافقني لو قلت ان الأخ الصغير يفضل الغريب على شقيقه الكبير وما الجمهور غير الأخ الصغير والريحاني غير الرجل الغريب.

لهذا يعرض الجمهور عن التمثيل الجدي لانه يجده كالتمثال المهشم لا حياة فيه تبعث الأمل في القلوب ويذهب إلى ما أسميه شبه تمثيل حيث يرى ما يدهش بصره ويحير فكره في الأول الموت وفي الثاني شبه الحياة.



الريحاني في أحد أدواره السينمائية مع الممثل حسين رياض.

ومع ذلك...

يبقى أمامنا ان نعرف هل نوع الريحاني ضروري للحياة التمثيلية في مصر؟ وهل الريحاني من خادمي التمثيل أو من هادميه؟

معذرة أيها القارئ الكريم لو قلت لك بعد كل ما كتبت ان نوع الريحاني بلا نزاع ضروري جداً لحياة التمثيل في مصر، أجل ضروري جداً، ضروري للدرجة التي لا تخطر ببال من يسعى لخدمة الفن باخلاص ووفاء. لا أقول ان نوع الريحاني ضروري لأنه من الأنواع الموجودة في أوروبا فلا بأس إذاً من وجوده في مصر، ولكنه ضروري لانقاذ التمثيل من هوته السحيقة. إذاً كيف يكون ذلك؟ يذكرني هذا المقال ما قرأته في أمهات الكتب الافرنسية عن الفودفيل والكوميدي العصرية.

كان للفودفيل منذ عهد ليس ببعيد شأن كبير على مسارح فرنسا مكّن له غياب المؤلفين الجديين مؤلفي الكوميدي والكوميدي دراماتيك. وبقي الحال على ذلك إلى ان بعث الله لفرنسا رجلها الكبير (انطوان) ذا الارادة الحديدية والاقدام العجيب الذي لا ترد العقبات بادرته ولا تفل المصائب حديد ارادته. نظر انطوان لتلك الحالة السيئة نظرة ثاقبة وعقد نيته على انقاذ التمثيل فألف جمعية سماها (التمثيل الحر) كان (بريو) عونه الأكبر فيها، وكان شعارها قبول الروايات الجدية التي يطلق المؤلف لنفسه فيها العنان دون أن يتقيد بأي شرط من الشروط التي وضعها من سبقه من المؤلفين. فما لبث انطوان ان انهالت عليه الروايات من جميع الكتّاب وعلى الأخص من الناشئين فكان ينتقي منها الجيد ثم ينقحه مع المؤلف ويخرجه للجمهور في صورة جديدة لم يألفها من قبل. وما مضى على هذا الحادث قليل من الزمن حتى وجدنا بين أسماء المؤلفين في فرنسا قوماً لم يسمع بهم من قبل ألبسوا التمثيل جمال شبابه وكانوا عماده وسيفه الغالب أمثال بريو وبرنستين وفرنسوا دي كوريل وغيرهم. لو ألقينا على هذا الحادث نظرة جدية لوجدنا ان الفودفيل كان سبباً في وجود انطوان وانطوان كان سبباً في الرجوع بالتمثيل لمقامه الأول.

فلماذا لا يكون مقام عمل الريحاني في مصر كمقام الفودفيل في فرنسا حتى يبعث الله لمصر رجلاً قادراً يأنف من هذا النوع فيعمل على خدمة التمثيل خدمة حقة بلا ثواب ولا أجر. بل ألم نجد بوادر هذه الحركة المباركة قد تبدت؟ ألم يشتر جورج أفندي أبيض داراً جديدة أصبح يمثل فيها كل ليلة. ومن أدرانا ان الجمهور المصري يكره يوماً ما نوع الريحاني كما كره نوعه

الأول فيتحول الريحاني من مجرى الريفو إلى مجرى الكوميدي الأخلاقية. كل هذا لا نبتّ فيه الآن وربما يكشف المستقبل عن غوامض كانت في عالم الغيب. لا ينسى القراء أننا في عصر الفوضى وان الفوضى تنتهي بالنظام. لهذا نجرؤ ونقول ان الريحاني من خادمي التمثيل وليس من هادميه وأن كان لا يقصد ذلك ●

(انتهى)

هوامش:

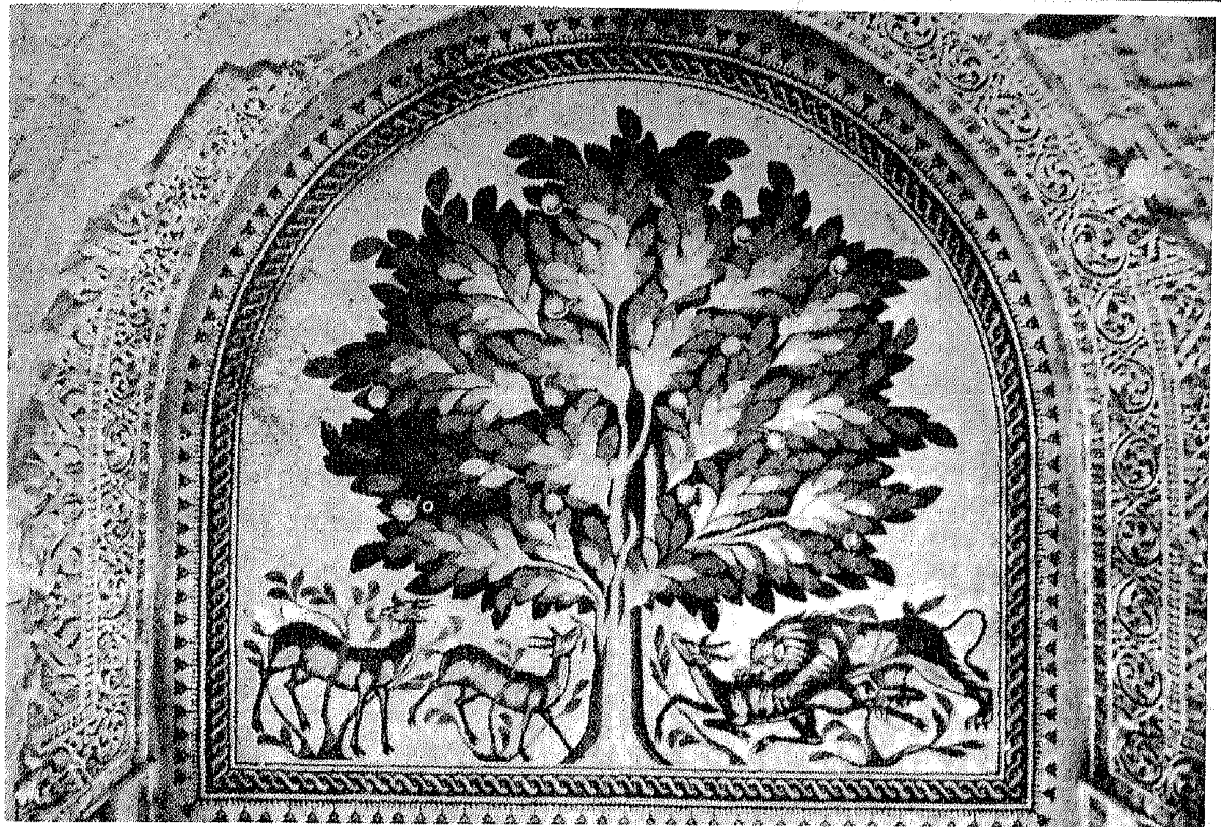
---

١ - مذكرات الريحاني ص ٢٣.
٢ - الاهرام ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٤.
٣ - المقطم شباط (فبراير) ١٩٠٥.
٤ - نفسه ٩ آذار (مارس) ١٩٠٥.
٥ - المقطم ٥ أيار (مايو) ١٩٠٦.
٦ - المذكرات ص ص ٢٥ - ٢٦.
٧ - الاهرام ٢٧ أيار (مايو) ١٩٠٨.
٨ - نفسه ٩ تموز (يوليو).
٩ - نفسه ١١ تموز (يوليو).
١٠ - نفسه ١٣ آذار (مارس) ١٩٠٩، ولم يشر الريحاني إلى هذه الجمعية في مذكراته.
١١ - المذكرات ٢٧ - ٢٨.
١٢ - المقطم ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٠٩.
١٣ - المذكرات ص ص ٢٨ - ٣٠.
١٤ - المذكرات ص ص ٣٠ - ٣٢.
١٥ - المذكرات ص ص ٣٢ - ٣٤.
١٦ - أنظر المقطم ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٠، والاهرام ١٩ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٠.
١٧ - المذكرات ص ص ٣٤ وما بعدها.
١٨ - أنظر أخبار هذا الجوق في موضعها من هذا المقال، وفي مذكرات الريحاني ص ص ٥٦ - ٦٩.
١٩ - المذكرات ص ٦٩.
٢٠ - المذكرات ص ص ٧٠ - ٧٢.
٢١ - المذكرات ص ٧٤. وتذكر السيدة روز اليوسف في ذكرياتها ص ١٨، ان الريحاني اقتبس هذه الشخصية من مسرحية «القرية الحمراء»، وهي دراما ريفية مصرية من فصل واحد ألفها أمين صدقي وعزيز عيد. وقد أخطأت في التاريخ، إذ ان عزيزاً قدم هذه المسرحية في نيسان (ابريل) ١٩١٦ أثناء اشتراكه بجوقة مع جوق عكاشه، وليس سنة ١٩١٧ كما ذكرت هي.
٢٢ - المذكرات ص ص ٧٧ - ٧٩.
٢٣ - مذكرات الريحاني ص ٨٥.
٢٤ - نفسه ص ٨٦.
٢٥ - المقطم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) والاهرام ١٥ منه، ١٩١٦.
٢٦ - المقطم ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) والاهرام ٢٢ منه ١٩١٦.
٢٧ - المذكرات ص ٨٨.
٢٨ - نفسه ص ٨٨.
٢٩ - نفسه ص ٨٩.
٣٠ - نفسه.
٣١ - الاهرام ١٥ ابريل (نيسان) ١٩١٧.
٣٢ - الاهرام ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٢٧، والمذكرات ص ٨٩.
٣٣ - مذكرات الريحاني ص ٨٩.
٣٤ - نفسه ص ٩٢.
٣٥ - نفسه.
٣٦ - نفسه.
٣٧ - المقطم ١٣، ١٨ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٧.
٣٨ - نفسه ص ص ٩٢ - ٩٣، وقد عاد الريحاني في أول تشرين الثاني (نوفمبر): الاهرام ٣٠ تشرين الأول (أوكتوبر) ١٩١٧.
٣٩ - المذكرات ص ٩٣، والاهرام ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧، والمقطم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧.
٤٠ - مذكرات الريحاني ص ص ٥٣ - ٩٥.
٤١ - الأهرام ٢٢ آذار (مارس) ١٩١٨.
٤٢ - مذكرات الريحاني ص ١٠٠
٤٣ - قدمت هذه المسرحية في مسرح جورج أبيض في الهواء الطلق في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩١٨.
٤٤ - مذكرات الريحاني ص ١٠٩.
٤٥ - مذكرات الريحاني في ص ١٢٨.
٤٦ - من مقال بعنوان «الريحاني بين أنصاره وخصومه»، نشر في جريدة المنبر في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩١٨، ثم جمع مع مقالاته النقدية في كتاب «حياتنا التمثيلية» ص ص ١١٥ - ١٢٢.

ملف الوطن العربي

الآثار في الأراضي العربية المحتلة

فلسطين: الضفة الغربية وقطاع غزة



فسيفساء شجرة النارنج في قصر هشام بن عبد الملك في أريحا.

اعداد: «قسم الابحاث والدراسات» في «تاريخ العرب والعالم»

مدخل عام:

● أن التأريخ للأراضي العربية المحتلة لا يقل أهمية عن دراسة تاريخ بقية الأراضي العربية التي تنعم بالاستقلال والسيادة. بل انها تتطلب منا اهتماماً خاصاً كي لا تنسى الاجيال المقبلة اجزاء عزيزة على قلوب العرب كما نكاد ان ننسى اليوم عدداً من اراضينا المحتلة التي اقتطعت بالقوة من أطراف الوطن العربي.

ان «تاريخ العرب والعالم» ستنشر على التوالي لمحة موجزة عن تاريخ آثار كل من الضفة الغربية وقطاع غزة (فلسطين) وسيناء (مصر) والجولان (سوريا). وفي ما يلي الحلقة الأولى: الضفة الغربية وقطاع غزة في فلسطين.

* * *

يتفق المؤرخون وعلماء الآثار المنصفون على التأكيد أنه ارتكبت في فلسطين، باسم التنقيب عن الآثار، من الأخطاء والتشويهات أكثر مما ارتكب في أية بقعة مساوية في المساحة على وجه الأرض. كما انه

لم يبرز الاستغلال السياسي المشبوه لعملية التنقيب عن الآثار في شكل مكشوف الا في فلسطين بالذات.

وقد بدأت مسيرة التنقيب عن آثار فلسطين في صورة جدية في أواخر القرن التاسع عشر. في العام ١٨٩٠ أوفدت «جمعية صندوق استكشاف فلسطين»، التي تأسست في لندن العام ١٨٦٥ تحت رعاية التاج البريطاني، وفدا للتنقيب في «تل الحصى» الذي يقع على بعد ٢٥ كلم إلى الشمال الشرقي من غزة. وأصدرت هذه الجمعية واحدة من أرصن الدوريات في هذا المجال وهي: Palestine Exploration Fund Quarterly التي صدر العدد الاول منها العام ١٨٦٩.

وكان الغرض من هذه الجمعية كما جاء في منشوراتها «البحث وفق منهج دقيق ووثيق في آثار الأرض المقدسة وطبوغرافيتها وجيولوجيتها وجغرافيتها الطبيعية وعادات سكانها وتقاليدهم وذلك من أجل ايضاح «التوراة».

وهكذا فان بداية النشاطات الاثرية في فلسطين كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشعارات الدينية في الغرب. في العام ١٨٧٠ تأسست في نيويورك «الجمعية الاميركية لاستكشاف فلسطين» والتي استبدلت العام ١٩٠٠ بـ «المدارس الاميركية للأبحاث الشرقية» وذلك من أجل «تشجيع دراسة وتدريس الكتاب المقدس وتوسيع حدود المعرفة به وبجغرافية وتاريخ وآثار ولغات فلسطين وبلاد ما بين النهرين وغيرها من بلدان الشرق الأوسط». أما الانكليز فانهم، إلى جانب «جمعية صندوق استكشاف فلسطين» أسسوا العام ١٩١٩ «المدرسة البريطانية للتنقيب عن آثار القدس» بهدف «تشجيع البحث في آثار فلسطين وتاريخها وطبوغرافيتها».

من هنا نلاحظ كيف ان الغالبية العظمى من المؤسسات الغربية لم تدرس في بادئ الأمر آثار فلسطين والأردن بحد ذاتها وانما ركزت على ما سمي بـ «الآثار التوراتية». ولكن في السنوات الأخيرة بدأنا نشهد بوادر اتجاهات جديدة في دراسة هذه الآثار من الوجهة العلمية البحتة.

سياسة التنقيب

● الملاحظ ان الغالبية العظمى من الحفريات التي جرت في فلسطين حتى نهاية فترة الانتداب (١٩٤٨) اتبعت أساليب التنقيب البدائية العتيقة. وأكد علماء الآثار الموضوعيون في ابحاثهم ان الحفريات التي جرت في فلسطين منذ بداية الحرب العالمية الثانية اثبتت ان كثيراً من استنتاجات المنقبين قبل تلك الحرب مغرقة في الخطأ والتشويه الفاضح غير البريء في أحيان كثيرة. فمثلاً ان الاسوار التي ارجعوا تاريخها إلى زمن يشوع اريحا تعود في حقيقة الأمر إلى ما قبل ذلك الزمن بألف سنة وان النظام الدفاعي في القدس الذي نسب إلى داوود يجب أن يعود تاريخه إلى ما يقرب من ألف سنة بعد زمن داوود.

ومن الجدير بالذكر ان معظم عمليات المسح الاثرية اجريت في الضفة الغربية من نهر الاردن حتى الحرب العالمية الثانية. وفي العام ١٩٤٤ جاء في الجريدة الرسمية لحكومة الانتداب البريطانية انه يوجد في فلسطين ٢٨٦٢ موقعاً اثرياً. وفي الفترة بين ١٩٥٢ و١٩٦٧ تم القيام بحفريات في عشرات من المواقع بعضها بالغ الأهمية كالحفريات التي جرت في القدس واريحا وتل الفارعة (قرب نابلس) وتل بلاطة.

وبعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية قام الصهاينة بالعديد من الحفريات فيها، اضافة إلى عملية مسح واسعة النطاق للضفة الغربية خصوصاً في عامي ١٩٦٧–١٩٦٨.

التنقيب في القدس (١)

آثار القدس عديدة وغنية وتعود إلى عصور غابرة بعيدة وليس أهمها اكتشاف مقبرة ظهر المرزبانة التي تقع حوالي ٢٠ كلم إلى الشمال الشرقي في القدس والتي يوجد فيها ٣٥ قبراً من العصر البرونزي المتوسط (٢٢٠٠–١٥٥٠ق.م). ولكن ما يهمنا في هذا المجال هو كشف محاولات الصهاينة في استخدام علم الآثار لاهداف مخططاتهم التوسعية.

لقد دلت ابرز نتائج حفريات ما بعد العام ١٩٥٢ في الضفة الغربية كلها وخصوصاً في منطقة القدس وجوارها على عدم وجود أي آثار عبرانية تعود إلى الدور الأول من العصر الحديدي (١٢٠٠–٩٠٠ق.م). مما يشير بوضوح إلى بطلان مزاعم الصهاينة الذين يحاولون اعادة تركيب تاريخ فلسطين كما يناسبهم. وفي هذا العدد نشير إلى أن أحد علمائهم المزعومين وهو أهاروني واميران اقترح في العام

١٩٥٨ استبدال مصطلح «العصر الحديدي» باسم «العصر الاسرائيلي».

وكان المنقبون قبل ١٩٥٢ عثروا على قلعة شاوول في تل الغول وعلى تحصينات داوود في القدس وعلى اسطبلات سليمان في تل المتسلم ولكن الحفريات الحديثة في القدس وخصوصاً تلك التي جرت بين الاعوام ١٩٦١ و١٩٦٧ لم تكشف عن آثار لأبنية يمكن نسبتها إلى داوود أو سليمان. أما البرج والجزء من السور الذين نسبهما أحد علماء الآثار إلى داوود في الثلاثينات فوجد انهما يجب ان يعودا إلى الفترة الهيللينية، كما اثبتت الدراسات الحديثة ان ما سمي اسطبلات سليمان في تل المتسلم ليست اسطبلات ولا ترجع لزمن سليمان.

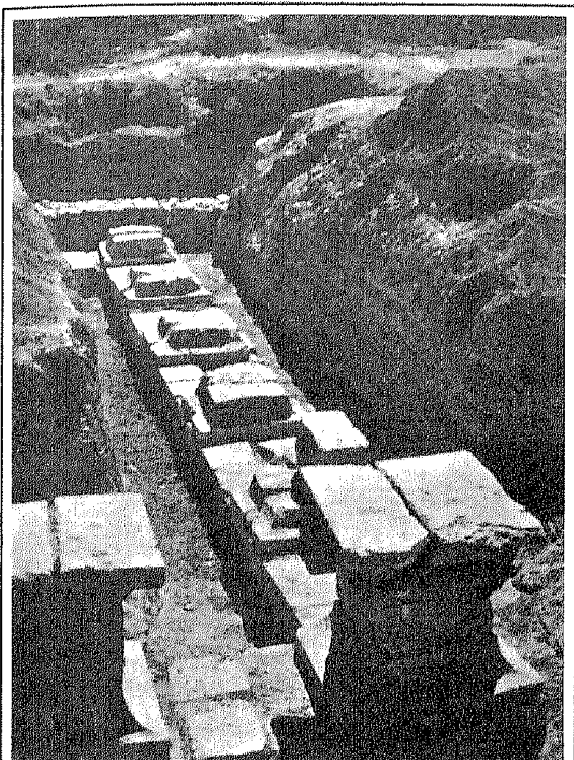
أريحا في التاريخ (٢)

ينحدر معظم السكان الحاليين من الذين خلفهم في البلاد جيش ابراهيم باشا في أوائل القرن التاسع عشر، وبينهم عدد لا بأس به من أصل زنجي.

وتكثر في اريحا حدائق البرتقال والموز التي تستقي من عين الماء المعروفة باسم «عين السلطان» وهي في الواقع واحة نضرة في منطقة تكاد تكون قاحلة جرداء. ومن المنطقي ان نفهم لماذا استوطن السكان الأوائل هذه المنطقة في العصور الغابرة.

في الواقع ليست اريحا القديمة سوى تل اصطناعي صغير يدعى «تل السلطان» وهو يقع إلى جانب عين الماء المذكور سابقاً. بدأت الحفريات في هذا التل للمرة الأولى العام ١٩١١ على أيدي بعثة المانية ولكن توقفت بعد فترة قصيرة. وفي العام ١٩٣٠ تابعت بعثة بريطانية العمل في القدس فاكتشفت سلسلة من الخنادق وتغلغلت إلى عدد من اقدم المستويات في الموقع حتى العصر النيوليتي حوالي ٦٠٠٠ عام ق.م، اضافة إلى العثور على بعض الاضرحة الدقيقة الصنعة والتي تعود إلى العصر البرونزي الأوسط، أي عصر الهيكسوس.

أقيم «تل السلطان» بأكمله بايدي العمال من غير أي استعانة بأدوات معينة على ما يبدو. وتشتمل الامتار الـ ١٥ التي تشكل عمقه على بقايا مدن قديمة نضدت طبقاتها الواحدة فوق الأخرى. ولا شك ان ارتفاع التل كان في الأصل يزيد على ١٥ متراً ولكن تعاقب العصور تسبب في ازالة الطبقات العليا. وهذه



صف من الأعمدة اكتشف حديثاً في أريحا.

الآثار قلبت آراءنا كلياً عن انسان العصر النيوليتي الأول (٨٠٠٠–٤٥٠٠ق.م.)، اذ انها كشفت عن الحقيقتين التاليتين:

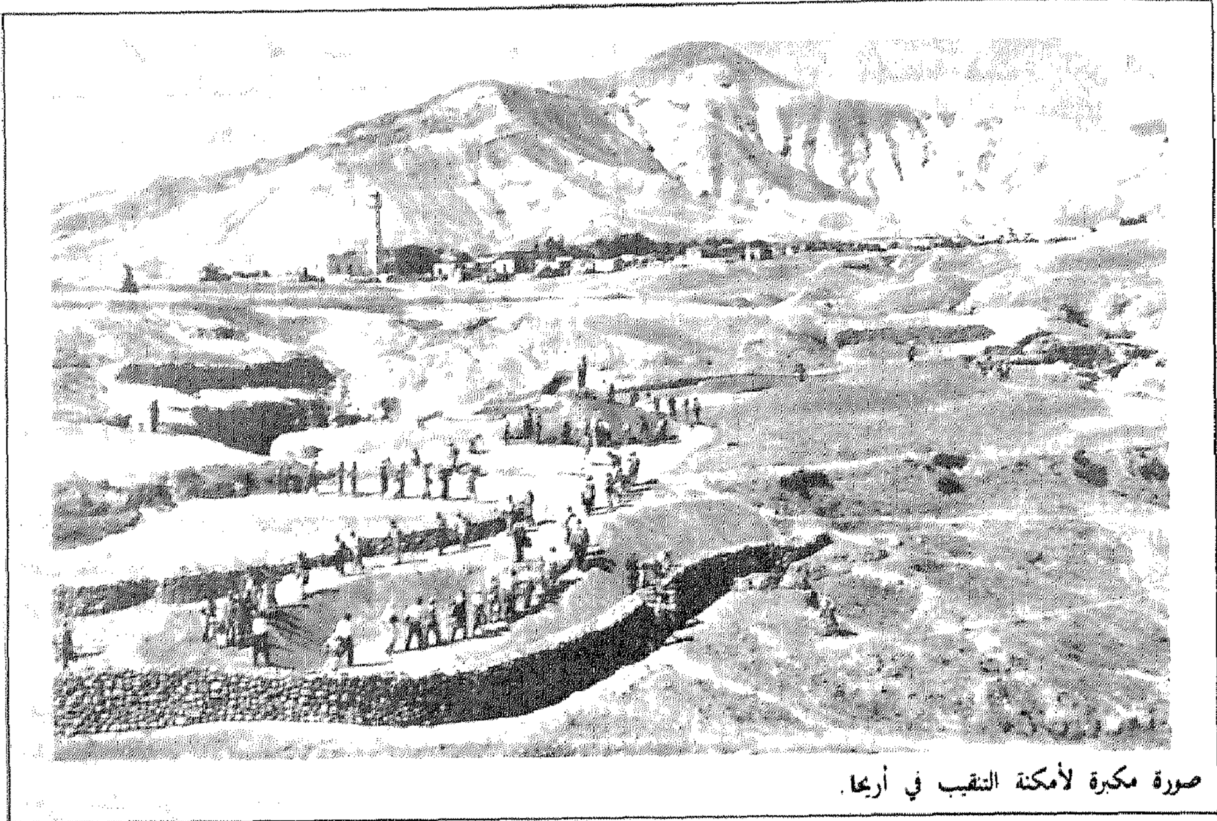
- الأولى ان الانسان في هذه العصور الغابرة كان يعيش حياة اجتماعية كاملة.
- والثانية ان هذا الانسان توصل إلى احراز درجة طيبة من المهارة في فن البناء. ولم تقتصر مقدرة أولئك القوم على انشاء الاسوار والبروج، فالمنازل الخاصة كانت ذات هندسة حسنة على الطراز الشرقي التقليدي الذي يتألف من غرف تتوسطها ساحة سماوية.

من هنا واستناداً إلى الحفريات الجديدة التي جرت في الفترة بين ١٩٥٢ و١٩٥٨ ثبت ان اريحا هي أهم مواقع العصر النيوليتي الأول في منطقة الشرق الأوسط بل في العالم القديم يومها.

ويمكن وصفها بانها أقدم مدينة في العالم وان سكانها شكلوا أول مجتمع متمدن في التاريخ.

القصر الأموي في خربة المفجر (٣)

يقع هذا الموقع الاثري المهم حوالي كيلو مترين إلى الشمال من اريحا. بدأت الحفريات فيه للمرة الأولى


صورة مكبرة لأمكنة التنقيب في أريحا.

العام ١٩٣٧. وبنتيجة أعمال التنقيب ظهر أن الآثار تشير إلى كون الموقع يعود تاريخه إلى العهد الأموي وعثر فيه على رسالتين كتبتا على قطع من الرخام وهما موجهتان إلى امير المؤمنين الخليفة هشام بن عبد الملك الذي حكم من ٧٢٤ إلى ٧٤٣م. ومن المحتمل ان كنسية كانت في الأصل تقوم في ذلك الموقع لان بعض الأعمدة التي استعملت في القاعة الداخلية تحمل اشارات الصلبان منحوتة عليها. والملاحظ ان القصر ليس الا جزءا من المنشآت ومخططه الأساسي يشبه مخطط القلاع الرومانية التقليدية.

خربة قمران

أصبحت لهذا الموقع الاثري الصغير، الذي يقع على بعد بضعة كيلو مترات إلى الجنوب من اريحا، شهرة عالمية بسبب العثور على مخططات البحر الميت فيه في عامي ١٩٤٨-١٩٤٩.

وصدف ان فلسطين كانت يومها تعاني من ويلات القتال في فترة انتهاء الانتداب البريطاني، لذلك اجريت الحفريات بصورة سرية. وتبين ان الموجودات المكتشفة تعود إلى ما قبل العهد الروماني أي حوالي القرن الأول ق. م.

ان تاريخ قمران هو تاريخ المخطوطات واقترانه بالمخطوطات يجعل هذه المنطقة ذات أهمية عظيمة. ويتفق بعض علماء الآثار والتاريخ ان سكان قمران الاقدمين هم جماعة الأسينيين مع ان بعض العلماء الآخرين ما زالوا غير مستعدين للاقتناع بهذا الاستنتاج. وعلى كل فان احدا حتى اليوم لم يشر إلى موقع آخر غير قمران يمكن ان تنطبق آثاره وتواريخه على موقع الأسينيين.

هنا أيضاً يحاول العلماء الصهاينة استغلال هذه الاكتشافات الاثرية لتفصيلها حسب مخططاتهم بالادعاء أن الأسينيين هم فرع من أوائل اليهود، ولذلك فان لهم الحق التاريخي والشرعي في هذه الأراضي التي وجدت فيها هذه المخطوطات. والمعروف ان الأسينيين كانوا وثنيين قبل ان يصبحوا نصارى مع بدء الدعوة المسيحية.

بئر السبع

ان الهياكل العظمية التي كشف عنها في مقابر تعود إلى العصر الحجري النحاسي ٤٠٠٠-٣١٥٠ق. م. تقريباً وخصوصاً في منطقة بئر السبع تعطينا فكرة عن التركيب السكاني خلالها وهو تركيب يشير إلى تعايش مجموعتين متمايزتين من البشر:

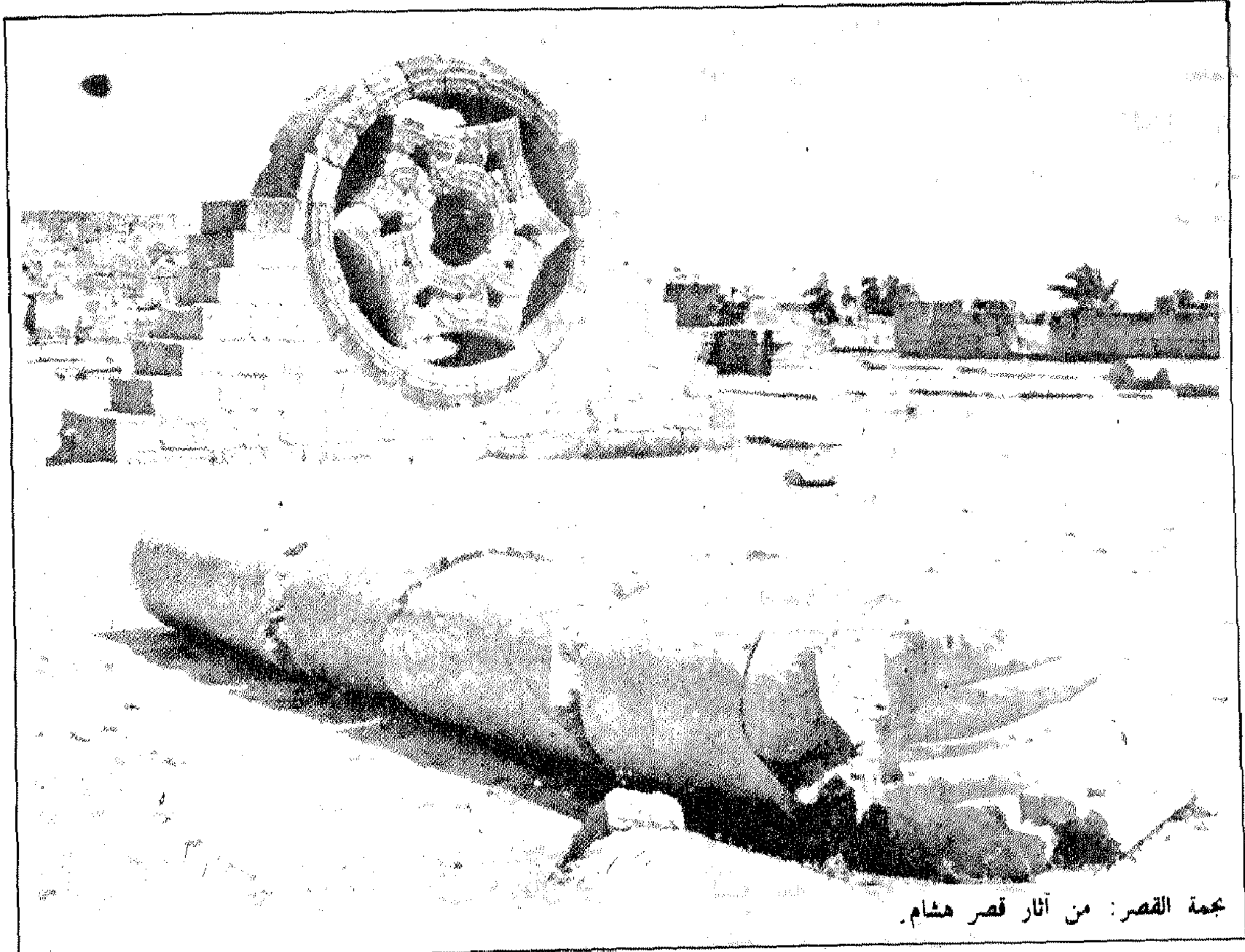
عرق متوسطي وعرق ذي جمجمة عريضة وأنف طويل مستقيم وشعر غزير (brachycephalie).

اكتشافات العبيدية

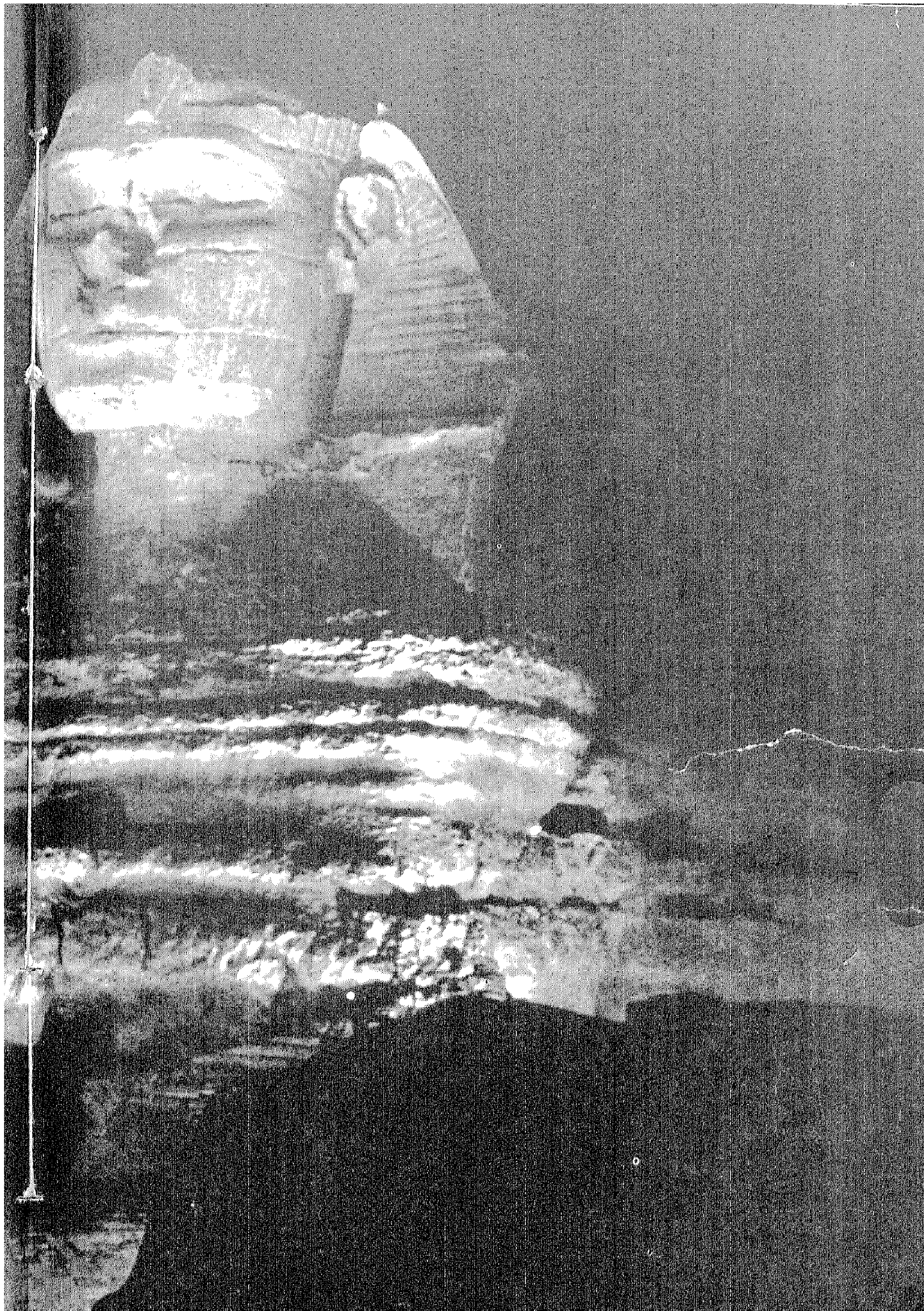
في العام ١٩٦٠ أعلن عن اكتشاف اقدم الأشكال الانسانية التي عثر عليها حتى الآن في الشرق الأوسط وهو انسان من أقدم صانعي الادوات في العالم (أي من حوالي مليون و ٧٠٠ ألف عام). فقد عثر في موقع العبيدية، جنوب طبريه، على كسرتين لجمجمة بلغ سمك عظمها أربعة أمثال جمجمة الانسان الحديث العاقل.

وحتى اكتشافات العبيدية هذه، كانت أقدم الهياكل المعروفة في فلسطين لا ترقى إلى ما قبل العصر الحجري القديم الأوسط (١٠٠,٠٠٠–٤٠,٠٠٠) وهي تلك التي عثر عليها مدفونة في مغاور الجليل والكرمل والصحراء غربي البحر الميت بين الأعوام ١٩٢٥–١٩٣٣. وكان بعض العلماء ارجعوا هذه الهياكل حينذاك إلى الفترة الواقعة بين ٥٠,٠٠٠–٤٠,٠٠٠ عاماً مضت، ولكن الدراسات الحديثة تميل إلى العودة بأقدمها إلى حوالي ٧٠,٠٠٠ سنة مضت.

أحدثت هذه الهياكل لدى اكتشافها ضجة كبيرة لأنها اظهرت خصائص مركبة من خصائص انسان النياندرتال وخصائص الانسان الحديث العاقل، في الوقت الذي كانت فيه الأشكال الانسانية المعاصرة لها والمعروفة من أنحاء أخرى من العالم ذات خصائص نياندرتالية خالصة. وعزا البعض ذلك إلى تزاوج بين هذين الانسانين، في هذه المنطقة التي كانت ولا تزال جسراً بين القارات، نجم عنه هذا الانسان المهجن. بينا اعتقد آخرون ان هذه الهياكل مثلت مرحلة أو مراحل في طريق التطور إلى الانسان الحديث العاقل. ولا يزال موضوع تصنيف انسان العصور القديمة موضوعاً حيا تغذيه بالمعطيات الجديدة المكتشفات الحديثة في أرجاء مختلفة من العالم ويلعب فيه «انسان الكرمل» دوراً مهماً.



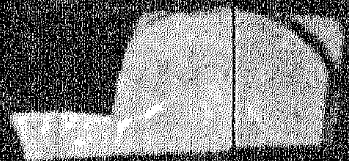
نجمة القصر: من آثار قصر هشام.

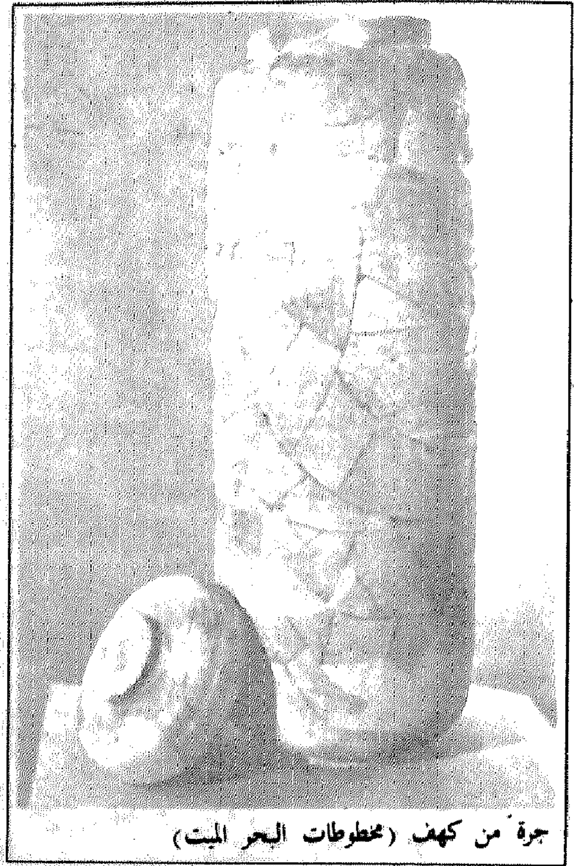


ابو الهول

في المعتقدات الشعبية المصرية
خلال العصور الوسطى المتأخرة

د. اولريش هارمان




جرة من كهف (مخطوطات البحر الميت)

الهوامش :

(١) لن نتحدث هنا عن كل الآثار التاريخية المهمة في المدينة المقدسة بقدر ما سوف نركز على محاولات الصهاينة في استخدام علم التنقيب عن الآثار لاهدافهم الاستراتيجية التوسعية. ونذكر في هذا المجال مقال د. مروان بحيري: «مدينة القدس من خلال ادب الرحلات والفنون الجميلة» الذي نشرناه في «تاريخ العرب والعالم» (العدد الثاني/كانون الأول-ديسمبر ١٩٧٨، ص ١٦ - ٢٥) حيث نجد معلومات اضافية عن آثار المدينة المقدسة. أما حول الآثار في القدس فيمكن مراجعة محاضرة الإستاذ محمود العابدي: «الحفريات الاثرية حول الحرم المقدسي» في المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام (عمان ٢٠-٢٥/٤/٧٤)(كتاب المؤتمر ص ٢٦٣-٥٤٧).

(٢) يمكن العودة أيضاً إلى:

● د. ديمتري برامكي «العالم العربي في العصر الحجري»، مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد الأول/تشرين الثاني-نوفمبر ١٩٧٨ ص ٦٤-٧٢

● د. نقولا زيادة «العصور الحجرية في الأردن»، مجلة «تاريخ العرب والعالم» العدد التاسع/تموز-يوليو ١٩٧٩ ص ٣٧-٤٢.

(٣) راجع أيضاً مقال د. ديمتري برامكي في «تاريخ العرب والعالم» بعنوان: «القصور الاموية في سوريا وفلسطين»، العدد الثاني/كانون الأول-ديسمبر ١٩٧٨ ص ٣٣-٤٠.

المراجع الرئيسية

●«آثار الاردن وفلسطين في العصور القديمة-أضواء جديدة ١٩٥٢-١٩٧٧». تأليف د. محمود أبو طالب-منشورات وزارة الثقافة والشباب الاردنية-١٩٧٨.

● «آثار الاردن». تأليف لانكستر هاردينغ، تعريب سليمان موسى. منشورات وزارة السياحة والآثار الاردنية. الطبعة الثانية ١٩٧١.

● مقال عن الأسينيين في مجلة «ايستوريا» الفرنسية بقلم دانيال روبس (العدد ١٧٧-تموز-يوليو ١٩٦١ ص ٢٢٤-٢٢٨).



●نحن على مشارف العام ٢٠٠٠ ومهام عديدة متعلقة بتواريخ ماضية ما زالت تنتظرنا. ماذا سنفعل في العام عشرة آلاف؟

كلود كاهين

●ويل لأمة تقابل كل فاتح بالتطبيل والتزمير، ثم تشيعه بالضجيج والصفير لتقابل فاتحاً آخر بالتطبيل والتزمير.

جبران خليل جبران

●الموتى لا يستطيعون رؤية التاريخ.

موسوليني

● يَرى مسلمُ العصور الوسطى في مصرَ بلدَ الغرائب والنوادر. قابَلَ المسلمُ العادي مصرَ للمرّةِ الأولى في القرآن من خلال سيرتَي النبيّيْن يوسف وموسى اللذين صارعا طغاة مصر القُدامى وتغلبا عليهم، تينك السيرتين اللتين عرضهما القرآن بوضوح وتركيز. وهكذا دخلت مصر ضمن البقاع المباركة تاريخياً، وشكّلت حلْقةً من حَلقات التاريخ الذي حققت نبوةُ النبيِّ محمدٍ ذِروتَه واستمراريته. لكنّ نصوصَ الدينِ الاسلامي الأولى تصمُت عن ذكر آثار مصر القديمة، تلك الآثار التي كان كثيرٌ منها ظاهراً للعيان ومعروفاً. كان الوعي التاريخي بماضي مصرَ وَحَضارتها القديمةِ عند ظهور الاسلام قد تضاءل أو اختفى، ولذلك لم يكن الفهم التاريخي للأضرحة والاهرامات والمِسَلّات ممكناً. وهكذا فَقَدْ أضاعت مُخلَّفاتُ الفراعنة معانِيَها الأصليةَ الأولى وصارت مهيَّأةً بالتالي لتفسيراتٍ وتأويلات جديدةٍ. وحَوْلَ صورتي يوسف وموسى نشأت في الأزمنة الاسلامية بمصرَ صورةٌ جديدة عنها وعن تاريخها، إسلامية الطابع في أشكالها وقِيَمِها، لكنّها بقيت خارج الاتجاهات الرسمية والكلامية للاسلام في نطاق الأوساط الشعبية وأقاصيصها، مستقيةً كثيراً من أجزائها من تلك التقاليد والأساطير الشعبية القديمة والمستمرة. ولا نهدُف هنا إلى تعداد آثار العهود الفرعونية القديمة، والقبطية الهيللينية بمصر، بقَدْرِ ما نريد أن نَلفِتَ الانتباهَ إلى تلك التقاليد المحلية القديمة في حياة مسلم مصر في العصور الاسلامية على المستَوَيَيْن الدينيِ والثقافي وأشكال ظهورها في أعمال المؤرخين والكُتّاب بين القرن التاسع والقرن الثامن عشر الميلادي. إنَّ موقفَ المصري العادي بمصرِ العصور الوسطى من عهود مصر الوثنية قبل الاسلام يَعْكِسُ ذلك التوتُّرَ الدائمَ بين العقائد الشعبية والاسلام في صورته الثقافية العليا. لقد كان على المصريين انتظار الوِفادة النابليونية عام ١٧٩٨ ليظهَرَ علمُ المصريات. وليُعَادَ بحثُ صورةِ مصرَ في العصور الاسلامية بحيثُ تنشأُ صورة جديدةٌ مستنيرة عن تاريخ مصر تحِلّ محلَّ الصورةِ السحريةِ والقصصيةِ عن تاريخها القديم.

* * *

اهتمَّتْ بتاريخ مصر القديم فئتان من الدارسين المسلمين في العصور الوسطى، فئة الجغرافيين وفئة المؤرخين. أما الجغرافيون فقد ذكروا تاريخ مصر القديم في سياق عَرْضِهم لعجائب العالم وغرائبه. وأما المؤرخون ففي سياق تقاريرهم عن الدول والعهود بمصر القديمة.

وَلْنبدأْ مع الجغرافيين المسلمين. ضمن القائمة الطويلة لعجائب مصر يذكر الجغرافيون هؤلاء إلى جانبِ عجائبِ الطبيعة التي صَنَعَتْها يدُ العناية الالهية على سبيل المثال «الرِّعادة» التي هي سمكة في النيل تُصيب السابحين فيه بما يُشْبِه الصَدْمة الكهربائية. والغريب انهم يذكرون بعد ذلك مباشرةً في جِوارٍ أصبحَ ظاهرةً قائمةً بذاتها هياكلَ ما قبل التاريخ، تلك التي هي شواهِدَ العصور الغابرة.

ولا يستطيعُ الناسُ التصوُّر أنَّ هذه الأبنية الضخمةَ بَنَتْها يدٌ بشريةٌ. لذلك تَظْهَرُ أقاصيص عندهم حول بناء الجِنّ لها، أو الأنبياء من صُنّاع المعجزات. لقد أثارت تلك الأبنيةُ الهائلةُ في مُخيِّلَةِ فئاتٍ مختلفة عَبْرَ العصور الاسلاميةِ تصوراتٍ وأساطيرَ لا حَدَّ لشطحاتها مثل سَراب مدينة الزجاج الأخضر الذي يَظْهَرُ للمسافرين في تيه بني إسرائيل، ومثل مدينة النحاس التي لا يذكرها قُصّاص ألف ليلة وليلة فقط بل جغرافيون ومؤرخون جادّون أيضاً. ولا يَغْفَلُ مؤلفٌ مسلمٌ في هذا المجال عن ذكر عجائب البناء الانساني هذه، كالإسكندرية ومنارها، ومدينة منف وكنوزها. ويزدادُ الأمرُ عند هؤلاء أهميةً عندما يمكن ربطُ ذلك كله بقصص الأنبياء، مِثْلَ سجن يوسف وأهرائه.

د. أولريش هارمان: مدير المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت.



أبو الهول و الاهرام

تقاليد أسطورية مصرية

هذه النَمَطية في عَرْضِ صورةِ مصرَ قبل الاسلام تظهر أوضح ما يكون من كتب المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن تاريخ مصر، وكانوا جميعاً تقريباً مصريي الأصل. وتبدو التقاليدُ المحلية المصرية عن ماضي مصر مؤثرة، فالغموضُ والاسطوريةُ (اللذان يحيطان عند الفرس بتاريخ ملوكهم القدامى من الأخمينيين والساسانيين) يحيطان أيضاً بتاريخ مصر القديم وملوكها. وهكذا يظهر عند المؤرخين المصريين والمسلمين الملك الأسطوري سوريد باني أهرام الجيزة، والملكة دلوكة القبطية التي بايعها المصريون ملكةً بعد هلاك الفرعون المُلاحق لموسى في البحر، والتي أقامت السورَ الضخم الممتدّ من العريش وحتى أسوان، ذلك الذي سُمّي «حائط العجوز».

ينقسم تاريخ مصر القديم عند المؤرخين المسلمين إلى قسمين يفصِل بينهما طوفان نوح. ولا يملك هؤلاء المؤرخون أخباراً محددة عن فترة ما قبل الطوفان. ولا يمكن معرفةُ قبور الأنبياء قبل نوح إلا عن طريق كراماتٍ يُعطاها أولياءُ الله، ذلك أنَّ التي كانت لدى

القدماء في المعابد تختزنها الآن بُطونُ الأرض تحت الأهرام وفي داخلها، وهي مَحْمِيّةٌ بالطِلَّسْمات فلا يستطيع أيُّ انسان أن يخترقَ هذه الأخطار إليها. ولقد كان بوُسْعِنا ان نعرفَ أسرار الأهرام لو انها بُنيت بعد الطوفان ولم تُبْنَ قبله. أما معارفُنا القليلةُ عن عصرِ ما قبل الطوفان بمصر فترجع إلى رجل واحد مجهول الاسم لم يهلِك في الطوفان وانتقلت أخباره عبر ستة وثلاثين ألفاً أو حتى اثنين وسبعين ألفاً من السنين. ووصلتنا عن طريق بردية وُجدت في قبر بجانب دير أبي هرميس في سقّاره. أما ما بعد الطّوفان من التاريخ المصري القديم أو بعبارة أخرى قصتا يوسف وموسى فإنّ الأنباء عنهما مؤكَّدةٌ تماماً بل هي مُوحاةٌ مقدَّسةٌ، هذا وان تكن المسيرةُ التاريخيةُ هذه تُخالِطُها بعضُ الفترات الغامضة.

يبدو تاريخُ مصر القديم في فترةٍ ما قبل الطوفان وبعدها عند المؤرخين المسلمين عَبْرَ سلسلةٍ من الملوك المتعاقبين منذ أيام أحفادِ شيث بن نوح وحتى أيام المقوقس آخر حُكّام مصر، الذي وجَّهَ إليه النبيُّ محمد رسالةً مشهورة يدعوه فيها الى الاسلام. وقد سيطر بعده على مصر المسلمون مُنْهين عهودَ الوثنية والضلال فيها. وترى المروياتُ الاسلاميةُ ان الفتح الاسلامي لمصر كان متوقعاً عند العارفين قبل وقوعه بقرون، فقد انتصر أحدُ فراعنة الأساطير الاسلامية على خصومه في معركةٍ فاصلة لأنه كان يُؤْمِنُ في السرِّ بديانةِ التوحيد. وقد طَمْأنَ فرعونٌ مؤمنٌ آخرُ وليَّ عهده وهو على فراش الموت إلى ان الأنبياء سيؤيّدونه.

ومصر القديمة بالنسبة لمسلم العصور الوسطى هي «بابل السّحر» كما يقول ابن النديم ويوجد السحر هذا في الاهرام والمصاطب بالهيروغليفية؛ التي يُسَمّيها العربُ: كتابة البرابي أو القلم الكاهني أو قلم الطير. هذه الأسرار محجوبة ومحمية من الدخلاء بالطِلَّسْمات. ويورد المؤرخون والقَصّاصون العرب مرويات وتقاليد وقصصاً طويلة لايضاح ماهية علوم السحر هذه التي تَجَمَّعَتْ عند هرمس المثلث خليفة إله العلم القديم عند المصريين «توت». وتختلط هذه الهرمسية العلميةُ بالأقاصيص الشعبية، والسحر ذي الصِبْغَة الدينية لتَخْرُجَ بعد ذلك تخيُّلاتٍ وتأويلاتٍ بعيدة، ليس أغْرَبُها ما ورد في كتاب «سر الأسرار»، بأن أحدَ الاهرام كان المَثْوىَ الأخير لأرسطو الذي يُنْسَبُ إليه الكتاب.

لقد استطاع وشنغتن ايرفنغ القاصّ الأميركي المعروف أنْ يَنْقُلَ صورةً حيةً عن الصورة الشعبية الاسلامية لمصر القديمة في كتابه «المنجم العربي». ففي أمسوس أول عاصمة لمصر على النيل، تلك التي دمّرها الطوفان، وفي منف وعين شمس وصا الحجر في الدلتا، وفي كل مكان بمصرَ السحريةِ هناك مقادير ضخمة من الذهب والنحاس الأحمر، والقُبَب الزجاجية الدائرة، ورفرفةُ أجنحةِ طيور فضية حول بحيرات مقدسة وفوق أعمدة عالية. وهناك نسور ذات أعْيُن زمرّدية تضرب بأجنحتها الضخمة وديوك هائلة تحْرُس الأبواب الأمامية التي تتركَّزُ خلفها الطّلّسْمات الصائنة للأسرار.

معتقدات عاشت طويلاً

لكن لنعدْ إلى اشكاليتنا الرئيسية المُثارة آنِفاً. هل هذه المَرْوِيّاتُ النَمَطيةُ عن عجائب مصر وفتراتِ تاريخها المُبَكِّرِ هي تاريخٌ ميّتٌ، وماضٍ غارق، أم انها كانت ما تزال تملك بالنسبة لمسلمِ مصرَ في العصور الوسطى حياةً وعلاقاتٍ بحياته؟!. واذا كان كذلك، فهل كانت هذه الصورةُ حية في أذهان العامة والريفيين بمصر فحسب!. وما صلةُ ذلك كله بالتقليد الاسلامي الرسمي الذي يربُط مصرَ القرآنيةَ بمصر الاسلامية فقط، بينما تنتشر على شواطئه وخارجه تلك المروياتُ والأساطيرُ والخيالاتُ عن العصور الفرعونية دونما علاقاتٍ قوية به أو حتى فيما بينها.

الواقع انه نادراً ما يَخْتلطُ التقليدان (نَعْني التقليد الاسلامي الرسمي، والتقليد الشعبي). فالأماكن والآثار التي ذكرناها وذَكَرْنا رَبْطَ البعض بينها. وبين النبِيَّين يوسف وموسى قليلة. ثم ان المرويات القبطية المجهولة الأصل عن ماضي مصرَ القديم ظلت شكلاً مضموناً (باستثناء بعض الاشارات الى التوحيد الاسلامي القادم) وثنية ـ مسيحيةً يتعذّرُ استيعابها ضمن الصورة الاسلامية لمصرَ ما قبل الاسلام وما بعده. ويُشكِّل شخص النبي محمدٍ استثناءً ملحوظاً في هذا المجال اذ انّ بعضَهم يؤكد انه رأى له تمثالاً قديماً هو عبارةٌ عن رجلٍ يرتدي عِمامةً ويركبُ جَمَلاً. هذا الخبر يُورِده الجغرافي ابن خرّداذبة في القرن التاسع الميلادي عن بعض رجال حاشية ابن طولون أول حكام مصر المتغلبين في العصر الاسلامي. فقد استطاع بعضٌ من هؤلاء الدخولَ إلى الهرم الصغير بالجيزة حيث

رأوا ثلاثة تماثيل صغيرةٍ من ذهب، وكلُّها لِرجال. أما الرجُلُ الأولُ فيحمل أفعىً، بينما يحمل الثاني عصاً ويركَبُ حماراً، في حين يحمل الثالث عكازاً ويركب جَمَلاً. وقد حُمِلت هذه التماثيل إلى بلاط أحمد بن طولون حيث جَرَى الاجماعُ على انَّ الثلاثةَ تماثيلَ لموسى وعيسى ومحمد. هنا نلحَظ محاولة استيعابِ تقاليدَ محلّية ضمن الاسلام وتقاليده. ولا شك انَّ المحاولة تمت في نطاق الاسلام الشعبي، ذلك ان تمثيلَ النبي وتصويرهُ مُحَرَّمٌ في الاسلام، لا يمكن ان تتقبّله السُنّيةُ المصريةُ التي سادت عَبْرَ العصور، حتى في الدولة الفاطمية.

تقبّلت العامّةُ بمصر أقاصيصَ العجائب، والتقاليد المحلّية بالتّرحابِ وأنبتتها ضمن صورتها عن الاسلام رغمَ مخالفةِ ذلك للاسلام الرسمي المتحفِّظ، وقد لقي الاتقياءُ المثقّفون صعوباتٍ جَمّةً في اقناع الفئاتِ الشعبيةِ بأنَّ أبا الهولَ مثلاً لا يضُر ولا ينفع كما سَنَرى. إنّ الطِلسماتِ (التي تَحْمي هذه المباني وتَحوطُها) قادرةٌ على إهلاكِ كلِّ مَنْ يُحاولُ المساس بها من قريب أو بعيد. لذا كان من العَبَثِ اللجُوءُ إلى تدمير الاهرام، أعظم تماثيل القدماء التي تُمثّلُ سلطانَ السَحرَةِ. وقد حاول ذلك الخليفةُ المأمونُ من قبلُ ففَشِلَ وتراجع. وقد ظلت كُتُبُ المهتمين بمصر تُردِّد (عَبْر العصور حتى القرن التاسع عشر) القول المأثور المشهور أنَّ خراج العالم كلّه فضلاً على خراج مصر لن يكونَ كافياً لنفقات تدمير الأهرام، هذا مع أنّ فرعوناً مصرياً قال إنّ الهدمَ أيْسَرُ من البناء. وهنا بالذات تكمُن الخصِيصة الرئيسية للموقف تجاه مصر القديمة: حَذَرٌ وعَجْزٌ رغم كلِ محاولات التقصّي المحدَّدة.

انّ الإيمانَ بالله لا يحُول دون تقدير السَحَرة القدامى وقدراتهم الخارقة. والأهرام تقع خارج الاسلام، لذا فان شمس الدين محمد الدمشقي يتمنى ان تتحوَّلَ إلى مَلاذٍ للدين الحنيف إلى يوم القيامة، لكنْ يبدو ان أُمنيتَهُ هذه لم يشاركْه فيها كثيرون، خصوصاً الشيعة، ففي رواية شيعية لابن بابويه القمّي ان المهديَّ الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الذي يظهر قبل يوم القيامة سيكون بُوسعه أن يقهَر الأهرام ويُدمِّرها. أما أبو جعفر الادريسي الذي اهتم بالاهرام في القرن الثالث عشر الميلادي فقد رَوَى عن والده وآخرين (أغْفَلَ ذكر اسمائهم) أثراً يذكر أنّ الجيادَ يومئذٍ ستغُوصُ في بحر من الدم. وأخيراً أكّد الرَحّالةُ التركيُّ أوليا غلبي الذي زار مصر عام ١٦٧٠ انه قَبْلَ نهاية العالم بساعاتٍ قليلة سيظهَر مَلِك عظيم يذكّر ببخت نصر يعْمِد إلى تفجير الاهرام بالمسحوق الأسود. وبذلك تبطُلُ الطلسمات التي حمت مصر منذ غابر الأحقاب من الدَمَار في فياضانات النيل.

وأبو الهول أيضاً...

ولا تختلف الأخبار الاسلامية عن أبي الهول عن الأخبار عن الاهرام. انها تنتمي مِثْلَها إلى التقاليد المحلّية الشعبية. وقد أثار هذا التمثالُ الضخمُ اهتمامَ المؤلفين المسلمين، حتى أولئك (الذين تَرَكَّزَت تقاريرُهم حولَ الاهرام) أشاروا إلى أبي الهول اشاراتٍ مقتضبة.

وليست هناك أخبار كثيرة عن أبي الهول في كتابات المؤلفين المسلمين. صحيح أنه ترد تقارير وجيزةٌ عنه في مؤلفات أكثرها عربي لكن منها الفارسي (مثل حمد الله مستوفي) والتركي (خصوصاً بعد الفتح العثماني لمصر عام ١٥١٧) لكِنْ لا يمكن الحديثُ عن تقليدٍ تاريخيٍّ اسلاميٍّ متصلٍ بأبي الهول يُشْبِهُ ذلك المتصلَ بالأهرام. فأبو جعفر الإدريسي مَثَلاً يذكر في مائتي صفحة من كتابه «أنوار علوّ الأجرام في الكشف عن أسرار الأهرام» كل ما يتصل بالاهرام وما يدور حولها من مرويات وأساطير، في حين يتضاءَلُ اهتمامُه بأبي الهول فلا يَذْكُرُ الأقاصيص المتصلّة به – للأسف – في كتابه. ان أولئك الذين يُوردون اخباراً وتقارير عن أبي الهول – مهما تكن هذه التقارير مقتضبة – فانما يفعلون ذلك من خلال مراقبةٍ شخصية قاموا بها في أكثر الأحيان. ونتيجةً لذلك وصلت إلينا تقاريرُ مختلفةٌ عَبْرَ العصور عن أبي الهول تختلف قيمةً وطولاً وتتضمن بعض المكررات لكنها لا تصل إلى درجة التحوُّل إلى أنماط ثابتة في هذا المجال. وكثيراً ما يؤكد هؤلاء المؤلفون وجود أقاصيص حول أبي الهول بالجيزة لكنهم لا يمضون فيسجلون هذه الأقاصيص على الورق. وتمتدُّ المسافة الزمنية للتقارير حول أبي الهول من القرن العاشر الميلادي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي. وقد تصاعد الاهتمام بأبي الهول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر لأسباب مختلفة ومتناقضة، ومهمَّةُ هذه الكلمة عَرْضُ قضية هذا الاهتمام وايضاح اسبابه.

يُطلِقُ بعض الكُتّاب المسلمين على أبي الهول الاسم القبطي القديم فيسَمُّونه بهواه أو بلهوبه أو بلهيب

أو بلهيت. ويتحول ذلك في تأصيلٍ شعبيٍّ لِجِذْر الكلمة إلى «أبي الهول» تحت وطأة ما اثارته صورة ذلك التمثال في الأعين والمُخيّلات من رَهْبَة وخشوع عبر العصور. وتُشْبهُ ذلك تسميتُه بأبي الأهوال أو الصنم الهائل. ويبدو ان اسم «أبي الهول» عند العرب لم يكن خاصاً بأبي الهول القائم في الجيزة. بل كان اسماً يطلق على كل تمثال ضخم قديم لانسان. لذا سمّي تمثال رمسيس الثاني بمنف (الذي ينتصبُ اليوم شامخاً في ساحة رمسيس بالقاهرة أمام محطة السكك الحديدية) بابي الهول أيضاً. وتذكُرُ بعضُ المصادر أنّ الخليفة الفاطميّ الحاكم بأمر الله المتَمتّع بقوىً خارقةٍ اكتشف هيكلاً فارغاً لانسان. وقد أعانه في اعادة بعض المسروقات، وهذا التمثال أيضاً تُسَمِّيهِ هذه المصادرُ أبا الهول.

هناك عِدّةُ خصائصَ ترتبطُ بأبي الهول في كتابات مسلمي العصور الوسطى. فأبو الهول صنم في نظرهم من العصور الوثنية القديمة يُمثِّل انساناً ويتميز بجمالٍ وسحرٍ خاص. وهناك مؤلفون يُسمُّون أبا الهول «صَنَم الهرمين» وقد كان جسمُ الأسد مطموراً في الرمال (— وهو ما كان يعرِفُهُ الناس أيضاً في تلك الأزمنة —) لكن ربما بسبب ذلك لم يَتَغَلْغَلْ هيكلُ الأسد في المُخيِّلة الشعبية، إذ ظَلَّ يَنْتَظِر حتى كَشَفَتْهُ البعثة الفرنسية أوائل القرن التاسع عشر.

أما الرأس الانساني لأبي الهول فقد أثار اهتمام وإعجاب كل المشاهدين بسبب حَجْمِه الكبير (بحيث أنّ نسراً يستطيع أن يُعَشْعِشَ في أُذُنه) وبسبب الحُمْرة الغامقة التي تُمَيِّزه والتي استمرت عبر العصور، ثم أخيراً بذلك التوازن الذي يبدو بين أجزائه رغم ضَخَامته. ويشبِّهُ ابن فضل الله العمريُّ الجغرافيُّ والمؤرخ في العصر المملوكي رأس أبي الهول برأس راهبٍ حَبَشيٍّ مَحُوطٍ بغطاء الرأس الديني (القَفّارية). أما أوليا غلبي فهو مفتونٌ بِشَعْرِ أبي الهول الجميل. لكنّ أَنْفَ أبي الهول لحقت به أضرار في القرن العاشر الميلادي. إذ يذكر المقدسي (الذي ربما كان أول المؤلفين المسلمين الذين ذكروا أبا الهول) أنَّ الذين قاموا بالحاق الأضرار بأنف أبي الهول كانوا قوماً ظنُّوا ان التمثال يُمثِّلُ الشيطان وانهم بإضرارهم به انما يَتَّقونَ لعناته. أما أوليا غلبي فيَرى ان النبيّ موسى هو الذي شوَّهَ وجه أبي الهول. فقد كان أبو الهول يتمتع بالقدرة على الكلام وعلى النُطْق بالمغيّبات الخمسة التي لا يعلَمها إلا الله (القرآن/سورة لقمان، آية رقم ٣٤). وعندما طلب إليه موسى أن يعترفَ بنبوتِه رَفَض الاعترافَ بنبيٍّ غير ادريس (الذي هو هرمس أو توت ذي المعرفة والأسرار) فاشتدّ غَضَبُ موسى لذلك وشَهَر عصاه المشهورةَ (وهو في التقاليد الاسلامية من الرُسُل أولي العزم) فهشم بها شفتي التمثال وأَسْكَتَهُ بذلك إلى الأبد. لكنّ أوليا غلبي يذكر رواية أخرى حول صَمْت أبي الهول تتصل بلِصٍّ فَضَحه التمثالُ وجَلَبَهُ أمامَ القضاء فانتقم منه بتَسَلُّقِه والتبوُّل على رأسه.

اسهم رحالة بولنديون والمانٌ في نهاياتِ القرن السادس عشر في نشر مزيد من الأساطير حول تكلُّم أبي الهول إذ زعموا أنَّ كهنةً وثنيينَ استطاعوا التسلُّلَ عَبْر أنفاقٍ تحت الأرض إلى داخل أبي الهول الفارغ وتحدثوا مِن خلاله إلى عامة الناس من السُذَّج الذين ظنوا ان أبا الهول نفسَه هو الذي يتحدَّثُ إليهم.

ويزعم الكُتّاب المسلمون أنّ الصابئة كانوا يعبُدون أبا الهول. في روايةٍ انهم كانوا يَرَون فيه الالهة فينوس التي تُفيضُ حُبّاً وحناناً وتَهَبُ مصر الفرح والسعادة. وفي رواية أخرى ان أبا الهول هو التمثال البشري لأشمون الذي صَنَعَتْه يدُ الانسان منحوتاً من صخر ومحمولاً إلى ما بين الهرمين. وأشمون هو عم «صابئ» والواقع أن الرَبْطَ بين أشمون (الذي هو في الحقيقة خنوم إله صعيد مصر) وبين أبي الهول الذي هو تمثال للفرعون الالهي خفرع؛ غريب. والصابئة كانوا يَحُجّون (كما تذكر الكتابات العربية) إلى أبي الهول ويجلبون معهم له البخور ويضحون عنده بالدِيَكة البيض المهداة للقمر. وهذه الدِيَكة رمز لمجيء الصباحِ الذي يطرُدُ الليل بصياحه، ويطرد معه أرواحَ الظُلْمة الشرِّيرة ويَبْعَثُ الضوء والحياة. ويَمْضِي هؤلاء المؤلفون بعيداً فيذكرون لنا بدايات صلواتِ السحرةِ لأبي الهول، انهم يخاطبونه قائلين: بلهوب! اننا نقدّم إليك نذورَنا وطاعتنا فَتَقَبَّلْ دُعاءَنا.

وثمة قصة تقول أنَّ أتريب (أخا أشمون وليس أشمونَ نفسَه) مدفون في المكان الذي يقوم عليه الآن تمثال أبي الهول. لقد حمله مَرَدَةٌ من الجن من جزيرة في البحر حيث تُوُفِّي إلى حيث يقوم الآن في الجيزة، فدفنوه هناك لكن الشيطان بزيّ راهب أخبر المصريين بوجوده فنبشوا مومياءه وأقاموها على عرش وعندما بدأ

الشيطان يتحدث من خلاله خرُّوا أمامه سَجَّداً وعبدوه. ولا شك ان القصة هذه شكلٌ آخرُ من أشكال حكاية أبي الهول المتحدث.

ويَرَى الحسن بن أبي محمد الصفدي المؤرِّخ الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي بمصر أنَّ أبا الهول صنمٌ ضَخْمٌ أحمرُ اللون اسمه بهوة يعود إلى ما قبل الطوفان، وهو صنم للشمس كان ينتصب على رأس هرم خوفو. وعندما حدث الطوفان سقط من ضمن ما سقط ودُمِّر وبقيت منه آثار فقط، وهي التي تبدو الآن بينما توارت البقيةُ تحت الرمال. وتَزْخَر المصادر العربية التي تتحدث عن الاهرام بالأخبار عن التماثيل الحمراء من النحاس المنتصبة على الاهرامات والتي تستدير باتجاه الكواكب، ويَتَكَرَّر وُرودُ هذا النَمَطِ في ألف ليلة وليلة لكن أبا الهول لا يُذْكَرُ في هذا السياق أبداً. هذه الأقصوصة الأخيرة عن أبي الهول مُهِمّةٌ في الواقع لسبب آخَرَ أيضاً، إذ انها تُشير بوضوحٍ إلى أنَّ الناس لم يكونوا يَرَوْن في أبي الهول بالجيزة الالهةَ المُسَيْطِرة في تلك الناحية فقط، بل كانوا يَرَوْنَ فيه صورة الشمس. في كتاب أبي جعفر الادريسي عن الاهرام أنَّ الشمس كانت تُرْسِل أشعَّتَها بين عيني أبي الهول تماماً الذي هو «صنمها الأكبر».

وربط أبي الهول بالشمس بهذا الشكل يجعل له علاقة بالصور المشابهة المعروفة في الفن الاسلامي والتي تعود على أية حال إلى التأثير الايراني وليس لنماذج مصر القديمة، وتظهر صور أبي الهول هذه وهي المُزَوَّدَةُ بأجنحةٍ مضاعفة، بمصاحبة طيرٍ محلِّق. وهذا الطير تَطَوَّر من شكل الشمس المجنّحة الشائع بفارس القديمة حيث يظهر في الصور إلى جانبها (وهي المزوَّدة بأجنحةٍ مضاعفةٍ) طيرٌ محلِّقٌ هو عبارةٌ عن تطوُّرٍ لحاجب الشمس المجنح.

رغم الصورةِ القاتمةِ التي تظهَر في القرآن لفراعنة مصر القُدَامَى، فلا شكَّ أن المؤلفين المسلمين (الذين اهتموا بآثار مصر القديمة وعجائبها) كانوا يعرفون عودتَها إلى تقاليد محلّية مصرية قديمة ما تزال حيةً في وعي القرويين المصريين على الأقل. فبالنسبة للعامة من المصريين كان أبو الهول هو الطِلَّسم الذي يحمي أرض مصرالخَصبة من العواصف الرملية للصحراء الليبية التي دفنت من قبلُ مدُناً كثيرةً. والحقّ أنَّ مَهَمَّة الحماية (التي تعود إلى تصورات فرعونية قديمة فعلاً) لم يكن يَنْفَرِد بها أبو الهول. فعلى الضِفَّة المقابلة من النيل كان ينتصب حتى القرن الرابع عشر الميلادي تمثالٌ ضخم لأمرأة هي أمرأة أبي الهول. وكانوا يُسَمُّونها السيدة أو الغسّالة من آل فرعون أو «سُرِّية فرعون». ولم يكن التمثال سليماً تماماً فقد قاومت السيدةُ أيضاً موسى ولقيت جزاءها. وكانوا يرون ان السيدة قائمةٌ على ضفة النيل كطلسم لحماية سكان ضفة النهر اليُمْنى من فيضان مياه النيل. وهذا الاتجاه التفسيري مصريٌّ قديمٌ أيضاً. فايزيس عند المصريين القُدامى هي زوجة الملك/الاله خفرع من الأسرة القديمة الرابعة. وهي سيدة النيل وحامية ضفته.

«لعنة الفراعنة»

أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر تصاعدت حركة دينية متشددة هدفها تدمير أبْرز معالم الوثنية القديمة في محاولة للقضاء على الخرافات حولها وزعزعة اعتقاد العامَّة بفائدتها وسلطانها. وسنذكر فيما بعد في سياقٍ آخر ذلك الشيخ الذي ضرب أبا الهول بحذائه أواخرَ القرن الثالث عشر. وفي عام ١٣١١ قام أحد الأمراء الباحثين عن الكنوز واسمه جانبولاط بتدمير تمثال السيدة وَولَدِها فاستُخدمت موادّه في المسجد الجديد الذي بناه الملك الناصر محمد بن قلاون بجوار مقام التمثال. ويُظْهِرُ كُلٌّ من ابن دُقْماق والمقريزي (وهما من مؤرخي القرن الخامس عشر) ارتياحهما لعدم حدوث أي ضرر نتيجةً لهذا التدمير مما يدل على أنَّ الطلسمات عَبَثٌ وباطل.

وقام الأمير شيخو بعد العام ١٣٥٠ بقليل بنقض المعبد الصغير المبني من الصوّان الأخضر بمنف محاولاً نقله إلى القاهرة لكنه تَحَطَّم فاستُخْدِمَت حجارته في بناء خانقاهُ وجامعِه الجديد. والواقع أنَّ عَتَباتِ المساجد التي يعود كثير منها إلى العصور الفرعونية كانت تؤدّي مَهمَّتين: مَهَمَّة طمأنة المسلمين من حيث أنَّ بعضَ القدرات السحرية انتقلت بانتقالها إلى المسجد، ومهمة العَزاء الديني، وذلك باحساس الداخل إلى المسجد انه يَدُوسُ الوثنية بقَدَمَيْه.

وتشير النصوص التي وصلت إلينا إلى أنَّ هذه الحملةَ التدميرية بلغت ذروتها في منتصف القرن الرابع عشر، ويبدو ان المعاصرين كانوا يحسون بالتوتّر والقلق من جَرّاء ذلك كلّه. ويمكن إعادةُ الأمر إلى أسبابٍ

عِدّةٍ، من بينها تلك المجاعات التي كانت تنزل بمصر بين حين وآخر وانتشارُ الطاعون الذي كان يفتِكُ بالريفيين بالذات ويخرب بالتالي الحُقول ويَقْضي على ثروة مصر التاريخية المعروفة. ويضاف إلى هذا كلّه تلك الطهورية الشديدة التي ارتبطت منذ مطلع القرن الرابع عشر الميلادي بإسْمي ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية. أدّت النوازلُ المتتالية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي إلى لجوء الشعب إلى مخزونه القديم من التصورات وأقاصيص الجفر والملاحم. وصاحبَ هذه الشَعْبَوية كَرَدٍّ فعل عليها تيّارُ المتشددين الذين رأوا في التوجهات الشعبية الجديدة وثنيةً وانحرافاً وتراجعاً عن الدين الحق. وهكذا نَشِبَ الصراع بين الاتجاهين، وإن تكن الأصواتُ المعتدلةُ لم تختفِ نهائياً من الساحة.

عام ١٣٧٣ جرى اقتحامُ هرم خفرع. وعام ١٣٧٨ (بعد مجاعة رهيبة استمرت سنتين) قام متشدد هو خطيب بلدة اخميم بصعيد مصر بتدمير البربي هناك الذي كانت العامّةُ تَرَى فيه قُوىً سحرية هائلة. هذه المرة لقي المدمِّر عِقابه العادل إذ نزل به الموت فجأة وخربت مدينته فلم تقم لها قائمة منذ ذلك الحين. في العام نفسه (أي عام ١٣٧٨) لقِيَت فَعْلَةُ أحدِ الشيوخ انتشاراً واستنكاراً. إنه الشيخ المعروف بصائم الدهر الذي ينتمي إلى احدى أعرق الخوانق الصوفية بمصر، فقد عمد إلى تدمير جسر بسبب وجود دنك السلطان الظاهر بيبرس، وهو أسد حجري، فيه. ثم اتجه صوب أبي الهول الذي رأى فيه تمثيلاً لكائن بشري لا تَقْبَلُه الشريعة فشوّه وجهه عن طريق إزالة جزء من أنفه وما بقي من أذنيه. وبذلك وَضَعَ الشيخُ نفسَه في نظر المؤلفين المسلمين في صَفِّ اللصوص ومدمِّري الآثار بَحْثاً عن الكنوز بداخلها. ويرى المقريزي مؤرخ القرن الخامس عشر انه منذ ذلك الحين بدأت الرمال الصحراوية تُهاجم الجيزة وتُدمِّر مناطقها الخصِبَة وما ذلك إلا بسبب فَعلةِ الشيخِ الشنعاء. بل إنّ مؤرخاً معاصراً للمقريزي هو الرشيدي يذهَب أبعد من ذلك إذ يزعم ان عِقاب المعتدين على أبي الهول جاء سريعاً إذ هاجم الملك بطوس الاسكندرية من قبرص بعد الحادثة مباشَرةً. ويحمِلُ شِعْرٌ يعود إلى مطالع القرن الثالث عشر على أولئك الرافضين «أولي النَهْي» الذين يريدون بحُمْقٍ وتعصُّبٍ تدمير الأبنية القديمة. ويورد أوليا غلبي رواية أخيرة عن الحادثة أكثر مبالغة في التشنيع لفِعْلة الرجل السابق الذكر، فقد أمسَكَ سكان الجيزة المشدوهون لفظاعة فعله بتلابيبه وأحضروه أمام القاضي. هناك أصرَّ الشيخ على الدفاع عن نفسه بالحجة الاسلامية التي تُحَرِّم تمثيل الاحياء لكنّ العامة الحاضرين لم يقبلوا حجته بل مَزّقوه إرباً أمام القاضي ثم حملوا بقاياه فدفنوها بجانب أبي الهول حيث يعمِدُ زُوّارُ الهرم وأبي الهول إلى رميها بالحجارة بعد الزيارة.

وهكذا فإنّ صاحبنا لم تَمْضِ ذكراه في التاريخ بوصفه شهيداً بل بوصفه لعيناً يستحق سخط كل الأجيال التي تلت.

«قدرات» أخرى لأبي الهول

هناك خَصيصة أخيرة من خصائص أبي الهول في نظر الكتّاب المسلمين، هي خصيصة القدرة على اجابة الدعاء والرغبات بالاضافة إلى القدرة السابقة على الكلام. انه يستطيع أن يكشف اللصوص، وان يُرِدَّ المسروق. والقصة المروية عن الحاكم بأمر الله تدخل في هذا السياق، هذا وإنْ يكن أبو الهول المذكور فيها غيرَ أبي هوْلنا، لكنه يتصل به بشكل من الأشكال. ويتحدث جمال الدين الادريسي عن علماء مصريين كثيرين يزعمون ان أبا الهول يستمتِعُ بحَظٍّ أقدار عِلْيَةِ القوم وَرَفْعِ كثيرٍ من البُسَطَاء والفقراء إلى أعلى المراتب. في هذا الاتجاه يكتب يوسف بن لؤلؤ ابن عبد الله الذهبي (١٢٨١م) ان كل من نَظَرَ إليه أبو الهول بعينيه ذاتِ القدرات السحرية لم يمض عليه عام إلا وقد وفي ديونه أو اكتسب مالاً وجاهاً ان لم يكن له مال أو جاه. وهنا في هذا السياق يَرِدُ ذكر ابن طولون كبطل يُبْطِلُ السحرَ وله علاقةٌ بهذه الأسطورة عن أبي الهول. ففي يومٍ معيَّنٍ من العام يأتي طالبو الوظائف السامية إلى أبي الهول فيحرقون له البخور ثم يطلبون إليه أن يُحقّق لهم أَمَانيهم وقد اعتاد صوفيٌّ معروفٌ من الطريقة السهروردية هو قطب الدين القسطلاّني (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) ان يضرب أبا الهول بحذائه «اللالكته» احتقاراً له وتعبيراً عن احتقاره لأولئك الذين يأتون إلى أبي الهول كلَّ عام محمَّلين بالبَخُور والنباتات التي يُحِبُّها فَيُشَعِّلُونها له ويُرَدِّدون عزائمَ سحرية ثم يلتمِسُون منه تحقيقَ رَغَباتهم بالعبارة

التالية: يا أبا الهول! إفعل كذا! وافعل كذا! ويزعمون انه كان يُحقّقُ الرغباتِ لزائريه بسرعة.

ويَرى بعضُ هؤلاء في ابي الهول خازناً للكنوز، ومعلومٌ ارتباطُ الأهرام بالكنوز المُخَبَّأة منذ أيام المأمون وحتى أيام المماليك والعثمانيين. ويبدو أبو الهول بخصيصته الجانبية هذه في قصتين يرويهما ابن الدواداري الذي عاش أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر وعُرف عنه كمؤرخٍ اهتمامُهُ بالقصص الشعبية وأخبار العامّة؛ فقد رحل أحدُ القرويين الصعاليك (حسب القصة الأولى) من الفيوم إلى القاهرة للبحث عن كنز في أُذُنِ أبي الهول بعد ان رأى ذلك في الحلم ثلاث مراتٍ لكنه بحث في المكان فلم يجد شيئاً فاحتارَ في أمره وتجول في الصحراء حول أبي الهول مهتمّاً خائب الأمل. وهنا قابله جندي مملوكي شدد عليه السؤال عن الغرض من تجوله غير الهادف فاضطر إلى إخباره بحُلُمِه فضحِكَ منه الجنديُّ الذي كان يرتدي لأْمَةً ثمينةً ويركَبُ جواداً مُطهَّماً وقَفَزَ للبحث بنفسه عن الكنز في اذن التمثال فقتلته حيّةٌ رملية كانت تتخذ من الأذن وَكْراً لها فنزع عنه الفلاح ثيابه وعُدَّتَهُ فصار ثَرِياً. أما القصة الثانية فهي عن رجل متديّن شددّ عليه دائنوه فوجد ورقة من كتابٍ للأحلام تَذْكُر صيغةً سحريةً عليه أن يَتلُوَها أمام أبي الهول فيظهَر على لسان التمثال درهم. هنا الدرهم عليه أن يضَعَه في كفة الميزان فيظهر في الكفة الأخرى دينار، ثم يضع الدينار في كفة فيظهر في الأخرى ديناران وهكذا إلى ما لا نهاية. وليس من غرضنا هنا المُضي مع هذه الأقاصيص حتى النهاية انما أردْنا فقط أن نشير إلى ارتباط بعض هذه التصورات بأبي الهول أيضاً في أرض مصر المملوءة بالآثار والهياكل والتماثيل والتي خَمَّنَ الناسُ عبر العصور تحتها كنوزاً هائلةً ويُشير عبد اللطيف البغدادي (١١٦٢ - ١٢٣١م) الطبيب والمؤرخ المعروف (وأحد الذين راقبوا الاهرام وأبا الهول بدقة) إلى اعتقاد العامّةِ أنَّ التماثيلَ تحتوي كنُوزاً من غابر الأزمان وانها شديدةُ الغضب على كل أولئك الذين يحاولون انتهاك حُرْمة الكنوز أو سَرِقَتَها. ولقد كان الباحثون عن الكنوز (المسمّون المطالبين أو أصحاب المَيم) معروفين منذ أوائل أيام العرب بمصر ومكروهين ومحتَقَرين لكنَّ بعضَ النصوص تُشير إلى انهم كانوا عَبْرَ العصور (خصوصاً في العهد الفاطمي) عاملاً سياسياً لا غنى للدولة عنه.

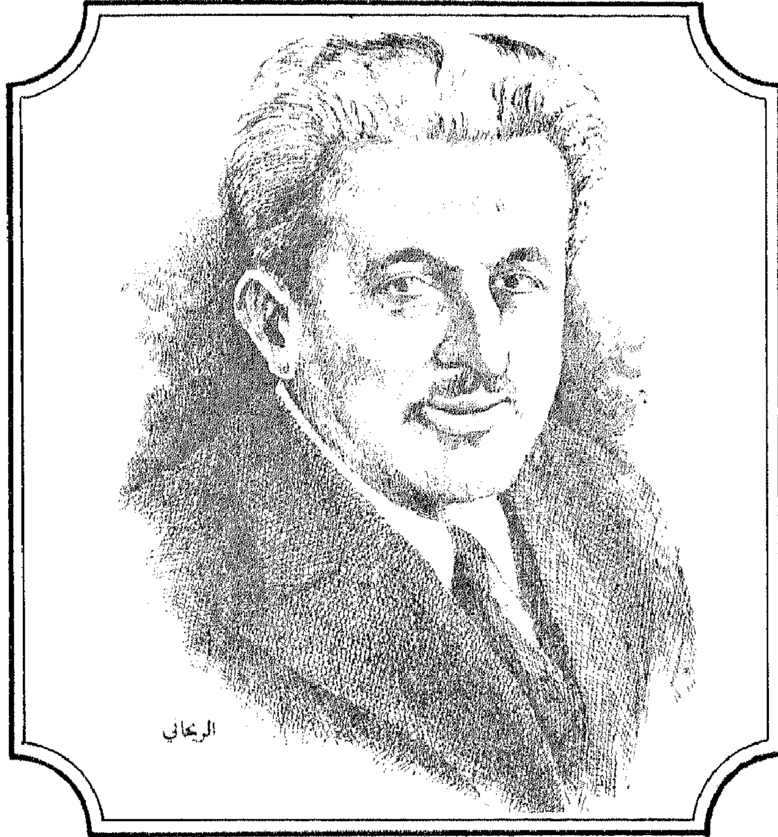
احترام شعبي فائق

وعوداً على بدء، يمكن القول ان التقاليد المحلية المصرية القديمة عاشت في مصر الاسلامية واستمرت بشكلٍ أعمقِ مما كان يمكن أن نَتَوَقَّعه. فالآثارُ الصَخْرية المصريةُ القديمةُ ظلت جزءاً من عقيدة العامة حتى القرن التاسع عشر الميلادي. صحيح ان هذا التقدير لآثار مصر الغابرة كان يقع خارج نطاق الاسلام الرسمي لكنه كان يَتَواجهُ معه في علاقة جَدَلية ملحوظة، ويُجَسّد ذلك التناقض بين العقائد الشعبية التلفيقية والاتجاهات السَلَفية التي ربما تلاقت في شخصٍ واحدٍ أحياناً. هذا الاحترامُ الذي كانت تَحْظَى به آثارُ مصر الوثنيةُ وعلومُها السِرّية المزعومة لم يخفَّ بل ازداد في أواخر العصور الوسطى. ويُعتبر القرنُ الرابع عشر الخط الفاصل فقد تصاعدت فيه المشاكلُ الاجتماعية وتكاثرت النوازل الطبيعية فَبَعثت في العقائدِ والتقاليدِ الشعبيةِ الغابرة روحاً جديداً قوياً واستمرّ وشكّل جزءاً من التراث الديني للمصري العادي.

يُجسِّد أبو الهول أخيراً صُمود العقائد والتقاليد القديمة فالصوفي المسكين الذي تَجَرَّأ على الاعتداء على أبي الهول في القرن الرابع عشر قُتِلَ وساء ذِكْرُهُ في كل الأجيال اللاحقة. وأوليا غلبي (وهو مسلمٌ تقيٌّ مخلصٌ لدينه) يُهاجمُه ويدفن بقاياه تحت قَدَمَي أبي الهول الذي ينتصب شامخاً رمزاً لقوة التقاليد القديمة واستمرارها بعد استقرار الاسلام شأنها أيام الاسلام الأول بمصر أو أكثر. فقد استعاد أبو الهول مكانته القديمة واكتسب تقدير الجميع. وحتى أولئك المؤرخين المتدينين الذين يذكرونه لا يستنكرون التقدير الشعبي له. فهل كانوا يَرون انه يُمكنَ للمرء أن يكون مسلماً طيباً ومتمسكاً بالتقاليد القديمة في الوقت نفسه؟. وقد أدّى هذا الايمانُ الشعبي بتلك الآثار إلى التسامح تجاهها بل ومحاولة تبرير ذلك، فالرشيدي الذي عاش أواخرَ القرن الرابع عشر الميلادي يقول في سياق قصته عن صائم الدهر أنّه على المسلم أن لا يستنكرَ وجودَ الأهرام وأبي الهول واحترامَ الناس لها، وذلك ان صحابة أجلاّء نزلوا بالجيزة ولم ينكروا ذلك رغم انهم كانوا «أشدّ الناس حرصاً على إزالة المنكر».

وهكذا ظلّت الجيزةُ أرضاً مباركة. وتعانقت عليها قبورُ الفراعنةِ مع قُبورِ مسلمين أفاضِلَ ●

لماذا أبعدت فرنسا



امين الريحاني؟

قصّة الخطاب الوطني الكبير كما يرويها شاهد عيان

جان سرور

● يقتضي، للحديث عن هذه الصفحة، الرجوع بالذاكرة إلى جمعية التضامن الأدبي واعطاء لمحة عنها نظراً للواقع الذي يربط بينها وبين موضوعنا.

عملت جمعية التضامن الادبي من العام ١٩٢٤ حتى العام ١٩٣٣، ولعبت دوراً كبيراً في المجتمع اللبناني، وكان الادب وسيلتها إلى بث الروح الوطنية بين الشباب في وقت كان البلد فيه يرزح تحت وطأة الانتداب الفرنسي الذي لم يكن يسمح بأي نشاط أو تحرك من شأنه ان يهدد كيانه أو يفتح الاعين على تصرف رجاله.

من هنا كان العمل السياسي الذي اعتمدته الجمعية مغلفاً بالغطاء الادبي، وتلك كانت فكرة نصح بها الرجل الوطني الكبير الشيخ ابراهيم المنذر الذي اعجب بحركة الشباب المؤسسين ومدهم بأفكاره النيرة.

* السيد جان سرور، اشتهر منذ مطلع شبابه بالعمل الوطني الذي كرس له حياته.. سجن وشرد عدة مرات. وهو من مؤسسي جمعية التضامن الأدبي التي عملت على مناهضة الانتداب في الثلاثينات وكان أميناً عاماً لها.

وبعد الاستقلال تابع خطه الوطني عن طريق العمل الفندقي والسياحي وقد انتخب أميناً عاماً لجمعية أصحاب الفنادق والمطاعم.

وما ان نالت الجمعية اجازتها من الحكومة اللبنانية الممثلة بالجنرال فان دان بيرغ حتى أخذت توالي دعاياتها بين الجيل الطالع وتحيي حفلات موسعة يخطب فيها بعض اعضائها إلى جانب عدد من رجال الادب والاجتماع والسياسة من لبنان ومن شتى البلاد العربية. ومع الايام صار للجمعية عدد من الاصدقاء الكبار الذين كان يطيب لهم الوقوف على منابرها للتعبير عن افكارهم وليؤدوا واجباً قومياً مقدساً، وكان في مقدمة هؤلاء المفكر الكبير أمين الريحاني.

خطة للريحاني تثير التقليديين

وقف الريحاني في العام ١٩٣٢ خطيباً في حفلة كبيرة للجمعية اتفق احياؤها مع بدء الصوم الكبير لدى الطوائف المسيحية فتكلم عن المناسبة وانتقد من يتخذ من الدين ستارا لخداع الناس فيتظاهر بالصوم والحرمان ليدلل بذلك على ورعه وتقواه، وطلب أن يكون الاتصال بالله مباشرة دون وساطة وبطريقة عفوية بعيدة عن التكلف والتصنع يفتح فيها الانسان قلبه لربه بايمان صحيح، كما اهاب بالمؤمن ان يستمتع بما منحه اياه الله دون خوف ولا وجل.

وما ان وصل نبأ هذه الخطبة إلى أحد كبار رجال الاكليروس المتزمتين حتى ثار ثائره وبدأ حملة شعواء على الريحاني ونعته بالكافر كما ندد بالجمعية التي اتاحت له الكلام من على منبرها «ليضلل الناس بآرائه الفاسدة» وكرر هذا الكلام عبر مواعظ الصوم المتلاحقة في إحدى الكنائس الكبرى فتأثر بها بعض الشباب من ذوي الافكار المحدودة والأفق الضيق، ونقلوا ثورتهم إلى نادٍ طائفي معروف، وهناك اتفق هؤلاء الشبان على محاربة الريحاني اذا عاد للجهر بمثل هذه الآراء.

هذا كله جرى بينما كان الكاتب الكبير قد غادر لبنان أثر الحفلة في سفرة إلى العراق بدعوة من الملك فيصل الأول، وكان قد أرجأ سفره لما بعد الحفلة.

العودة من العراق

أمضى الريحاني بضعة أشهر في العراق انجز خلالها وضع كتابه المعروف «قلب العراق» ولما شاء العودة إلى لبنان هطلت أمطار غير عادية فوق الصحراء وغمرت السيول مسالكها، الأمر الذي عرقل انتقال السيارات عليها.

ويجب الاشارة هنا إلى أن الانتقال بالطائرات في ذلك الوقت لم يكن بالشيء الميسور وكانت السيارات وحدها تؤمن الانتقال بين العراق وسوريا. وعندما بلغ الأمر الملك فيصل، وكان للريحاني منزلته الخاصة عنده وضع تحت تصرفه طائرته الخاصة التي اقلته إلى دمشق، فكانت المرة الأولى التي يركب فيها الريحاني الطائرة «العفريته» حسب قوله، وسيأتي ذكر هذا فيما بعد.

ومن دمشق جاء إلى لبنان، وكنت في عداد وفد ارسلته الجمعية للسلام عليه في قريته «الفريكة» وبعد احاديث مشوقة ووصف انطباعاته عن بلد الرافدين حدثه الوفد عما جرى في غيابه من غضبة الشباب وحملة الاسقف وتكفيره له وللجمعية. فأبدى تأثره للحادث وقال: «أنا تعودت أن أقول كلمتي وأمشي». ثم انتفض غاضباً واعلن بصوت عال «لينظر هؤلاء الناس إلى الغرب وما بلغه من تقدم» وأشار إلى ركوبه الطائرة قائلاً: «صرنا في ثلاث ساعات ننتقل من بغداد إلى الشام وهم ما زالوا على تفكيرهم الرجعي هذا».

حفلة جديدة للجمعية

وجاء موعد اقامة حفلة جديدة للجمعية واتجهت الأفكار إلى دعوة الريحاني للخطابة فيها إلى جانب عدد من رجال المنابر، ولم يرفض الطلب.

وقبل موعد الحفلة ببضعة أيام زرته في منزل نسيبه السيد يوسف صادر بقصد تحذيره مما يمكن ان يواجهه من الشباب الغاضب وقلت له:

ان مثل هؤلاء الناس لا يتورعون عن القيام بما يسيء اليك ويعطل الحفلة، فقال: لا تخف يا صاحبي فاني سأجعلهم يصفقون لي. واعترف اليوم اني لم أطمئن لقوله هذا لأني لم أكن اعلم ما كان يعني، وبقيت يخالجني هاجسي حتى موعد الحفلة التي كان الاقبال عليها يفوق التصور، الأمر الذي حيّر الاعضاء وتساءلوا: ترى كيف يزيد عدد الحضور على عدد البطاقات الموزعة؟.

ويبدو ان التحسب للأمر لم يقتصر علينا وحدنا فقد شاهدنا اعداداً كثيرة من رجال الشرطة والتحري

بقيادة المفوض الممتاز خريستو نفاع يدخلون مكان الحفلة «غران تياتر» ويندسون بين الحضور وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن رجال الأمن انما وفدوا الينا للحؤول دون وقوع معركة بين الحضور بعد ان ترامى اليهم ما كان الشباب اياه يستعد له من قتال وتخريب.

الخطاب الثورة

افتتحت الحفلة وأخذ كل خطيب دوره في جو هادئ وطبيعي ثم جاء دور الريحاني فصعد المنبر وسط أفكار وتكهنات متضاربة لم يدعها تطول لانه دخل الموضوع بسرعة فاذا به يلقي خطابه المعروف تحت عنوان «بين عهدين». أي عهد الانتداب الفرنسي وعهد السلطان عبد الحميد ليقول ان وضع الشعب فيها



جلسة في نيويورك عام ١٩١١ بعد وضعه «كتاب خالد».

لم يتبدل من حيث الطغيان والفوضى واستثمار النفوذ والرشاوى والفساد والترامي على أقدام الحاكمين لنيل رضاهم والتخاذل أمام سلطة المستشارين الفرنسيين وواقعهم القائم على ابتزاز ثروة البلاد وايقاظ النعرات الطائفية فيها لتبقى دائماً مفككة الأوصال لا قدرة لها على الاتحاد والوقوف في وجه من يعمل على اذلالها وتحطيمها وتطرق إلى الكلام عن الاوقاف الاسلامية التي يرأسها السيد «ميرلانغيه» وكيف أنه اعتنق الاسلام كي يتمكن من السيطرة على شؤون الاوقاف وكان يردد تساؤله بالجملة الاتية: «من عهد عبد الحميد إلى عهد ديمارتيل السعيد هل تقدمنا؟» وديمارتيل كان في ذلك الوقت المفوض السامي الافرنسي على سوريا ولبنان. وكان التصفيق الحاد يتردد في الصالة كلما تطرق الخطيب إلى موضوع جديد، وهكذا وحدت الحملة العنيفة التي لم يسبق ان عرفت البلاد مثلها في عهد الانتداب بين الانصار والاخصام وكانوا يطلبون معاً من الخطيب تكرار الكلام المثير الذي لم تتعوده آذانهم من قبل.

أما رجال الأمن فقد فوجئوا بهذا التحول وحاروا في كيف يتصرفون، أيوقفون الخطيب ويمنعونه من الاستمرار في حملته وهم من جاء ليرد عنه الأذى، ام يتركونه يتمادى في اثارة الناس على هذا النحو؟ وأخيراً اتصل مفوض الشرطة برئيسه هاتفياً لابلاغه بالأمر وأخذ تعليماته، وطلب المدير بدوره الاتصال برئيس الجمعية ليبلغه بضرورة وضع حد للخطيب كي لا تتدخل الشرطة. وأخذ الرئيس الهاتف وكان في تلك السنة المحامي الأستاذ نسيم أيوب الذي لم تفته حراجة الموقف وحاول «بدبلوماسية» تهدئة المدير قدر الامكان واضاعة الوقت للحؤول دون اللجوء إلى أي تدبير عنيف، لكن الوقت طال وما كان من المدير إلا أن أصدر أمره بايقاف الريحاني عنوة، وتقدم رجال الأمن من المنبر وهب الناس للتدخل لكن الريحاني الذي كان

يراقب هذه التحركات أراد الاشارة إلى أن الخطاب انتهى، فقال بصوت مرتفع «بقي لي أن أقول لكم باخلاص أن الأخ القريب منكم هو خير من الصديق البعيد والسلام عليكم».

هكذا انتهى الخطاب وانتهت معه الحفلة بسلام غير أن الحادث كانت له ذيول مؤسفة.

قرار الأبعاد

في مساء ذلك اليوم استدعى سكرتير المفوضية العليا الفرنسية القنصل الأميركي في بيروت ليبلغه معتذراً قراراً بابعاد الريحاني الذي – كان يحمل في ذلك الوقت الجنسية الأميركية منذ أن كان في أمريكا – ولما استوضحه القنصل اسباب هذا التدبير الصارم والسريع قدم له السكرتير تقريراً يتضمن كل ما ورد في الخطاب من انتقادات لاذعة ودعوة سافرة إلى مقاومة الانتداب.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، إذ صدر قرار من حكومة الانتداب باحالة مجلس الجمعية إلى التحقيق لمعرفة ما إذا كان ضالعاً بالحادث، ومع أن التحقيق لم يثبت مسؤوليته إذ اتفقت الافادات على أنه لم يستبق أن طلبت الجمعية من أحد الخطباء إعلامها مسبقاً عن الموضوع الذي سيتكلم به، صدر في اليوم التالي قرار بتعطيل الجمعية ومنعها من العمل وقد فسر البعض هذا الأمر بأن السلطة التي كانت تضيق بنشاطات الجمعية رأت في الحادث فرصة مناسبة للتخلص منها.

فتلقى الأعضاء والأنصار الخبر بالأسف العميق لأنه جاء في قمة نشاط الجمعية وخدمتها للمصلحة العامة، وهذا ما دفع جماعة التضامن الأدبي إلى اعتماد العمل السياسي العلني وسيأتي شرح هذا في فرصة أخرى.

من نقل تفاصيل الخطاب إلى الافرنسيين

عندما علمت الجمعية بقرار الابعاد قام وفد منها بزيارة الريحاني واثناء تبادل الأحاديث سأل الرجل زائريه إذا كان يوجد في الحفلة من يجيد الاختزال؟ : ولما أجيب بالنفي قال كيف وصل اذن نص الخطاب إلى الافرنسيين؟ قيل له لم نعطه بعد الحفلة لأحد؟ ففكر برهة ثم قال: «بلى – فقد أخذته مني سيدة أعرفها ثم أعادته إلي بعد بضع ساعات. السيدة هي ح. ح. وكانت أديبة معروفة في ذلك الوقت ولما ذكر اسم تلك السيدة تبادل الحضور النظرات فيما بينهم ثم قالوا له: «هنا يكمن سر وصول خطابك إلى الافرنسيين بنصه الكامل». فبدا الأسف على وجه الريحاني ولزم الصمت.

طبع الخطاب وتوزيعه على الناس

قمت في صباح اليوم التالي بزيارة للريحاني وقلت له أن الجمهور يرغب بشوق في الوقوف على نص الخطاب، إذ لا سبيل إلى ذلك عن طريق النشر في الصحف لأنها تتعرض للتعطيل فهل توافقني على طبعه بكراس أتكفل به واذيعه بطرقي الخاصة؟ قال: أوافق وسأضيف اليه مقدمة اتكلم فيها عما توخيته من خطابي وما أرجوه لبلدي العزيز من خير وسعادة.

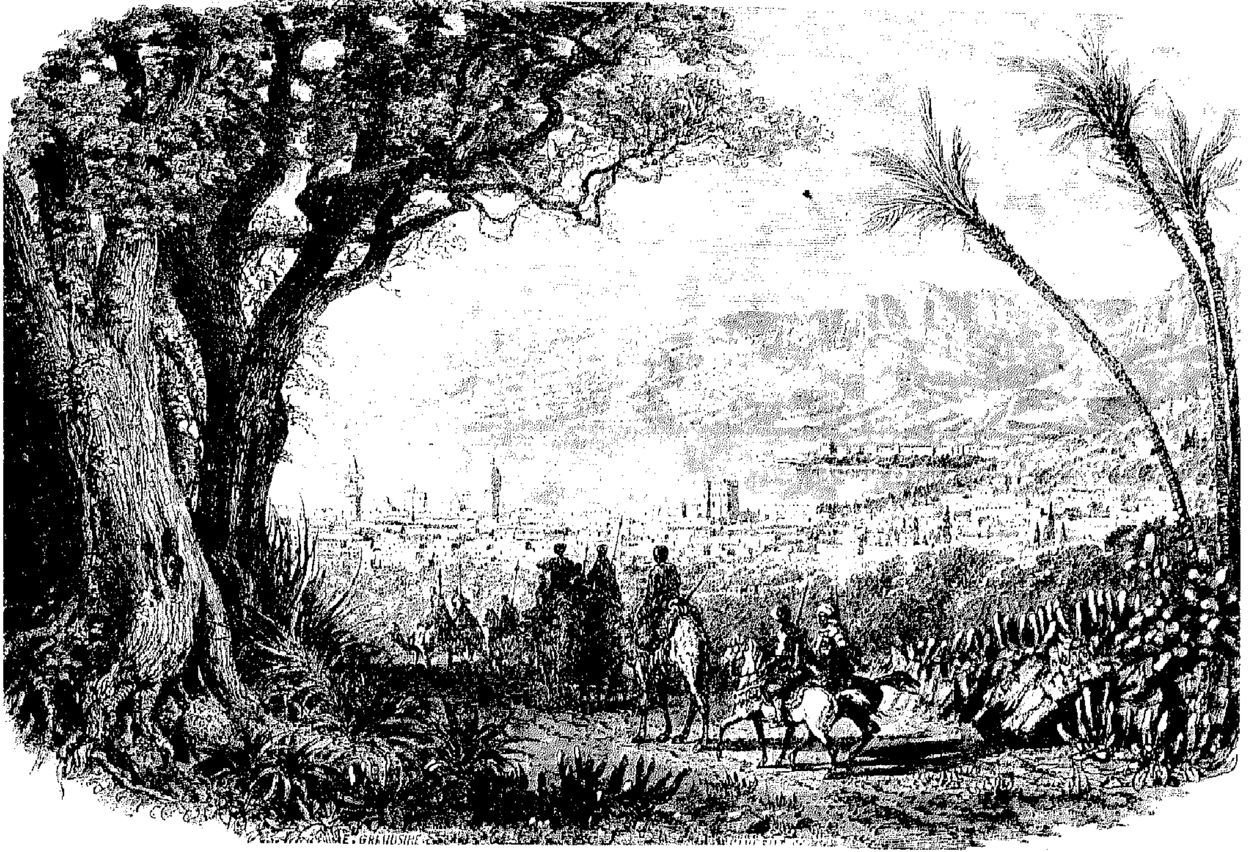
وأخذت الخطاب ومعه المقدمة وفيها يقول إنه مواطن ينشد الاصلاح لا التهديم كما يتصور البعض، وانه قصد في خطابه ايقاظ الناس من غفلتهم وايقافهم على ما يحاك لهم من احابيل وتصرفات تجري في الغالب بمعاونة مواطنين لهم طمع في الاستغلال ونيل الحظوة، وبعد ذلك ودعني بكلمة عاطفية رقيقة تنم على ما طبع عليه المفكر اللبناني الكبير من صدق ووطنية وكبير أخلاق.

أما أنا فسافرت سراً إلى دمشق وهناك استعنت بصديق لي هو المحامي الذكتور يوسف سمارة الذي قادني إلى مطبعة صاحبها من أهل الوطنية والاندفاع وطبعت الخطاب على كراس يمكن وضعه في الجيب بعد أن زينته برسم للأديب الكبير وعدت كما ذهبت سراً إلى بيروت، ثم باشرت بتوزيع النسخ على الرفاق والأوساط الوطنية وساعدتني درايتي والدقة في التوزيع على انجاز مهمتي دون أن يتمكن أحد من رجال الأمن من الوقوف على مصادر هذه النسخ التي اثارت ضجة بين الناس وتناقلتها الأيدي مدة طويلة من الزمن.

وسافر الريحاني إثر قرار الابعاد إلى بغداد حيث استضافه الملك غازي الذي ورث الملك عن أبيه الملك فيصل الكبير ولم تدم غيبته عن لبنان أكثر من ثلاثة أشهر لأن اجراء الأبعاد اثار نقمة عارمة وحملة قاسية، من المغتربين اللبنانيين في مختلف انحاء مهاجرهم مما اضطرت معه الدولة الفرنسية إلى الايعاز للمفوض السامي في بيروت بوجوب الغاء قرار الابعاد. ●

بعض الذكريات حول رحلة قام بها أ. سبول الى لبنان عام ١٨٥٩

فدى عطار عاليه



● يروي لنا الرحالة كيف بدأ انطلاقه من الإسكندرية باتجاه حيفا عبر مسافة ٩٠ ميلا بحريا او ما يقارب الستة والعشرين ساعة سفرا. وأول ما ظهر له جبال فلسطين. ثم الصخور التي تحمل البلدة. يقول في وصف حيفا: «تدعى قديما (Joppe) وتتألف من مجموعة دائرية من البيوت المتألقة ببياضها والمبنية على شكل مدرجي على منعطف الجبل المطل على المتوسط. أما من جهة البر فتحيط بالمدينة أسوار عالية ذات أبراج. ومنها دخل نابليون حيفا سنة ١٧٩٩. أما شكل المدينة بوجه عام فحزين والشوارع مظلمة وملتوية تؤدي الى البازار حيث تنبعث رائحة المسك والسمك المقدد».

وها هو رحالتنا يترك حيفا ويبحر نحو عكا. ومما يلاحظ أن الزراعة تكثر وتعم عند الإقتراب من هذه المدينة المبنية على رأس يمتد في المتوسط على شكل هلال. والتي تحيط بها البحار من ثلاث جهات كحصن طبيعي. وقد فشل نابليون أمامها. وبعد أن قطع جبل الكرمل وصل سبول الى صور وها هو يروي

• فدى عطار عاليه: ماجستير في الأدب الفرنسي

لنا ما رآه: «ترى. ماذا أصبحت هذه المدينة العظيمة؟ قرية تمتد على شبه الجزيرة التي احتلها الاسكندر الكبير. وهنا وهناك تتكدس بعض الرزم من البضائع التي حلت مكان الذهب والارجوان والطيوب.

«وعلى بعد اميال تقف صيدا أو صيدون ملكة المدن الفينيقية التي تحميها قلعة صغيرة باستطاعة اي طلقة مدفع ان تدمرها وتجعلها هباء منثورا. وصيدا هي مرفأ قديم للشام ولذا حافظت على علاقات تجارية متعددة. أما سكانها فيعدون حوالي سبعة أو ثمانية آلاف وهي كصور. اختها ومنافستها. لم تحتفظ بشيء كثير من عظمتها الماضية.

«وها هي بيروت تتراءى لنا بعد ان اتسع السهل وابتعدت الجبال عن الشاطئ.

لا يستقبل مرفأ بيروت سوى مراكب صغيرة. بينما تظل السفن الكبيرة في البحر ولذا يندفع بعض السكان العرب الى البحر لينزلونا الى المراكب الصغيرة بسواعدهم القوية إلى حيث يصفون المراكب على رصيف الشاطئ.

«ونشعر من أول نظرة الى المدينة كم تزدهر التجارة فيها. فها هو الماروني بثيابه الغامقة. والدرزي بعمامته البيضاء أو المقلمة. واسلحته البديعة. والتركي واليوناني واليهودي والأرمني. ها هم كلهم يندفعون في المرفأ الذي اصبح بمثابة بابل لغات وثياب. هنا تجري المبادلات التجارية: فلبنان يقدم النبيذ والحرائر. واليمن البن. وحوران القمح. واللاذقية التبغ. وتدمر أحصنتها. ودمشق أسلحتها. وبغداد أقمشتها الجميلة. وأوروبا أخيرا منتوجات صناعتها الوافرة والمتنوعة. وكما هو الحال في الشرق دائما فأن الشوارع والطرقات تتعارض مع جمال الطبيعة. أما في داخل البيوت فيكمن الفن العربي الاصيل خلف واجهة من الحجارة المرصوصة كتلك النسوة اللواتي يخبئن تحت الحجاب كنوزا من الجمال. والشوارع ضيقة أو مسقوفة نجد فيها بائعي القهوة. وبعض السكان العرب الذين يدخنون النرجيلة او الشيشة. واولادا رائعي الجمال في سمرتهم يلعبون في التراب.

«غير ان بيروت لا تملك آثارا سوى بعض القلاع او القصور القديمة والبازار او السوق القديم الذي له سحر غريب».

وبما ان هدف رحالتنا كان الوصول الى دمشق وبعلبك مرورا بالارز. اشار عليه صديقه لاسكاريس المقيم في بيروت منذ مدة ان يقصر سفره على الارز دون دمشق لأن دمشق كانت تشهد غليانا في ذلك الوقت.

وتابع سبول قوله: «خرجنا من المدينة باتجاه البحر. في جادة واسعة مزروعة منذ عهد فخرالدين لمواجهة الحر. وعلى طول الطريق نجد مقاهي واستراحات حيث يتلمس السكان الهواء العليل ويرتشفون القهوة أو يشربون عصير الليمون البارد. ومعظم مرتادي تلك الأماكن من الاوروبيين. وبعض النسوة العرب ذوات الشعر الطويل والحجاب السميك وكذلك بعض النسوة وعلى رأسهن الطنطور.

«وهكذا ترى الحياة تمضي في الشرق خالصة من الاحزان العميقة. ما على الانسان فيها الا ان يحتمل مشقة العيش. وكان برنامج رحلة جماعتنا يشتمل على زيارة نهرالكلب والقناة التي شقها فخرالدين. مرورا بالقلاع الخارجية. ويخبرنا سبول أنه نظرا لورود اسم الدروز والموارنة والمتاولة مرارا. سأل صاحبه لاسكاريس بعض الايضاحات حولهم لان الفرق الظاهر في لهجاتهم ولباسهم لا ينبيء عن فرق في دياناتهم.

اما عن الموارنة فيقول: «يرجع اصل الموارنة وتسميتهم الى راهب يدعى مارون عاش في القرن الرابع للميلاد وتوفي في هالة من القداسة وقد شيد ديرٌ تخليدا له. وتولى بعد حوالي قرن. قريب له هو يوحنا مارون النزاع القائم بين اللاتين واليونان الموجودين بكثرة في لبنان. وهؤلاء كانوا يتبعون القسطنطينية بينما اللاتين يتبعون روما. وهكذا نجد الصراع السياسي بين بيزنطة وروما يغلي تحت ستار الدين.

أما الدروز: فهم فرع من فروع الاسلام كما الموارنة فرع من المسيحيين ولكن عاداتهم ولغتهم متشابهة بنسبة كبيرة.

«وخلال حكم فخرالدين عرفت تلك الديانة شهرة كبيرة. فقد عرف هذا الامير العظيم بمرونته وقدرته على ان ينال حظوة الباب العالي وان يفوز بحماية آل المدتشي في فلورنسا وكذلك الحكومة الفرنسية. وما لبث فخرالدين ان سيطر على كل مدن الساحل في سنة ١٦١٣ [م] حتى صفد ولكن لم يعرف ان يحافظ على ما فاز به فما لبث ان حاربه والي دمشق ومات مخنوقا في سجنه عند العثمانيين ١٦٣٥ [م].

«والدروز كالموارنة قوم مزارعون ومحاربون. وكل

رجل باستطاعته حمل السيف والبارودة. هو جندي بالضرورة. وهكذا باستطاعة الحاكم ان يجمع في دير القمر مقر اجتماعاتهم خمسة عشر الفا في لحظة واحدة. وطريقتهم في القتال تشبه طريقة الثوار ورجال القبائل وتظهر قوتهم كلها في الجبل الذي هم ابناؤه. أما في السهل فيمكن التغلب عليهم بسهولة لجهلهم استعمال السلاح الابيض. وكأي عربي. يمارس الدروز. الضيافة الى ابعد حد. وهذا من اجمل صفاتهم. ومن اقوالهم المعروفة: «الناس جميعهم أخوة والله يجمعهم». وهم يتوحدون فيما بينهم. وقد حافظ الدرزي على استقامته بفضل مناخ الجبل والحياة النشيطة والمتواضعة التي يعيشها.

اما المتاولة: (*) «فهم قوم يعيشون في شرقي بلاد الدروز في واد واسع تحيط به جبال سوريا. وهم يشكلون جزءا مهما من الأمة في تلك المنطقة. وهم رجال عسكرا جيدون. وقل عددهم بسبب الصراعات المتواليةالتي قاموا بها خاصة ضدالجزار فلم يبق منهم سوى أربعة أو خمسة آلاف على مشارف جبل الشيخ.»

«وبعد ساعتين وصل اصحابنا الى نهر الكلب عبر طريق قديمة شقها الرومان.

«ويعود اسم هذا النهر الى رسم حجري لكلب كبير موضوع على صخرة كبيرة قرب مصب هذا النهر وكان بمثابة رمز مقدس حكى عنه المسلمون اخبارا مدهشة. منها ان الشيطان يدخل احيانا هذا الحجر ويأخذ بالنباح بشكل هائل حتى كان الشاطئ كله يسمعه الى جزيرة قبرص وكان ذلك نذير شؤم.

«ويمكننا الآن تفسير الأسطورة بأن النهر الذي يجري بين جبلين ويصب في البحر يحدث ضجة عند اصطدام مياهه بالحجارة وخاصة عند ذوبان الثلج. مما يشبه عن بعد نباح الذئب ولذا أقام له اليونان القدماء نصب الذئب تيمنا به. وخلط العرب فيما بعد بين الذئب والكلب فدعوه بذلك.

«والصخور المحيطة بالنهر غريبة عجيبة واحداها تمثل تاجراً فارسياً في بازار اسطنبول مع اناء من الزهر في يده ويؤكد علماء الآثار أنها ترجع الى العهد الاشوري وقس على ذلك كتابات وحفريات مختلفة.

«ومشينا بمحاذاة نهر الكلب على الطريق «الانطونية». وتوغلنا داخل غابة سنديان وتين بري حتى وصلنا الى القناة التي حفرها فخر الدين والتي اصبحت تشكل جزءا لا يتجزأ من الصخرة بسبب الاعشاب والشوك والحشائش التي تغطيها.»

بلاد كسروان

وتوجه سبول وصحبه الى الارز بعد أن قطع بلاد كسروان. ويقول متابعاً: «بعد ساعة مشينا خلالها في طريق عينطورة توقفنا عند كنيسة ذات هندسة قوطية كأنها قطعة من حديقة قصر وندسور. ودهشتي كانت عظيمة عندما علمت انها شيدت للقديس جورج الانكليزي. راعي غليوم الاكيتاني الذي توفي وهو يدافع عن الكنيسة. وبعد ان توغلنا في حقول من التوت واجتزنا نهر لبنان على جسر روماني قديم في حالة ممتازة. دخلنا قلب كسروان من الجانب المقابل للنهر. فتراءى لنا بلد غني ومزروع تنتشر فيه القرى.

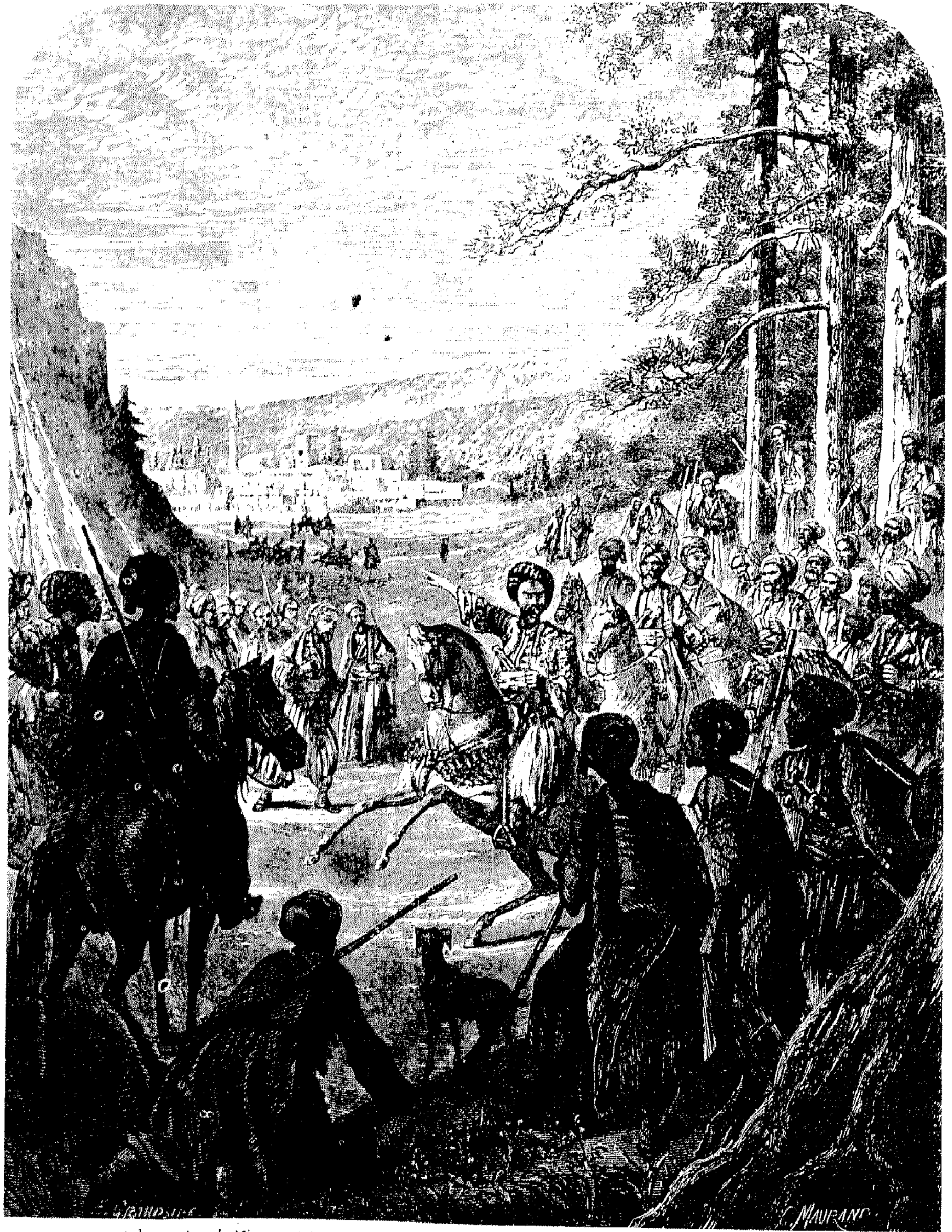
وفي كسروان يعيش شعب حيوي وشجاع. ومما يلفت النظر التغلب على الأرض القاسية التي جعلت اساسا لشجر الصنوبر والأرز والتي اصبحت اليوم حدائق غناء ترفل بأشجار الكرمة والتوت على سفوح الجبال.

«ودخلنا ديرعينطورة الذي يشرف عليه الآباء اللعازاريون الذين ينتمون روحيا الى فرنسا ويعلمون التلاميذ الفصحى والفرنسية والايطالية وحب فرنسا.

«وزادت دهشتي عندما سمعت بعد العشاء تلميذا يتلو علينا بعض المقاطع من التاريخ العالمي لبوسوييه (Bossuet). وبعد ان تذوقنا نبيذ الرهبان الذهبي الصافي البراق ودخنا نرجيلة معبأة بتنباك من جبيل اخبرنا الرهبان عن تاريخ الدير وان اليسوعيين اسسوه اصلا للتلاميذ الموارنة واللاتين. ولكن لم يعرف الدير في عهدهم ازدهارا حتى استلمه الآباء اللعازاريون الذين شهد معهم الدير تقدما ونجاحا ملموسين».

ومما لا شك فيه انه للوصول الى الارز يجب المرور ببلدة طرابلس وهذا ما اكده لنا سبول في رحلته بعد ان قطع بلاد جبيل والقلمون الى ان دخل ولاية طرابلس. يقول:

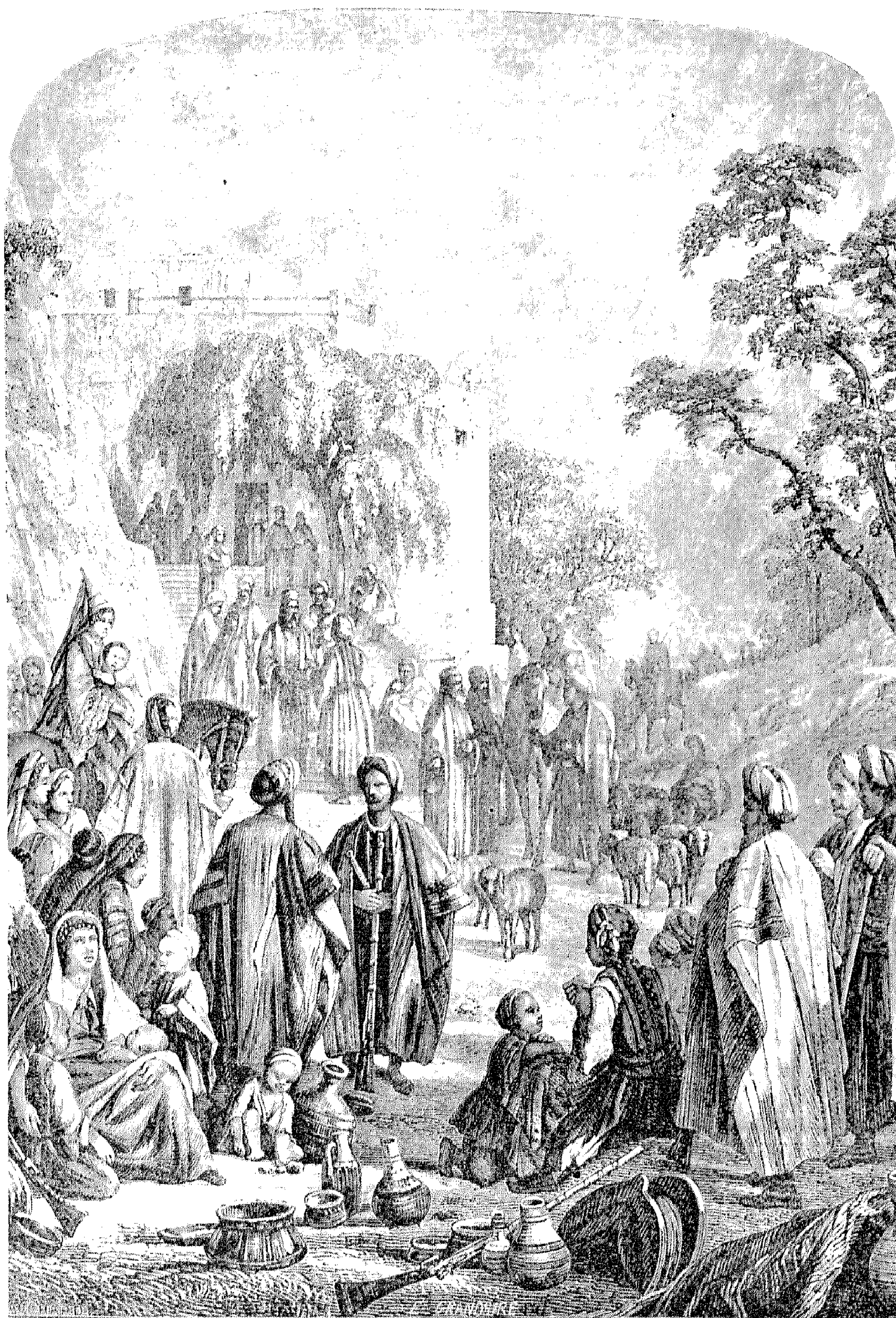
(*) المتاولة: هكذا استخدم التعبير في وثائق العصر.



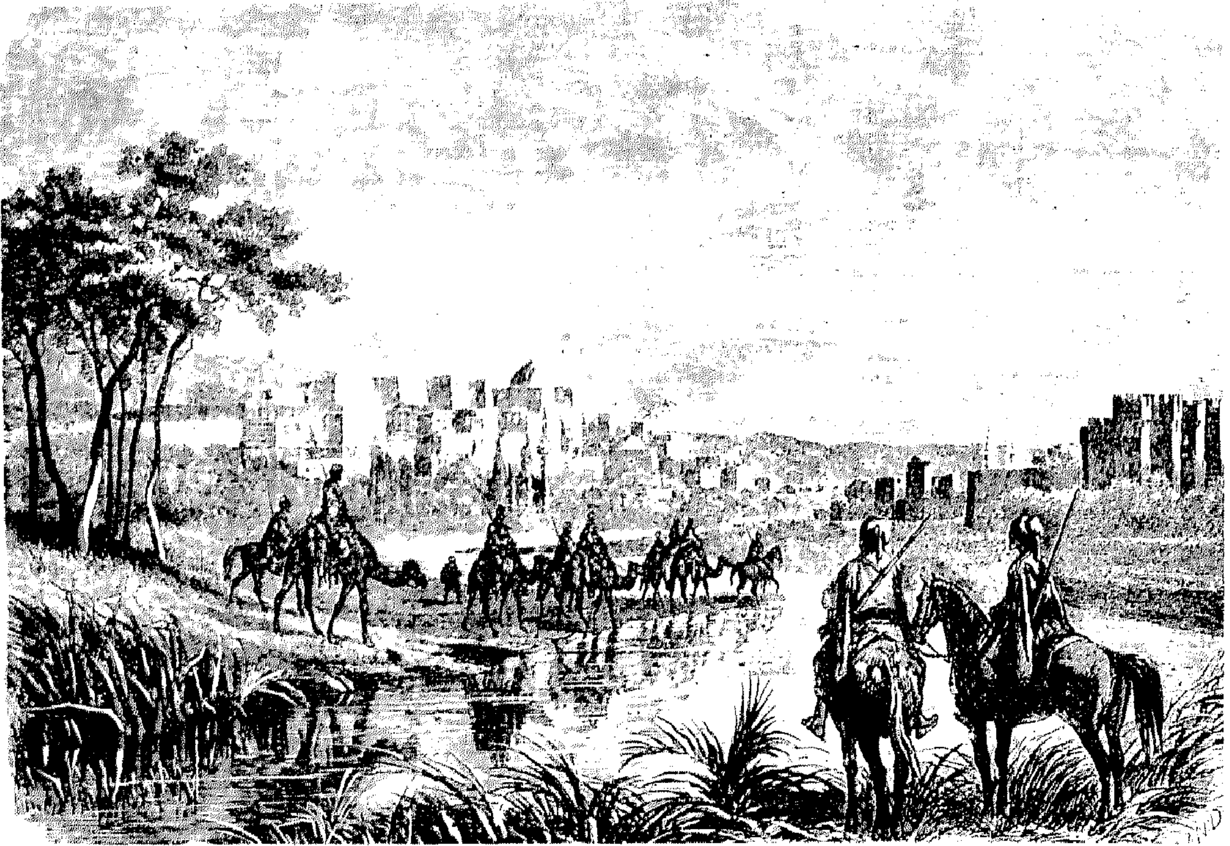
عند الحاجة كان المقاتلون يجتمعون على الفور في دير القمر (رسم غرانسير وفقا لوصف سبول).

طرابلس

«تمتد تلك المدينة على مدى نصف ساعة على الشاطئ. وهي تقع مباشرة تحت جبال لبنان التي تطل عليها وتحيط بها من الشرق والجنوب والشمال الغربي ويفصلها عن البحر مثلث صغير يسقيه نهر قاديشا. والمدينة غنية بالحقول المزروعة بالتوت لصناعة الحرير والحمضيات. اما الشوارع فتجد بعضها بين السهول المزروعة والبعض الآخر على سفح الجبل باتجاه نهر قاديشا. فالمناظر الخلابة تنبع وتسر نظرك من كل



دير مار انطوان (رسم غرانسير).



طرابلس في القرن الماضي (رسم غرانسير).

صوب. وبيوت طرابلس منتظمة ومتشابهة. ولكن المدينة لا تعرف آثارا مهمة سوى كنيسة وجامع صغيرين وقلعة الصليبيين المشهورة. والمدينة مزدهرة اقتصاديا وتشهد نشاطا تجاريا واسعا ونرى فيها الكثير من العمائم الخضر وهي علامة استقلال اهل طرابلس ورمز يتميز به الشرفاء، ونبلاء القوم عن غيرهم».

ويعود سبول الى الحديث عن رحلته ويقول متكلما عن بلدة الميناء في طرابلس: «تتألف بلدة الميناء من بيوت شرقية تعمل كلها للتجارة وتنتشر على الشاطئ مع اكشاكها. وأول ما يلفت النظر هو مجلس السكان وهم يشربون النرجيلة قرب مئات من الحمير ينتظرون نقل الركاب الى طرابلس.»

وبعد ان غادر سبول طرابلس الى الارز، مر بدير قنوبين وذهب في طريق الجبل باتجاه دير مار ليشع وهو محطة راحة للذاهبين الى الارز مرورا ببلدة بشري. ودير مارليشع يسكنه بعض الآباء الكرمليين وبعض الرهبان من ديرقنوبين. ويقع هذا الدير على قمة الجبل الذي يحمل ايضا ديرقنوبين. ووصل سبول الى بلدة بشري وهي اخر محطة قبل الارز.

ونترك لسبول الحديث امام عظمة المشهد: «إنها لطبيعة مدهشة وعظيمة وهذا كان أول شعور لي امام ملك الاشجار الارز، الذي يبعث الاحترام والخشوع. فوقفت واجما متأملا كأنني امام شخصية محترمة وعظيمة وشعرت بنفسي ذليلا باهتا امام روعة المشهد. ومما عرفته انه عندما يصفو الطقس تنصب المذابح وتجرى الصلوات في الهواء فنجد الناس يهرعون من كل صوب الى الارز كأنه مكان حج وبعد انتهاء الصلاة يطلق الناس الرصاص ابتهاجا ويشربون ويرقصون ويغنون ويزينون بيوتهم ببعض اغصان الارز.

«ويبلغ ارتفاع تلك الاشجار من ستين الى مائة قدم. اما قطرها فيبلغ ثلاثة عشر قدما ومحيطها حوالي مائة وعشرين قدما. ولقد ذكر الكتاب المقدس الارز.

«واغصان الارز تبقى خضراء على مدار السنة حتى عندما يكسوها الثلج واغصانها سميكة متكاثرة طولا وعرضا ومتفرعة من الجذع الرئيسي وهذا النوع من الشجر لا نجده الا في الارز. من هنا كان باستطاعتنا لشدة ارتفاع الجبل. رؤية البحر وقبرص من جهة، ومن جهة اخرى بعلبك وجبال عكا...

«وكان هذا بنظري الارض الموعودة»... ●

Le tour du monde, nouveau journal des voyages. 1861. Librairie Hachette, Paris.

اغتيال ابراهام لنكولن

هكذا حدث وهكذا تمت لفلفته!

إعداد: محمد امين فرشوخ



● اغتيال الرئيس ابراهام لنكولن هي القضية الأكثر إثارة وغموضاً في تاريخ الأحداث الأميركية. إنها المؤامرة التي أودت بحياة الرئيس ابراهام لنكولن، والتي طرحت، ولم تزل. أسئلة كثيرة دون إجابة. لكن هذا المقال المقتبس من كتاب: ("The web of conspiracy" 1959) للكاتب (Theodore Roscoe) ، يحاول إعادة تجميع خيوط الجريمة بطريقة مثيرة وصادقة.

واشنطن- بعد ظهر يوم الجمعة العظيمة ١٤ نيسان (ابريل) ١٨٦٥ كان الممثل جون ويلكس بوث داخلاً الى مسرح فورد فشاهده صاحب المسرح. وقال لافتاً من حوله الى شهرة وبراعة هذا الممثل ذي الستة والعشرين ربيعاً:

انظروا أيها السادة، إلى الممثل البارع والشاب. الأكثر أناقة في واشنطن.

وفي مكتب الإدارة كان بوث يتناول رسائل وصلته الى هذا العنوان وإذ بفني يدخل ويسأل المدير:

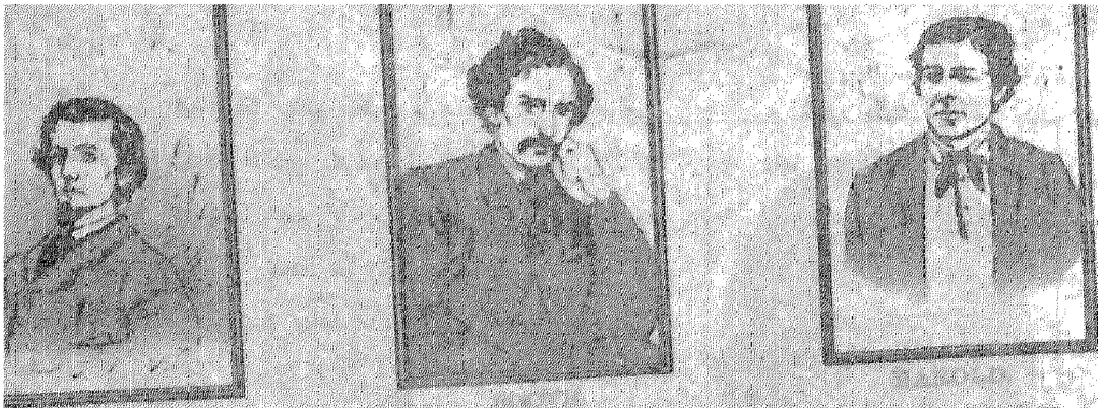
– هل أعدت المقصورة الرئاسية لهذه الليلة.

– طبعاً. طبعاً. إن الرئيس وحاشيته سيحضرون.

فرفع بوث رأسه وقال:

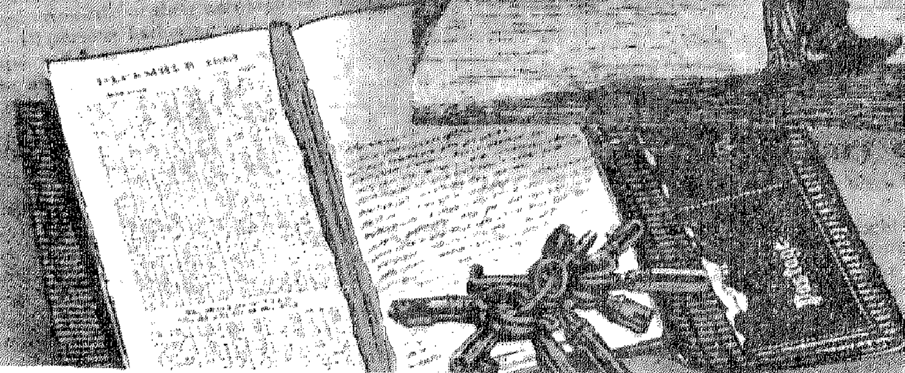
– لنكولن هنا سيحضر مسرحية «إبن عمنا...من أميركا»؟

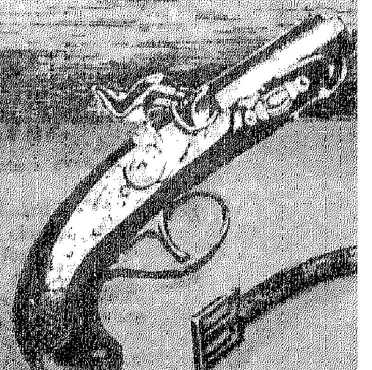
– تماماً يا عزيزي. أجاب المدير بكل سعادة ظاهرة.



War Department, Washington, April 20, 1865
$100,0
THE
Of our late beloved
IS STIL
$50,000
$25,000
$25,000





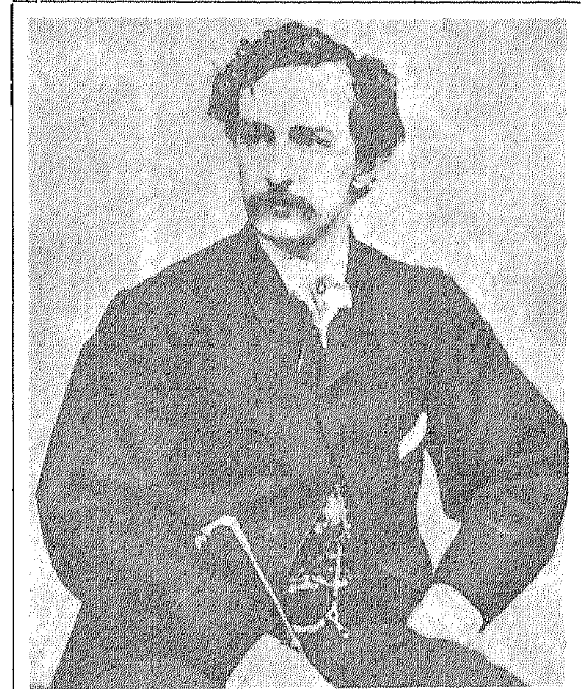


عندهانظر بوث نظرة لا مبالية الى الموجودين وخرج بشكل عادي يتصفح الرسائل. بعدها— لم يذكر أحد أنه بدرت منه أية إشارة غير مألوفة— حقاً إنه لممثل رائع. في لمحة عين كان مشروعه الإجرامي قد أعد: وبعد عشر ساعات من هذا الوقت دخل حيّز التنفيذ.

بعد قراءته الرسائل صعد بوث الى الطابق العلوي من المسرح وانسلّ الى مقصورة الرئاسة. وراح يستمع الى «بروفة» المسرحية. وفي الفصل الثالث منها يدور النقاش بين بطلتين. تخرج إحداهما وهي عجوز غنية لتبقى الأخيرة فتقول:

— آه. أنا أجهل تقاليد هذا المجتمع. كم أبغي بقر أمعائك ايتها العجوز الفاسقة.

هذا المقطع. من شأنه أن يفجر الصالة ضحكاً. هنا تركّز انتباه بوث. إنها اللحظة المناسبة!



بوث الذي اغتال ابراهام لنكولن.

خرج بوث ولم يعد يستقر بمكان. دار في الشوارع ثم إتجه صوب اسطبل. فإنتقى فرساً نشيطة وإستأجرها ثم إنطلق تجاه نزل عائلي متواضع كان قد إعتاد زيارته. وهناك كان دائماً يلتقي زمرة من الشبان الضالين. فشرب زجاجة خمر. واختفى بعد ذلك حتى الساعة السادسة.

في هذه الساعة. كان يعرف أن المسرح خالٍ تماماً. فدخل من باب الممثلين الخلفي وانتقل مباشرة الى المقصورة الرئاسية وبواسطة سكين صغيرة أحدث ثقباً صغيراً في بابها، ثم جمع بعناية نشارة الخشب المتساقطة وخرج.

وفي فندقه —الفندق الوطني— حيث يقيم. تناول عشاءه بكل سكينة ثم صعد الى غرفته واختار لحية وشعراً مستعارين وزوجاً من المسدسات ومسدساً آخر صغيراً يطلق رصاصة أكبر بقليل من «كلة» الأطفال. ثم خرج. واختفى لمدة ساعة. فيما بعد أعتُقد بأنه أمضى الساعة مجتمعا بمتآمرين آخرين.

في الساعة ٢١.٣٠ ظهر بوث من جديد خلف مسرح فورد. في الزقاق المظلم. هنالك مرّ به سكير يعرفه. قال له: كونك ممثلاً. فأنت طبعاً لا يمكن أن تساوي أباك. وقهقه. كانت طعنة لبوث تحملّها وابتسم وأجابه: «بعد أن أترك المسرح هذه الليلة سأكون أشهر إنسان في أميركا»!

من هو بوث؟

لا أحد يستطيع الجزم بالوقت الذي قرر فيه بوث اغتيال لنكولن. والإفتراض أنه قرر ذلك بغتة لدافع عدواني تملّكه. تكذّبه أحداث كثيرة مرت في السنوات السابقة لهذه الخطوة.

بوث الإبن التاسع من عشرة للسيد جونيوس برمتوس بوث. نصف المجنون والمدمن على الكحول والذي رغم ذلك كان الممثل الأول —ذات يوم— في كل أميركا. وجون الإبن صعد الى المسرح في السابعة عشرة من عمره. ولعب هاملت بعد سنتين فقط. وقد بقي في ولايات الجنوب حتى ١٨٦١. وتحت ضغط الحرب قبل أدواراً في مسارح الشمال، لأنه في الحقيقة من مواليد «ماريلاند» فهو ليس جنوبياً أصيلاً ولا يرتبط ارتباطا عاطفياً ولا مالياً بقضية العبيد. ولكنه كان يبدي فرحاً بانتصار الجنوبيين. ورغم هذه المظاهر الشاعرية لم يكن ليتجند في صفوف الجيش الجنوبي. كان يعيش ميسوراً ويرفض الموت في سبيل حرب. بينما يموت كل يوم على المسرح ويقبض ٥٠٠ دولار اسبوعياً. ووراء الكواليس كان


ماري سورات صاحبة النزل الذي كان يجتمع فيه المتآمرون.

يقوم بدور أكبر وأخطر: لقد انخرط منذ ١٨٦٣ في منظمة متمردة سرية.

وكانت الخدمات السرية لهذه المنظمة تديرها شبكات في مختلف المدن الكبرى في الإتحاد. وكان عمل بوث يعتبر ستاراً ممتازاً يسمح له بالتحرك براحة تامة من ولاية لأخرى بل باختراق الجبهة بين الشمال والجنوب. وكان وراء كواليس المسرح يلتقي بالعملاء السريين وقد أظهرت الوثائق -فيما بعد- علاقته بالخدمات المعلوماتية للجنوب. وهكذا تحطمت خرافة كون اغتيال لنكولن قام به مخبول غير مسؤول. في الحقيقة كان بوث عميلاً سريا منضبطاً ينفذ عملية محضّرة تماماً.

في اواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٨٦٤ قدم بوث نفسه للسيدة ماري سورات التي تدير نزلاً عائلياً متواضعاً في شارع ٥ رقم ٥٤١ على بعد ٢٠٠ متر من مسرح فورد. وهناك كان يجتمع بآخرين. يبدون كنزلاء عاديين: جورج أتزيروت. لويس بان. دافيد هارولد.

مؤامرات فاشلة

باعتراف السيدة سورات كان هؤلاء دائمي الإجتماع. ولم تكن خطتهم الأولى تستهدف اغتيال الرئيس لنكولن بل اختطافه وتقديمه للسلطات الجنوبية لهدف استراتيجي وهو طعن التفوق الشمالي في الصميم. ناهيك عما يمثله شخص الرئيس من قيمة في حال استبدال سجناء به. لكن لم تنجح محاولات ثلاث قامت لإختطافه. وكان بوث يخطط لها مع أصحابه. في المرة الأولى جرت محاولة اختطافه من مسرح فورد. والثانية على طريق موحل يؤدي الى مستشفى عسكري يبعد عن واشنطن خمسة كيلومترات وفي الثالثة أيضاً من مسرح فورد. وقد فشلت هذه المحاولات الثلاث مما استدعى التفكير بعمل يغطي الفشل هذا ويؤكد العمل الإجرامي المجمع عليه. تُرى ماذا يكون هذا العمل؟.

في هذا الوقت قرر بوث أن يلجأ الى العنف

الأقصى. الى الإغتيال. لكن في أي وقت قرر بوث ذلك؟ لقد بقي ذلك سراً. لكنه كان حتماً قبل ١٤ نيسان (ابريل) ففي ٩ منه زار القائد الفدرالي -لي- القائد الأعلى للقوات الشمالية -غرانت- مما حد ببوث الى التأكيد على إلغاء عملية الإختطاف. التي بدت -وقتها- في نظره عديمة الجدوى. والإلتفات للأغتيال.

لكن حتماً ما سمعه بوث عن حضور الرئيس لحفلة مسرح فورد حدد المكان والزمان. لكن متى تقرر أيضاً أن يرافق هذه الجريمة جرائم أخرى؟ لقد كلف أنزيروت بقتل نائب الرئيس جونسون. وكلف بان وهارولد بالتحضير والتنفيذ لإغتيال وزير الشؤون الخارجية -سيوارد- وهكذا في ضربة واحدة. يكون قد قضي على القادة الكبار في الإتحاد.

الجريمة

لم يقم بوث بأي جهد إضافي ليستطيع الدخول الى الممر المؤدي الى مقصورة الرئاسة في مسرح فورد. فقد لاحظ أن الباب لم يكن محروساً كذلك المقصورة ذاتها -إذ رغم كل التهديدات بالإختطاف والقتل- اكثر من ثمانين رسالة تهديد موجودة في درج مكتب الرئيس- لم يكن يوجد للحراسة حتى ولا مدني واحد!

لقد كان هناك بالفعل حارس. كلفه الرئيس شخصياً بحراسته. لكن القائد. وزير الحربية ستانتون. اعتذر من الرئيس بأن لديه مهمة خاصة للحارس هذا- ومع ذلك فعند الساعة العاشرة من تلك الليلة كان الحارس في بيته! وهناك حارس آخر. مدمن للكحول وسجله العسكري غير نظيف. هذا الأخير أيضاً كان غائباً تلك الليلة. ولم يعاقب. بل. بعد الجريمة. طُلب لحراسة البيت الأبيض (!؟)

..وبخطوات ثعلبية اقترب بوث ليراقب من خلال ثقب الباب الذي أحدثه: الرئيس على كنبته الى جانبه زوجته. وسيدة شابة. وفي مقدمة المقصورة في العمق. مرافقه الخاص. راتبون. شهر بوث مسدسه ووقف ينتظر «المقطع الحاسم» كانت أصوات الممثلين ضعيفة لكنها واضحة.

«...عجوز فاسقة» وضجت القاعة بالضحك. وبكل هدوء أدار بوث قبضة الباب وفتحه. وبسرعة البرق...دوي صامت. وتدلت رقبة الرئيس فوق صدره...لا حركة. فوجئ راتبون ونظر كالمأخوذ الى شبح وراء كنبة الرئيس فوقه ضباب خفيف. وقفز تجاه الشبح لكن شفرة لامعة اضاءت من يد بوث اعترضته ومزقت ذراعه الممدودة حتى العظم. فتراجع غريزياً ليستعد من جديد للقفز على المجرم. الذي اندفع بسرعة غير منتظرة فوق حاجز المقصورة باتجاه خشبة المسرح. وقفز. وأثناء قفزه. اصطدم احد مهازي جزمته بستار المقصورة فمزقها وأخلّ بتوازنه فسقط على ساقه اليسرى وأحدث الارتطام صوتاً مكتوماً، وكسراً في عظمة الساق. لكنه تحامل ووقف بسرعة وركض باتجاه مخرج الممثلين مزيحاً من دربه ممثلاً مأخوذاً واقفاً هناك... وانطلق نحو الممرات المظلمة الخلفية: رئيس الفرقة الموسيقية كان في طريقه فاصابته طعنتان من خنجر بوث. وآخر دفعه أرضاً....



لويس بان: في محاولة لقتل وزير الخارجية ترك وراءه خمسة جرحى في حالة الخطر.

كان في الصف الأمامي من المسرح. بين المشاهدين. محام من واشنطن شاهد الهرج في المقصورة. فاندفع وراءه. لكنه ماكاد يقارب أحد الأبواب الداخلية في الكواليس. حتى صفق المصراع في وجهه. من؟ أهو متآمر آخر؟ ولهنيهات توقف المحامي عن الركض مبغوتاً. مما أتاح الفرصة أكثر لبوث للإفلات.- هذا التأخر في الملاحقة. كان إحدى النقاط الغامضة المضافة الى الجريمة-

في الشارع كان هناك رجل مكلف بالإمساك

بفرس بوث. تلقى بدوره ضربة من قبضة خنجر بوث فوقع على الأرض. ...وانطلق المجرم. في هذه اللحظة خرج المحامي من الباب يصرخ: أوقفوه...أوقفوه.. ولكنه كان قد اختفى في الظلام.

الجريمة الثانية

طيلة يوم الجمعة العظيمة هذا كان هارولد الأذكى والأكثر ثقة في فريق المتآمرين يجوب المدينة ينفذ مهاماً أكلفه بها بوث: في منزل أتزيروت خبأ الأسلحة. في الفندق الوطني ليحادث بوث. في اسطبلات 'تايلور ليستأجر خيلاً...وفي الساعة ٢٢.٣٠ كان هارولد يقود **بأن الضخم الجثة والساذج إلى مدخل بيت الوزير سيوارت، وزير الشؤون الخارجية، وعندما إطمأن إلى أنه دخل البيت، انصرف إلى مهام أخرى.**

في هذا الوقت كان اتزيروت المكلف باغتيال نائب الرئيس يغرق نفسه في الخمر ليسكر ويخفي جبنه عن تنفيذ المهمة.

الوزير سيوارت كان قد تعرض لحادث في عربته أصيب فيه بكسر في فكه وذراعه وعنقه. وكان في سريره. ملفوف الذراع. يحيط بعنقه طوق جلدي وأهله حوله.

دخل بان كزائر وفي الداخل سرعان ما شهر مسدسه وأطلقه. لكن الرصاصة انحشرت فلم تنطلق. وجنّ بان فراح يستخدم مسدسه للضرب. يمنة ويسرة يطوّح بمن في طريقه حتى وصل لغرفة الوزير فهجم عليه وركع على صدره وراح بسكينه يطعنه في عنقه والسكين تنزلق فتغرز في خده وذقنه. وبان يثور ويصرخ هائجاً... وحوله أهل البيت يحاولون منعه... وبعد أن جرح وقتل عدداً منهم استطاع الإفلات تاركاً الوزير بين الجرحى... لقد نجا بفضل «جراحه».

ستانتون يتسلم القيادة

كانوا ثلاثة هاربين: بوث. هارولد وبان. تلاحقهم صرخات واعلانات خاطئة: اغتيال وجرح معظم الكبار في الدولة. اطلقت اجراس الإنذار. استنفر الجنود والشرطة. وزير الحربية ستانتون تسلم القيادة فأصدر سلسلة من الأوامر طويلة: مذكرات توقيف. رسائل لقوى الأمن. طلب من جميع أفراد القوى المسلحة حراسة الأبنية العامة والإنتشار في الشوارع وأمر بايقاف كل فناني مسرح فورد.


جورج اتزيروت: جبنه منعه من اغتيال نائب الرئيس جونسون.


دافيد هارولد: الأذكى في فريق المتآمرين والذي بقي أميناً حتى النهاية

لماذا ستانتون وليس نائب الرئيس - هكذا - أبعد نائب الرئيس وحلّ الأقوى. لقد كان فعلاً في هذه اللحظات الحاسمة القاضي وقائد الشرطة بل الحاكم الفعلي.

أمر ستانتون باغلاق كل المنافذ من واشنطن سوى طريقين يؤديان الى جسر فوق نهر آناكوستيا. ومن الجسر تؤدي الطريق الى ماريلاند. لماذا؟ لماذا ترك ستانتون هذين الطريقين طيلة الليلة دون حراسة؟؟

في الساعة ٢١ من كل ليلة اعتاد الرقيب جوب أن يغلق جسر ارسينال. وفي الساعة ٢٢.٤٥ سمع وقع سنابك:

— من انت؟

— اسمي بوث. ذاهب الى بيتي.

وظن الرقيب جوب أنه شاب مدلل. كما يظهر من أناقته وفرسه. تأخر في العاصمة «للتسلية» فابتسم وسمح له بالمرور. -هنا ثغرة في التاريخ استفاد منها بوث. صدفة- هل أخطأ جوب. أم انها مشيئة القدر؟ .لقد نجا.

وراءه كان أيضاً هارولد. وقد استطاع أيضاً النجاة ببراءته الظاهرة. وراء هارولد كان مؤجر الخيل الذي مر به هارولد في طريق هربه فأسرع وراءه ليسترجع حصانه المتأخر. وعند الجسر أوضح للرقيب المسألة لكن جوب رفض التصديق وأمره بالرجوع دون ملاحقته. فتوجه مؤجر الخيل الى مركز الشرطة وأخبرهم. وفهموا المسألة فطلبوا من فرقة الخيالة في الجيش أن تعيرهم عدداً من الأحصنة لملاحقته. لكن القائد أجاب: «لا خيل عندنا نعيرها للشرطة». لماذا؟ هل هي البيروقراطية؟ هل هي أصابع ستانتون الخفية؟ غموض وغموض....

الطبيب مود يدخل مسرح الجريمة

جنباً الى جنب. بوث وهارولد كانا يسيران في اتجاه الجنوب. لكن بوث كان يتألم من الكسر في ساقه. توقفا مضطربين في حانة اعتادا أن يخبئا فيها الأسلحة ثم تابعا السير. لكن الألم كان يزداد فجنحا نحو مزرعة طبيب في المنطقة، دكتور مود. الذي عالج كسر بوث. وهناك بقيا. حتى ظهر السبت. هل عرفها الطبيب؟ ربما. ألم يشك بعد أن انتشرت الأخبار؟ يوم السبت حدّدا له وجهتها فأشار عليهما بمركب الكولونيل كوس لاجتياز بحيرةبوتوماك. وانطلقا. لكن الليل داهمها قبل الوصول اليه فزحفا نحو مزرعته عبر الغابة حيث كان الجنود أيضاً منتشرين للتفتيش عنهما. وفي المزرعة عند كوس كان ما سجله بوث مؤثراً: «لو أن الشعب يعرف ما في قلبي تماماً لجعلني عظيماً جداً. انا الذي لا أفتش عن العظمة أبدا. اليوم. اطارد كالحيوان. جائعاً. متألماً..لقد وصلت لليأس. لماذا؟ انا ما كرهت انساناً. لي روح أبية جدا ترفض أن تعتبر روح مجرم».

في الثانية من صباح السبت كان قد تم استجواب عشرات الأشخاص وقد توصل الضابط المسؤول الى اسماء ثلاثة: بوث. هارولد. وسورات ابن صاحبة النزل العائلي وعنوان هذا النزل. في الثانية والربع كان الجنود قد طوقوا النزل: لا بوث ولا سورات داخله.

في ١٧ نيسان (ابريل) أمر قائد الشرطة بمداهمة النزل مرة ثانية والقبض على من فيه. وحين كان أفراد الشرطة ينتظرون السيدة سورات في داخله لتلبس ثيابها دق الباب ودخل بان متنكراً...دقائق فقط بعد مقابلته بالموجودين اعترف..فاقتيد الى السجن ينتظر النهاية. بعد ٤٨ ساعة كان معه اتزيروت مع مشبوهين آخرين حيث تعرض الجميع لحملة من التعذيب النفسي حتى قاربوا حالة الجنون.

المطاردة على الخطى

بعد أن ألقي القبض عشوائياً على مئات الأشخاص كان لا بد من ملاحقة ميدانية. ففي يوم الإثنين ١٧ نيسان (ابريل) كان اكثر من ١٠.٠٠٠ جندي جاهزين للجري على خطوات الفارين. خصوصاً بعد صدور الأعلان التالي من وزير الحربية: «كل من يساعد الفارين. يأويهما. يحميهما. يعرض نفسه لعقوبة الموت». وجاءت رسالة من خادم الكولونيل كوس عبر عملاء سريين: «لقد جهز طعاماً حمله الى البحيرة...» لكن حين وصول الجنود. كان الفاران قد اجتازا بوتوماك ودخلا فرجينيا.

في فرجينيا. تنقلا من مكان الى آخر. يتعهدهما عملاء ومتآمرون حتى التقيا صدفة بثلاثة جنود أحدهم الكابتن جت الذي دلّهما على مستودع في مزرعة تبغ حيث يمكنهما الإختباء لفترة من الزمن. وهذه المزرعة كانت على بعد خمسة كيلومترات من بورت رويال

وهناك استراحا...

يوم الأربعاء. ساعة العشاء. أقبل جت مسرعاً الى المزرعة يخبر أن الجنود قد صاروا في بورت رويال. وأثناء النهار كان حفيد صاحب المزرعة جاريت الصغير قد هددهما وطلب منهما الإنصراف في الغد خوفاً على أعصاب جده. وذلك بعد أن علم أنهما المطلوبان. قالت التقارير فيما بعد إن الحفيد طلب من بوث وهارولد الإختباء داخل المستودع وبالفعل فعلا ذلك وقد أقفل عليهما الباب وهما مسلحان وذهب. وهنا نسأل: لماذا قبلا الإختباء في مكان مغلق؟ كيف قبلا أن يخبئهما الحفيد الذي هددهما في المزرعة نفسها وكانت الجائزة على رأس بوث ١٠٠.٠٠٠ دولار وحده؟ ثم من أخبر الجنود بمكانهما...نعم. بعد ساعات فقط كان المنزل في المزرعة محاطاً بالجنود. يقول التقرير الرسمي: «أنزلنا جت من نزله وقادنا الى المزرعة».

بعد تفتيش المنزل وتهديد صاحبه العجوز بالشنق. إن لم يعلن عن مكانهما (وفعلاً وصل التهديد الى ربط عنقه بشجرة) اضطر أحد أبنائه الى إرشادهم الى المستودع. فأحاطوا به وهددوا الموجودين فيه. بعد سماع مشاجرة في داخل المستودع فتح الباب وخرج هارولد. ثم أغلق الباب بسرعة. فأحاط الجنود المستودع بالأغصان الجافة وأشعلوها. هناك كان بوث، المعروف من صوته. يصرخ ويحاول النجاة من أي منفذ. دون جدوى. ثم سمع انفجار. واندفع بوث من البناء المشتعل والدم يسيل من أنفه وسقط بين الجنود يحتضر.

هل قتل؟ من قتله؟ كانت الأوامر صريحة: «اقبضوا عليه حياً». ونقلت الجثة الى واشنطن.

نهاية المتآمرين

في ٩ ايار (مايو) فتحت قضية اغتيال لنكولن امام المحكمة العسكرية باعتبار أن الرئيس كان القائد الأعلى للقوات المسلحة وصدرت الأحكام في ٣٠ حزيران (يونيو) على المتهمين الثمانية الكبار ما بين السجن والإعدام. وقد نفذ الإعدام في ٧ تموز (يوليو) بماري سورات ودافيد هارولد وجورج اتزيروت ولويس بان.

علامات استفهام

● **حين وصلت جثة بوث إلى واشنطن تقول التقارير أن سماتها لم تكن تشبه أبداً الصور السابقة المأخوذة لبوث. ورغم ذلك لم يستدع أحد من أصحابه أو أقاربه ليتعرف على الجثة. ودفنت.**

● وجدت مع الجثة مفكرة بوث الخاصة. حملت الى الوزير ستانتون الذي أعلن فيما بعد أنه قرأها ولم يجد فيها شيئاً. ثم اختفت. لكن في سنة ١٨٦٧ وجدت في مخلفات الوزير الخاصة ناقصة ١٨ صفحة تسبق مباشرة موعد الأغتيال.

● ترى هل موت بوث أسدل الستار على التساؤل عن عدد المتآمرين وأسمائهم، ومن هي الأيدي الخفية التي كانت تساعد بوث في جريمته وهربه؟

● هل مع مقتل الأربعة شنقاً اسدل الستار على اغتيال لنكولن؟ لكن أين سورات الهارب الأخير؟

مما لا شك فيه أن الوزير ستانتون كان وراء هربه. فقد أُعلم فيما بعد أنه في كندا فلم يحرك ساكناً ثم عرف أنه في انكلترا فلم يجب السفارة الأميركية في لندن التي برقت اليه بذلك. واخيراً ارسل سفينة بحرية لتقله، من مصر، معتقلاً سنة ١٨٦٦. وبعد أن كانت الضجة الشعبية قد ضعفت. في واشنطن حوكم مرتين: الأولى أدت الى مأزق قانوني. وحين حوكم للمرة الثانية كان قد استفاد من مرور الزمن فسقطت التهمة. وفهم فيما بعد أن التوقيف والمحاكمة تأخرا عمداً. هنا لا أحد يدري من وراء ذلك؟ ولماذا؟

● في سنة ١٨٦٩ وبناء على طلب عائلة بوث نبشت جثته من مدفنها المؤقت لتنقل لمدافن العائلة. وبعد الفحص تقول التقارير أنه تم مقابلة الآثار المتبقية من اسنانه مع الصور والفحوصات الخاصة ببوث عند طبيب اسنانه فوجد أنها مختلفة تماماً. لكن قبول العائلة بالجثة قطع مجال التساؤلات الغامضة.

● وأخيراً روى صديق لأبن لنكولن روبرت أنه في سنة ١٩٢٦ أحرق الإبن أوراقاً خاصة بأبيه، ومما قاله حينها: «هذه الأوراق تحوي دلائل مادية على خيانة عضو كبير في مكتب أبي، والأفضل احراقها».

إذن، من وراء هذا كله؟ من يقف وراء هذ الغموض؟ لا جواب.

وهكذا تنتهي أو تعلق حكاية أكبر الجرائم وأكثرها غموضاً في تاريخ أميركا. ●

مطالعة في تاريخ ابن خلدون

عرض وإعداد: فيصل محمد شقير ماجستير في التربية

يعتبر التاريخ من المجالات الفكرية الرئيسية التي اهتم بها العرب بعد ظهور الاسلام. وبشكل خاص في العصر العباسي. وكانت حصيلة هذا الاهتمام مئات الكتب التاريخية التي تناولت شتى المجالات.

ولقد تنوعت صور الكتابة التاريخية عند العرب إلى أقصى الحدود، واشتهر عدد من المؤرخين العرب والمسلمين الذين عملوا في صناعة التاريخ. ونخص بالذكر عبد الرحمن بن خلدون الذي يعرض فيما يلي لأهم الموضوعات التي تضمنها «تاريخه» المعروف بتاريخ ابن خلدون.

يعتبر ابن خلدون من المؤرخين الذي اهتموا بتاريخ العرب والاسلام بشكل عام، وبتاريخ العالم منذ الخليقة.

التعريف بالمؤرخ:

هو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ٧٣٢ - ٨٠٨هـ، وأسرته عربية يمانية من حضرموت ينتهي نسبها إلى وائل بن جحر وكان جده خالد المعروف بخلدون هو الذي قاد اليمنيين عند فتح الأندلس وقد نزل في مدينة قرمونة واستقر بها ثم غادرها بنوه إلى اشبيلية. ولم تظهر أهمية تلك الأسرة إلا في نهاية القرن الثالث في عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي ٢٧٤ - ٣٠٠هـ[1].

مولده ونشأته في تونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس. وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، وعزل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة. كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صارم اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية، ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها. وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه[2]

وفي سنة ٨٠٣هـ رافق ابن خلدون السلطان الناصر فرج المملوكي إلى دمشق مع سائر القضاة لحرب تيمورلنك. وقد ذكر ابن تغري بردي في كتاب المنهل الصافي اتصال ابن خلدون بتيمورلنك على أبواب دمشق قائلاً: «إلى أن مَلَكَ تيمور دمشق وأحاط بها، نزل اليه المذكور (ابن خلدون) من سور دمشق بحبل، وخالط عساكر تيمور فساروا به إليه فأمر باحضاره فحضر فأعجبه حسن هيئته وجمال صورته وكلمه بعذوبة منطقه ودعاه بكثرة مقالاته باطرائه. فأجلسه

واستدناه، وشكر له سعيه، وحظي عنده، إلى أن أطلقه وزوده، وعاد إلى القاهرة بعد عودة تيمور خزاه الله إلى بلاده»[٣].

اشتهر ابن خلدون بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» المسمى بتاريخ ابن خلدون ومن كتبه «شرح البردة» وكتاب في «الحساب» «ورسالة في المنطق» وله شعر.

تاريخ ابن خلدون

يقع تاريخ ابن خلدون الذي سماه بكتاب [العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر] في سبعة مجلدات. أولها «المقدمة» وهي تعد من أصول علم الاجتماع وقد ترجمت إلى عدة لغات.

ولقد عرف ابن خلدون في مقدمته التاريخ بقوله بأنه [«فن من الفنون الذي تتداوله الأمم والأجيال. وتشد اليه الركائب والرحال. وتسمو إلى معرفته السوقة والاغفال. وتتنافس فيه الملوك والاقيال. وتتساوى في فهمه العلماء والجهال. إذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى. تنمو فيه الأقوال. وتضرب فيها الأمثال. وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال. وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال. وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال. وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق. وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق. فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بان يعد في علومها وخليق»[٤]].

وكذلك فقد بين ابن خلدون في مقدمته مادة علمه فقال انها [«ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم أو الصنائع بوجوه برهانية. يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامةوتدفع بها الأوهام والشكوك»][٥].

ولقد قسم موضوع علمه إلى ستة فصول هي:

الفصل الأول: في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض.

الفصل الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية.

الفصل الثالث: في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية.

الفصل الرابع: في العمران الحضاري والبلدان والأمصار.

الفصل الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه.

الفصل السادس: في العلوم واكتسابها وتعلمها.

ومن خلال الفصل الثاني نلاحظ نوعاً من التحامل من ابن خلدون على العرب، فهم في نظره أمة وحشية، تقوم فتوحهم على النهب والعبث ولا ينتصرون إلا على البسائط السهلة. لا يستطيعون اقتحام الهضاب والجبال. وإذا تغلبوا على أقوام حل بها الخراب لأن طبائعهم منافية للعمران ولأنهم أهل تخريب ونهب. وهم أبعد الناس عن الصنائع.

ولقد رد الكثيرون على آراء ابن خلدون في العرب، ومن أهم تلك الردود ما أورده الأستاذ محمد عبدالله عنان حيث قال: «ولكنا نقول في شأن الفتوحات العربية. إن العرب هم الذين افتتحوا وهاد الشام ومفاوز الأناضول وأرمينية. وتوغلوا فيها وراء فارس. واقتحموا شمال أفريقية حتى المغرب الأقصى ثم اسبانيا وعبروا جبال البيرينيه إلى فرنسا وهذه كلها أقطار وعرة وليست من البسائط السهلة - التي يسهل غزوها - وقد افتتحها العرب جميعاً في أقل من قرن. وفي وابل من الظفر الباهر. ...... وقد ورث البربر بغض العرب منذ بعيد. ونشأ ابن خلدون وترعرع في هذا المجتمع البربري يضطرم بمشاعره وتقاليده وذكرياته. ونشأت فيه أسرته قبل ذلك بمائة عام. ونعمت برعاية الموحدين البربر وتقلبت في نعمهم. فليس غريباً بعد ذلك أن نسمع منه أشد الأحكام وأقساها على العرب»[٦].

ويبدأ القسم التاريخي بعد المقدمة ابتداء من المجلد الثاني. ولقد خصص ابن خلدون أربعة مجلدات - من الثاني حتى الخامس - لدراسة العرب واجيالهم. وأخبار باقي الأمم القديمة مثل النبط والسريان والفرس وبني اسرائيل والروم والقبط واليونان والأتراك والأفرنجة.

وفي المقدمة الأولى للمجلد الثاني ذكر ابن خلدون ما يلي [«اعلم أن الله سبحانه وتعالى اعتمر هذ العالم بخلقه وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه وبثهم في نواحيها لتمام حكمته وخالف بين اممهم وأجيالهم اظهاراً لآياته فيتعارفون بالانساب ويختلفون باللغات

والألوان ويتمايزون بالسير والمذاهب والأخلاق ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات»][7].

ولقد تحدث المؤرخ في الجزء الأول من المجلد الثاني عن العرب في الجاهلية واليهود واليونان والرومان والفرس وتحدث في الجزء الثاني من المجلد نفسه عن ظهور الاسلام وحياة الرسول العربي محمد (ص) وعصر الخلفاء الراشدين.

وتناول ابن خلدون في المجلد الثالث تاريخ الدولة الأموية وتاريخ الدولة العباسية بشئ من التفصيل.. وأشار إلى مبدأ دولة الشيعة بقوله: [«أعلم أن مبدأ هذه الدولة أن أهل البيت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون انهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم من قريش وفي الصحيح أن العباس قال لعلي وفي وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه أذهب بنا اليه نسأله فيمن هذا الأمر أن كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا فقال له علي ان مَنعناها لا يعطيناها الناس بعده وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فاختلفوا عنده في ذلك وتنازعوا ولم يتم الكتاب وكان ابن عباس يقول أن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم، حتى ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى في مرضه ذلك لعلي»][8].

وبحث المجلد الرابع في تاريخ الفاطميين والقرامطة وتاريخ الأندلس منذ الفتح حتى بداية دولة بني الأحمر، بالإضافة إلى تاريخ بني بويه وبني سبكتكين.

وتوسع ابن خلدون في المجلد الخامس في تاريخ السلاجقة والأتراك والحروب الصليبية مع تاريخ المماليك في مصر حتى أواخر القرن الثامن الهجري، مستنداً في ذلك على كتابة المؤرخين السابقين امثال الواقدي.

وتحدث ابن خلدون عن تاريخ البربر من خلال المجلدين السادس والسابع. ولقد بدأ حديثه في المجلد السادس عن اخبار العرب المستعربة من بقية الدول الاسلامية من العرب بالمغرب. ثم تعرض لتاريخ قبائل البربر مثل قبائل: زناتة ومصمودة والبرانس وصنهاجة من أقدم العصور حتى ايامه. كما أشار ابن خلدون إلى تاريخ المرابطين والموحدين. واختتم ابن خلدون تاريخه بعدة فصول سماها التعريف بابن خلدون.

الهوامش

(١) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل الى التاريخ. مطبعة الانشاء دمشق. ١٩٦٤. ص ٣١٢، ٣١٣.

(٢) خير الدين الزركلي: الاعلام. الجزء الرابع. بيروت ١٩٦٩. ط٣. ص ١٠٦.

(٣) نور الدين حاطوم: المدخل إلى التاريخ، مصدر سابق، ص ٣١٦، ٣١٧.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٥) المصدر السابق. ص ٣٣.

(٦) نور الدين حاطوم وآخرون: المدخل إلى التاريخ، مصدر سابق. ص ٣١٩، ٣٢٠.

هذا الأشكال: «تحامل ابن خلدون على العرب» يقع فيه كثير من المؤرخين والكتاب العرب المعاصرين. ووجهة النظر هنا التي يقدمها الأستاذ فيصل شقير عن الأستاذ حاطوم تنطلق من سوء فهم لمفهوم ابن خلدون لدور العرب في بناء الدولة. وهنا لا بد من الاشارة إلى أن ابن خلدون يمتدح في عدة أماكن في «المقدمة» القضية العربية التي قامت عليها الفتوح وبنيت الدول. بيد أنه يدين الغزوة الهلالية العربية في القرن الرابع عشر على شمالي أفريقيا والتي كانت جزءاً من الاضطرابات التي اعاقت عملية توحيد البلاد في دولة واحدة. ومن هنا الالتباس الحاصل في فهم موقف ابن خلدون من دور العرب. ثمة دمج بين الموقف من الغزوة الهلالية والموقف من العرب عامة. وهذا الدمج يحرص عليه الكتاب الكولونياليون في الجزائر والمغرب الذين وضعوا نظرية الصراع الدائم بين البربر والعرب. الحضر والبدو. راجع وجهة نظر علمية حول هذا الموضوع في ايف لاكوست: العلامة ابن خلدون. ترجمة ميشال سليمان. ص ٨٠ – ٩٨. دار ابن خلدون – ١٩٧٤ (هيئة التحرير).

(٧) المجلد الثاني من تاريخ ابن خلدون. ص ٢.

(٨) المجلد الثالث من تاريخ ابن خلدون. ص ١٧٠. ١٧١.

كوبرتان يحيي الألعاب الأولمبيّة

كلود باستور

ترجمة: مهى الحسيني


البارون بيير دو كوبرتان عام ١٩٠٥.

ولادة الفكرة:

ولد بيير كوبرتان عام ١٨٦٩.. وباحيائه الألعاب الاولمبية اعاد إلى العالم إحدى الروائع التي شاعت في القديم. في فترة طفولته. تحمس بيار لقراءة كتاب مترجم عن اللغة الانكليزية. بعنوان «السنوات الدراسية لتوم براون». ويتحدث المؤلف في كتابه عن السنوات التي قضاها في معهد روغبي. المدينة الصغيرة في إحدى ضواحي لندن. ومما يقوله المؤلف معجباً باستاذ الرياضة توماس ارنولد: إنّ توماس تفرّد دون غيره من المعلمين بعلاقة حارّة مع تلاميذه. اذ كان يسود بين هؤلاء جو من الالفة والتفاهم العميقين. وتؤكد الصور المتناثرة على صفحات الكتاب أن الألعاب التي كان يؤديها التلامذة كانت العاباً جماعية...».

ويبدو ان بيير الصغير قد أخذ تماماً بما قرأه في الكتاب. فقد كان في ذلك الحين كثير التأفف من اجواء المدارس الباريسية (حيث كان يتعلم) اذ كانت الالعاب الرياضية والتمارين تقتصر على لعبة رمي الكرة إلى الحائط ولعبة الاوتاد (البوليغ). والبلبل...

على أنّ هذه الالعاب لم تكن لتشبع شغفه الحاد بالرياضة فراح يحلم بتلك المدرسة حيث شاهد صور التلامذة وهم يلعبون بحماس مستخدمين كرة بيضوية (وإتخذت اللعبة هذه فيما بعد اسم المدينة حيث نشأت: الروغبي).

والآن وقد عرف بيير أن شخصية توماس ارنولد ليست خيالية، إذ اثرت تأثيراً كبيراً في التربية الانكليزية خلال أربع عشرة سنة من الممارسة، وهذا ما جعل بيير يتخذه مثالاً أعلى. فطفق يناضل منذ عام ١٨٨٧ مؤكداً إنّ على الشبيبة تقوية النفس عن طريق تدريب الجسد وهكذا في الثالث والعشرين من آب (اغسطس) أعلن بيير في مجلة (الفرنسي) تأسيس «رابطة للتربية البدنية» وقال: «إنّ تلاميذنا لا يلعبون لأننا لم نخلق لهم الألعاب الشيقة».

وفي الفترة التي كان بيير كوبرتان يناضل فيها من أجل قناعاته في ميدان الرياضة، كانت «الفكرة الرياضية» تدور في الأجواء، الجميع يريد ان يكون رجلاً رياضياً...

لقد كتب بيير: «منذ القرون الوسطى تسود الأفكار التي تحتقر الجسد. ويعتبر ذلك خطأ فادحاً. وفي النهاية، لا ينقسم الانسان إلى قسمين: النفس والجسد. انما إلى ثلاثة اقسام: الجسد، والعقل، والطبع. لقد عرف الاقدمون ذلك. انما نسيه آباؤنا أما نحن فنتعلمَ ذلك بصعوبة». وقد ذهب بيير أبعد من ذلك فقال: «إنّ كتاب أبيكتات، هو كتاب رياضة. وأفكار مارك أوريل هي أفكار رجل رياضي، مصارع».

وهكذا ومن خلال بعث هذه الأفكار الرياضية القديمة ظهرت «الفكرة الاولمبية» التي لم يتجرأ كوبرتان على التعبير عنها صراحة، مخافة أن يُوصم بالجنون.

وحدث أنه في سنة ١٨٥٢، قام بعض علماء الآثار الالمان بترميمِ اطلال «اولمبيا»، المدينة اليونانية التي كانت مسرحاً للالعاب القديمة. وقد سحر بيير بهذه الآثار.

وفي سنة ١٨٩٢. أعلن كوبرتان في السوربون عن اعادة تنظيم الالعاب الاولمبية. وقد قوبلت الفكرة هذه بالاستحسان لدى الطلاب بالرغم من كونها لم تكن واضحة جيداً لديهم. أما الكبار فقد سخروا منه.

ما هي الأولمبياد؟؟.

يعتبر عام ١٨٩٤ عاماً حافلاً بالنسبة للمجدّد كوبرتان: أولاً. في ٢٢ حزيران (يونيو) انعقد المؤتمر من أجل اعادة تنظيم الألعاب الاولمبية. فبعد اتصالات دولية عديدة، نجح في الحصول على تسجيل ١٤ دولة للاشتراك في الألعاب. وكان هذا الحدث بمثابة هدية قدمها لزوجته ابتهاجاً بزواجها...



كان الأبطال الأولمبيون ينزلون إلى الملعب بلا ثياب.

وعندما أعلن كوبرتان للعالم احياء الاولمبياد، كان قد انقضى على توقف هذه الالعاب ١٥٠٠ سنة، بعد ان منعها الامبراطور المسيحي تيودوسيوس عام ٣٩٤م، لأن الكنيسة اعتبرت هذه الألعاب مظهراً وثنياً. وتقول الميتولوجيا ان هرقل أسس الألعاب الاولمبية، تكريماً لجوبتير حوالي العام ٢٦٣٥ قبل الميلاد. وكانت تقام هذه الالعاب في احدى مدن «الأليد» وهي «أولمبيا» الواقعة على الضفة الشمالية «لألفيه».

لكن الاولمبياد الأولى المعروفة حصلت في العام ٧٧٦ قبل الميلاد. وخلال ألف ومائتي عام، استمرت الالعاب المقدسة دون انقطاع. فكانت تجري مرّة كل خمس سنوات وتدوم خمسة أيام.

وفي حين كانت العاب المصارعة، والملاكمة، والمباراة الخماسية القديمة، والركض، تجرى على المدرج، كان سباق الخيل والعربات يتم على ميدان الخيل الفسيح. وبين الجموع الغفيرة التي كانت تكتظ بها المدارج، لم نكن نجد أي، أثر للنساء اللواتي حظر عليهنّ تماماً حضور الالعاب الاولمبية، ومن تتجرأ منهنّ وتنفذ، داخل السور، كان مصيرها الهلاك: إذ انهم كانوا يلقون بها من صخرة شاهقة... على انهم سمحوا لبعض الكاهنات بالحضور!.



خط الانطلاق في الملعب الأولمي في اليونان القديمة.

كان اليونانيون يتهيأون قبل بدء الاحتفالات بالالعاب بعشرة أشهر. وعلى رأسهم الحكام الذين كان يبلغ عددهم ثمانية: كان هؤلاء يدرسون القوانين بشكل دقيق، ويشرفون على تدريب الرياضيين. وبالتالي، كان النظام يعم بشكل تام، ولم يكتفِ حكام المباريات بمراقبة المشتركين، بل قاموا بمبارزتهم بأنفسهم لاختبار مدى قدرتهم وكفاءتهم.

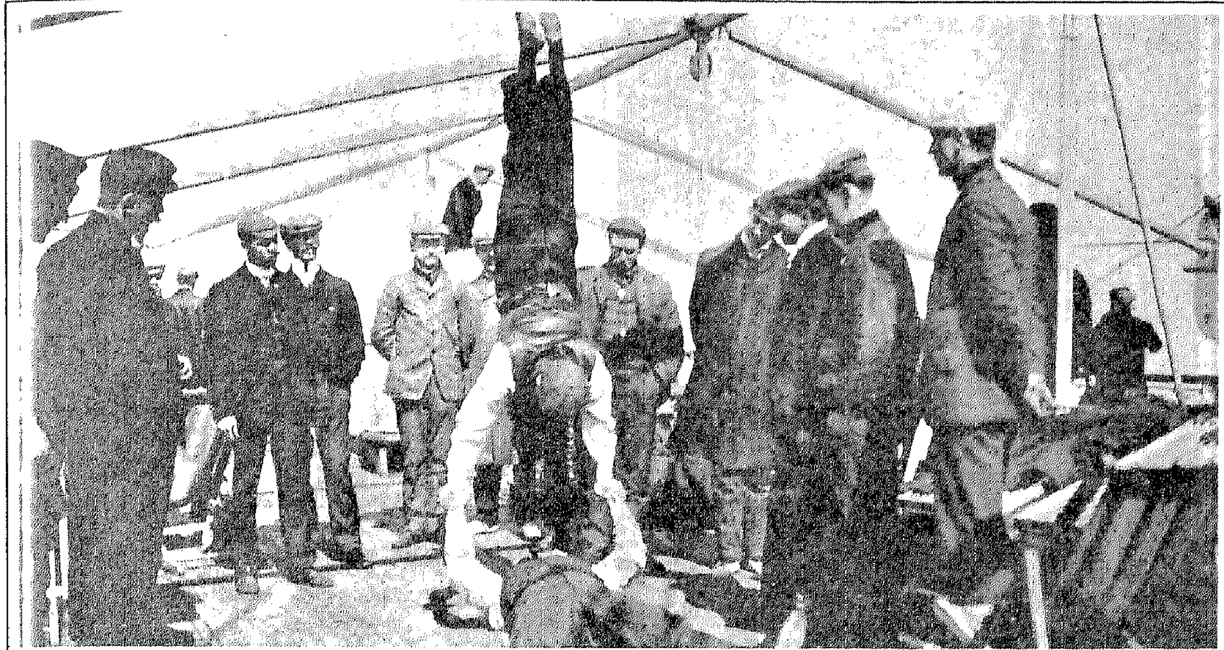
وقبل ستة أشهر من بدء الالعاب، كان الرياضيون يخضعون لتغذية بسيطة ولتمرين مكثف. وكانوا يلبسون الثياب الخشنة. وفي يوم الاحتفال الكبير، كان الأبطال يخلعون ثيابهم ويحتذون المداسات الخاصة. كما كانوا يدهنون اجسامهم بالزيوت، وأخيراً كانوا يظهرون على الملعب عراة تماماً، فيتقدمون نحو تمثال الاله زوس لتأدية القسم. ومن ثم يبدأ اللعب، في الصباح الركض وسباق الخيل والعربات، أمّا فترة بعد الظهر، فقد كانت مخصصة للمباريات الأخرى.

ودون شك كانت العاب الفروسية، من أكثر الالعاب جماهيرية. كما كانت المصارعة، على أنواعها، محبّبة إلى الجمهور. «ولكنّ الرياضة الأكثر عنفاً كانت الملاكمة، خاصة عندما كان يستعمل المتبارون الكف المحدّد (كف جلدي محدّد كان المصارعون القدامى يستعملونه في مبارزتهم). وبالطبع، كان القانون يحظّر قتل الخصم تحت طائلة الحرمان من الجائزة. ورغم العنف الذي تميزت به المبارزات، فانه نادراً ما كان ينتج عنها قتلى. ولكن عدداً كبيراً من الرياضيين كان ينهار في المساء أو في الأيام التالية. وكانوا جميعاً يخرجون من الحلبة مشوهين، ممزقي الآذان، مسحوقي الأنوف، فاقدين اسنانهم.

وكان شاعر ساخر يقول لأحد الأبطال: كلابك لن تتعرف عليك. وإذا نظرت إلى المرآة، فستقول: لا ليس هذا ستراتوفون.

أما المصارعة اليونانية القديمة التي هي مزيج من المصارعة والملاكمة، فكانت ضحاياها أكثر ضآلة من غيرها، لأنها كانت تمارس باستمرار.

أما اللعبة الخماسية فكانت لعبة النخبة وهي مخصصة للذين ربحوا في الألعاب السابقة. وقد عرفنا، عن طريق الشاعر باندار، أسماء بعض هؤلاء الفائزين. اذ انه ترك أربع قصائد غنائية مخصصة للألعاب القديمة، وفي الاحتفالات التي كانت تقام في عيد ابولون كان يجلس على عرش فولاذي، وعلى رأسه



الرياضيان ماسبولي ولالو يتمرنان استعداداً للألعاب الأولمبية عام ١٩٠٦.

اكليل من الغار. وقد اقامت له طيبة تمثالاً وهو لا يزال على قيد الحياة. ولكونه شاعر الألعاب الرسمي، كانت مهمته تقريظ الفائزين. وغالباً ما اتصف تقريظه بالمبالغة الشديدة.

وفي اليوم الذي تختتم فيه الالعاب، يتجه الفائزون إلى المسرح، وكل واحد منهم يحمل بيده سعفة ويرتدي الملابس االفخمة. فيكلل الحكام رأسه بأكليل الزيتون؛ وأخيراً تنتهي الاحتفالات بمهرجانات معربدة.

تطبيق الفكرة في العصر الحديث:

لقد أراد كوبرتان احياء تلك الاوقات الماضية. وبالتالي كان من الافضل اختيار اليونان لذلك. وهكذا تصبح اثينا المدينة الأولى التي تقام فيها الالعاب الاولمبية الحديثة.

وفي فترة ما بين ٥ إلى ١٠ ايار (مايو) ١٨٩٦ افتتح باب الاستكتاب أمام الجميع لأعادة بناء ملعب بيريكليس الذي هدمه الاتراك. وقد عاشت اثينا قبل عدة أيام من بدء الألعاب في الأجواء الاولمبية. فقد زينت جميع البيوت بالازهار والاعلام. وفي كل ناحية، في الساحات، وفي الطرقات، اختلط المتفرجون من جميع البلدان.

نهار الأثنين في ٦ ايار (مايو) ١٨٩٦، الساعة الثالثة بعد الظهر، اجتاحت جماهير غفيرة تعد حوالي ستين إلى ثمانين ألف شخص الاربعة والستين صفاً من المدرج. وقد كان بين الحضور العائلة المالكة وسفراء الدول الاجنبية، وبعد النشيد الوطني افتتح الالعاب الاولمبية ملك اليونان جورج الأول بقوله: «انني أعلن افتتاح أولى ألعاب الالمبياد في عصرنا الحديث».

وكانت أول لعبة في هذه الألعاب، سباق الماراتون، (وهو سباق طويل المسافة، ٤٢,٥ كلم، ويسمى بإسم مدينة يونانية) لقد توخى بيير دو كوبرتان من خلال هذه اللعبة، التذكير ببطولة الجندي فيليبيدس الذي قضى بعد أن أعلن إلى مواطنيه النصر على الفرس في العام ٤٩٠ قبل الميلاد. أما المسافة التي على اللاعبين اجتيازها فهي نفسها التي قطعها فيليبيدس (٤٢,٥ كلم). وقد احتشدت الجماهير الغفيرة على جانبيّ الطريق، تولى حمايتها جيش من الجنود المشاة والفرسان.. وكان الرابح في سباق الماراتون الأول هذا، بطل يوناني؛ فقد قطع المسافة خلال ساعتين و٥٥ دقيقة و٢٠ ثانية. انه الراعي سبيريدون لويس الذي يرتدي عادة التنورة اليونانية الشعبية، وهو «بعيد كل البعد عن ممارسة التمارين الرياضية» لقد تهيأ لهذا السباق عن طريق الصوم والصلاة فقط. فأثبت هذا التخصير النفي الذي اعتمده الراعي-البطل، أفكار كوبرتان، إذ يقول: «إنّ القوى النفسية تلعب في مجال الرياضة دوراً فعالاً أكثر مما نظن عادة».

وفي مساء آخر يوم من أيام الاولمبياد، اشتعلت



أول
ألعاب أولمبية
شتوية
جرت في
شامونيكس
سنة ١٩٢٤.

كل اثنينا ابتهاجاً. فراحت الالعاب النارية تسطع وتضيء السماء. كما امتدّت الولائم الشهية واخيراً قدّم الجميع الشكر للهيئات الرسمية.

ومنذ ذلك التاريخ، تقام الالعاب الاولمبية مرّة واحدة كل أربع سنوات باستثناء أيام الحروب.

وفي كل مرّة تجرى في مدينة جديدة.

وهكذا، يكون كوبرتان، ببعثه للاولمبياد من جديد قد حقّق انتصاراً بيّناً، انما كان لا يزال في البداية ينقصه موافقة الكنيسة. لكنه استطاع اخيراً الحصول على موافقة البابا بيوس العاشر على «هذا التجديد للمظاهر الوثنية».

وفي سنة ١٩٠٦، وضع بيير القسم الرسمي الذي يؤديه الرياضيون. وفي سنة ١٩١٣ أوجد العلم الأولمبي. والمهم، ان كوبرتان قاد هذا النضال الطويل بمفرده.

إذ ان الدولة الفرنسية تجاهلت ما يحدث بهذا الخصوص. فقد تحمّل حتى عام ١٩٢٥ شخصياً المهام الادارية والمالية المتعلقة بالاولمبياد.

ولم يلبث أن أتى الوقت الذي ارهق فيه بيير من العمل المتواصل الذي يتطلبه اتساع مشروعه. كما مني أيضاً ببعض الخيبة. اذ أنّ روحاً تجارية جشعة تسرّبت نوعاً ما إلى تنظيم الالعاب. اذن، هل ستتشوّه فيما بعد الفكرة الرياضية الصافية التي نادى بها بيير دوكوبرتان؟.

في سنة ١٩٢٥، بعد أن تعب وخاب ظنه، قدّم بيير استقالته وكتب وصيته الشهيرة، حيث نبّه إلى ضرورة مقاومة الاحتراف الرياضي بشدّة. كما قال: «انه من الضروري ربط الرياضة بالحركة الاجتماعية.. يجب أن يتم أيضاً اختيار الرياضيين من بين عامة الشعب. لأن الشعب يتصرف دائماً بصدق ولا يهتم إلى مؤامرات الاحتراف».

في سنة ١٩٢٤، فرح بيير لافتتاح الالعاب الاولمبية الشتوية في شامونيكس. وقد اشترك فيها سبع عشرة دولة ومائتان واربعة وتسعون متبارياً. (ويُذكر انه لم تكن هناك أية فتاة مرشحة للمباراة). وقد اعيدت اقامة هذه الالعاب ثلاث مرات قبل وفاة بيير: سنة ١٩٢٨ في سان موريتز، سنة ١٩٣٢ في لاك بلاسيد، وفي ١٩٣٦ في غارميش-بارتنكيرشن.

انصرف كوبرتان منذ سنة ١٩١٣ إلى التاريخ. فقد انهى سنة ١٩٢٦ كتابة «تاريخ العالم» في أربعة اجزاء. وقد منحه اليونانيون الاكليل الذهبي... وأخيراً توفي بيير في ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ في جنيف.

عن مجلة: Miroir de l'histoire



● يوجد في قلب العالم الغربي صراع بلا أمل: انه صراع بين الإنسان وما خلقه، صراع بين المفكر والفكرة، صراع بين اوروبا وحضارتها.

مالرو



● ما أتعس البلد الذي يحتاج الى أبطال.

برتولت بريشت

أيلول سبتمبر ١٩٥٤

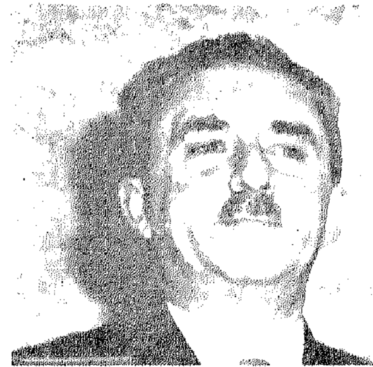
ايمان نويهض

١ أيلول (سبتمبر) ١٩٥٤.

● أعلن رسمياً عن تغييرات حكومية في مصر تهدف إلى ادخال اثنين من أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى الحكومة: اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة والبكباشي أنور السادات. كما قبلت استقالة الدكتور محمود الشريف وزير المالية والدكتور عوض محمد وزير المعارف.

● محادثات اميركية - مصرية في القاهرة حول المساعدات الاقتصادية الاميركية للمشاريع الكبرى في مصر.

● **رئيس الوزراء الاسرائيلي شاريت يعلن في خطاب امام الكنيست استعداده لعقد الصلح مع الدول العربية.**



موشى شاريت.

● **اشتباك بين القوات الفرنسية والثوار التونسيين أدى إلى مقتل ضابط وأربعة مظليين فرنسيين مع عدة اصابات بين الثوار.**

٢ أيلول.

● **وزير الارشاد القومي في مصر صلاح سالم يصل إلى عمان في زيارة لمدة ٥ أيام.**

● وصول الأمير عبد الاله، ولي العهد العراقي إلى تركيا بدعوة من رئيس وزرائها عدنان مندريس.

● أعلن رسمياً ان الحكومة الفرنسية قد رفعت الحظر المرفوع على حزب الدستور الجديد منذ سنة ١٩٣٨.

٣ أيلول

● عودة رئيس الوزراء اللبناني عبد الله اليافي إلى بيروت بعد زيارة للعراق استغرقت خمسة أيام ووصول وزير الخارجية الاردني جمال طوقان بشكل مفاجئ لدراسة نتائج مباحثات اليافي هناك.

٤ أيلول.

● اتفاق اربعة احزاب سياسية (الحزب السوري القومي - الحزب الوطني - حزب الشعب - الحزب التعاوني الأشتراكي) في سوريا على خوض الانتخابات النيابية مع اتحاد النقابات ضمن وحدة وطنية بزعامة الرئيس السابق شكري القوتلي.

٥ أيلول.

● في دفاع عن اتفاقية السويس رئيس الوزراء المصري جمال عبد الناصر يهاجم تنظيم الاخوان المسلمين وزعيمه حسن الهضيبي الذي أعلن معارضته للاتفاقية.

● الاتفاق على السياسة الخارجية والتعاون العسكري بين الدول العربية.

● الملك سعود، ملك السعودية العربية، يقدم ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني للنازحين الفلسطينيين في قطاع غزة لشراء ثياب الشتاء.

٦ أيلول.

● في القاهرة وقعت كل من شركة حقول النفط الانكليزية المصرية وشركة سوكوني فاكووم للنفط اتفاقاً لاستثمار حقول النفط لمدة ٣٠ سنة في رأس ماترما في شبه جزيرة سيناء.

٨ أيلول.

● رئيس الجمهورية اللبنانية كميل شمعون يقبل استقالة رئيس وزرائه عبد الله اليافي.



كميل شمعون.

● في العراق أعلن نجاح ١١١ مرشحاً بالتزكية ويتنافس ٤٣ مرشحاً على ٢٤ مقعداً وذلك في الانتخابات النيابية المزعم اجراؤها في ١٢ أيلول.

٩ أيلول.

● اتفاق ليبي-اميركي يخول الولايات المتحدة الاميركية حق اقامة واستعمال القواعد الجوية في ليبيا مقابل خمسة ملايين دولار هذا العام ومليونيين دولار في العام المقبل ولمدة عشرين عاماً.

● اعلن في مصر عن اعطاء اجازة مفتوحة للصاغ صلاح سالم وتسليم مهامه الوزارية لحسين الشافعي.

١٠ أيلول.

● بعد لقاء طويل بين عبد الناصر وصلاح سالم أعلن عن قطع اجازة الاخير وعودته إلى مهماته العادية.

١١ أيلول.

● الرئيس اللبناني كميل شمعون يرفض اعتذار عبد الله اليافي الرئيس المكلف بتشكيل الحكومة اللبنانية الجديدة.

١٢ أيلول.

● اجراء الانتخابات البرلمانية في العراق.

١٣ أيلول.

● صدور قرار وزاري مصري بوجوب توحيد خطب الجمعة في كل مساجد مصر باشراف وزارة الاوقاف.

١٤ أيلول.

● بعد فشل كل محاولات الائتلاف في سوريا، الاحزاب السياسية تقرر الاشتراك منفردة في المعركة الانتخابية.

● نوري السعيد يعلن في لبنان عن موافقته على نقل مصفاة حيفا إلى الزهراني بدلاً من بانياس.

١٥ أيلول.

● وصول نوري السعيد، رئيس الوزراء العراقي، إلى مصر في طريقه إلى لندن بعد محادثات مع كميل شمعون الرئيس اللبناني وعبد الله اليافي رئيس الوزراء المستقيل.

● في لبنان اعلن الرئيس اللبناني كميل شمعون عن تكليف سامي الصلح مهمة تشكيل الحكومة الجديدة وفي النهار نفسه أعلن الأخير عن تشكيل الحكومة كاملة.

١٦ أيلول.

● بيان مشترك عراقي-مصري يعلن عن اتفاق الطرفين حول عدة خطوات لصالح العرب بينما الانباء تشير إلى اختلاف في وجهات النظر حول قبول المساعدات العسكرية من الغرب حيث رفض عبد الناصر استقبال بعثة عسكرية اميركية للاشراف على هذه المساعدات.

١٧ أيلول.

● ممثلو الدول العربية الدبلوماسيون في لندن يطالبون بالضغط على اسرائيل ومساعدة العرب عسكرياً.

١٩ أيلول.

● سعيد الغزي، رئيس الوزراء السوري، يصل القاهرة لاجراء مباحثات مع نظيره المصري جمال عبد الناصر حول النشاط المعادي للحكومة المصرية من قبل تنظيم الاخوان المسلمين الذي يعتمد دمشق مركزاً له.

٢٤ أيلول.

● في أول انتخابات نيابية منذ ١٩٤٨ في سوريا نال. المستقلون ٤٥ مقعداً، العشائر ٩، الوطني ٢٦، الشعب ٢٠، البعث ١٢، القومي ٢، الشيوعي ٢، والتعاوني ١.

٢٥ أيلول.

● البيت الأبيض الاميركي يرفع علاقاته الدبلوماسية مع ليبيا إلى مستوى سفارة.

٢٨ أيلول

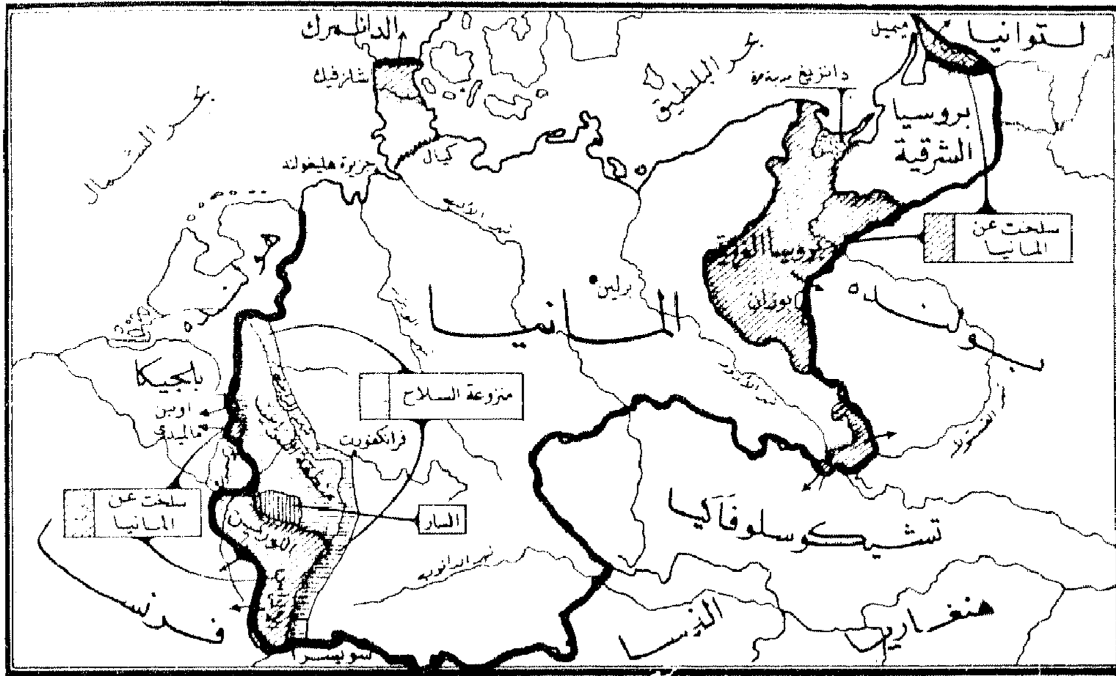
● برغم من محادثات الحكم الذاتي السلطات الفرنسية في تونس تعلن عن منع التجول في بعض المناطق التي ينشط فيها الثوار التونسيون.

٣٠ أيلول.

● صلاح سالم يزور السودان.

معاهدة فرساي ١٩١٩

سعيد كريدية



خارطة المانيا سنة ١٩١٩ وتظهر عليها المناطق التي سلخت عنها وفقاً لبنود معاهدة فرساي

● في عام ١٩١٨ انتهت الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء والدول الوسطى وأعلنت الهدنة. وفي ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٩ عقدت اجتماعات مؤتمر الصلح في باريس وانتهت في ١١ كانون الثاني عام ١٩٢٠. خلال هذا المؤتمر عقدت معاهدة فرساي بين المانيا من جهة والحلفاء من جهة أخرى في قاعة المرايا بقصر فرساي في ضواحي باريس وهي القاعة نفسها التي كان الالمان قد احتفلوا فيها باعلان امبراطوريتهم سنة ١٨٧١ أثر انتصارهم على فرنسا. لذلك سميت هذه المعاهدة بمعاهدة فرساي.

تتألف هذه المعاهدة من شقين، الأول انشاء عصبة الأمم والثاني الصلح مع المانيا. سنتناول في هذا المقال الشق الثاني من المعاهدة ويتضمن شروطاً اقليمية وشروطاً مالية واقتصادية، وشروطاً عسكرية.

الشروط الاقليمية:

أ في الغرب: سُلخت منطقتا الالزاس واللورين من المانيا واعطيتا لفرنسا.

ب: أعطيت منطقتا ماليدي Malme'dy وأوبن (Eupen) إلى بلجيكا.

ج: وضعت منطقة السار (Sear) الصناعية تحت ادارة عصبة الأمم، لمدة خمسة عشر عاماً، يجري في نهايتها استفتاء شعبي يقرر فيه سكانها مصيرهم السياسي.

ثانياً في الشمال: سلخ القسم الشمالي من مقاطعة شلزفيك وأعطي إلى الدانمرك.

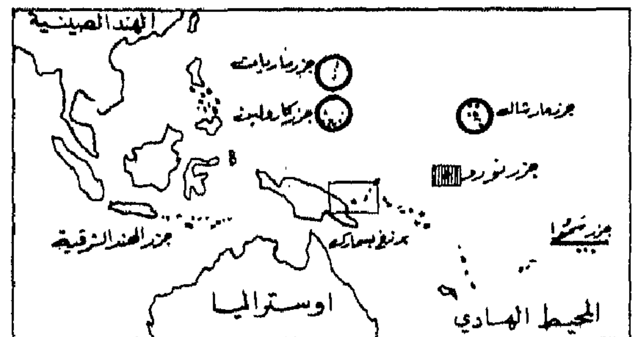
ثالثاً في الشرق: فصلت عن المانيا مناطق واسعة هي بروسيا الغربية وبوزان وقسم من سيليزيا وضمت إلى الدولة البولندية الجديدة كما أعطي قسم من سيليزيا أيضاً إلى تشيكوسلوفاكيا. وسلخت منطقة ميمل (Memel) عن المانيا وضمت إلى لتوانيا الدولة الحديثة وفصلت عنها منطقة دانزغ (Danzig) ومنحت نظاماً خاصاً تحت اشراف عصبة الأمم.

أما في الجنوب فلم يطرأ أي تعديل على الحدود نظراً لكون سويسرا محايدة اوالنمسا حليفة لألمانيا خلال الحرب.

كما جردت معاهدة فرساي المانيا من جميع مستعمراتها في العالم فأفريقيا الجنوبية الغربية التي تسمى اليوم ناميبيا، وضعت تحت انتداب اتحاد جنوب افريقيا. وتقاسمت فرنسا وبريطانيا التوغو والكمرون، ووضعت المستعمرات الألمانية الواقعة جنوبي خط الاستواء في المحيط الهادئ تحت الانتداب الاسترالي والنيوزيلندي وانتدبت اليابان المستعمرات الالمانية شمالي ذلك الخط.

كما قضت معاهدة فرساي بتدويل الممرات الرئيسية في المانيا وأهمها نهر الراين ونهر الالب ونهر الدانوب وقنال كيال.





المستعمرات الألمانية التي تقاسمها الحلفاء سنة ١٩١٩

الشروط العسكرية:

فرضت معاهدة فرساي على المانيا الغاء نظام التجنيد الاجباري وتخفيض عدد قواتها المسلحة إلى مئة الف جندي وضابط وحددت عدد قطع الاسطول بستٍ وثلاثين قطعة.

وحرم على المانيا صنع الأسلحة الثقيلة واقتناؤها كالغواصات والطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة ومنعت من انتاج الاسلحة الكيماوية كالغازات السامة وأجبرت على تصفية قاعدتها البحرية الكبيرة في جزيرة هليغولند (Heligoland) في بحر الشمال. كما نصت المعاهدة على اخضاع منطقة الراين للجيوش الحليفة لمدة خمسة عشر عاماً بعد تجريدها من السلاح الالماني.

الشروط المالية والاقتصادية:

طالب الحلفاء المانيا بدفع غرامة باهظة جداً تبلغ ٣٣ بليون دولار تعويضاً لخسائر الحرب وصادروا جميع سفن المانيا التجارية واستولوا على ممتلكاتها في الخارج. كما منحوا فرنسا حق استثمار مناجم الفحم في السار طيلة خمسة عشر عاماً تعويضاً لها عن التخريب الذي حصل في مناجمها الشمالية أثناء الاحتلال الالماني.

خسرت المانيا بهذه التعديلات في الحدود ٨٨ الف كلم مربع من أراضيها و٨ ملايين من أبنائها الذين تحولوا إلى اقليات عنصرية في الدول المجاورة. وكان لهذه المناطق بالاضافة إلى أهميتها الاستراتيجية أهمية اقتصادية كبيرة ففقدت المانيا من تلك الأراضي المسلوخة ١٥٪ من مواردها من الحديد الخام و ٦٨٪ من الزنك و ٢٦٪ من الفحم مما أدى إلى اضعاف الطاقة الالمانية للانتاج وساعد على شل معظم الاقتصاد.

كما أدت العقوبات الاقتصادية أيضاً إلى اضعاف قيمة المارك الالماني بعد الحرب إذ بلغت قيمة الدولار الأميركي عام ١٩٢٣ حوالي ٤و٢٠٠و٠٠٠و٠٠٠ مارك الماني.

وهكذا انتقم الحلفاء عامة وفرنسا خاصة من ألمانيا شر انتقام حتى أصبحت هذه المعاهدة سبباً جديداً من أسباب الخلاف والتوتر في أوروبا وعاملاً رئيسياً من العوامل التي هيأت الأسباب وأوجدت الظروف لاندلاع الحرب العالمية الثانية.

●

المراجع
Palmer, R.R.A History of the Modern World

تاريخ الشطرنج

محمد مراد بكر

المناوئون للشطرنج عبر التاريخ القديم

● كثيراً ما كتبنا وكتب غيرنا عن مؤيدي الشطرنج ومشجعيه عبر التاريخ وهم أكثر من أن يحصوا، ولكننا اليوم في مقالنا سنذكر بعض أهم من عادوا الشطرنج وحاولوا محاربته. منهم من ذكر السبب، ومنهم من لم يذكره، انما اغلبهم عزا ذلك للوقت المهدور، ناسيا ان اية لعبة تهدر الوقت، بينما هذه ولو هدرت الوقت فانها تنمي في اللاعب قوة التركيز والتخطيط والرؤيا البعيدة، إلى ما هنالك من ميزات يعرفها اللاعبون. ومنهم من عزا ذلك إلى انها تزيد من الاعتزاز بالنفس أو الفخر وما نظن ذلك ان صح سيئة مميتة، وآخرون عزوا ذلك إلى انها تشغل العقل وتتعبه، بينما يستطيع اللاعب ان يقوم خلال هذا الوقت وبهذا المجهود باعمال اخرى تدر عليه النفع، اذاً كلٌ رأي من زاويته، فرجل الدنيا رأى فيها ملهاة عن الصلاة، والحاكم رأى فيها هدراً للوقت هو احوج اليه بين اتباعه، إلى آخر ما هنالك. ونحن اذ نذكر ما وقع تحت ايدينا حول هذا الموضوع، نذكره للتعرف عن كل ما كتب، فالشطرنج عبر العصور ازداد انتشاراً ولم ينفع فيه منع أو مناوءة وقد لقي من المؤيدين ما لا حصر له، ويكفي ان نعرف ان رجال الدين هؤلاء عادوا فسمحوا للكهنة ان يلعبوا الشطرنج خفية لا أمام الجمهور، واليك بعض التفاصيل:

حكم الكاردينال بيير داميان مطران أوستي المتوفي سنة ١٠٧٢، على مطران فلورانس بتلاوة صلاة الندامة ثلاث مرات متتالية، وان يغسل ارجل اثني عشر فقيراً وان يدفع لكل منهم ما يقابل ديناراً بعملة اليوم. وكان الكاردينال داميان هذا، يعد الشطرنج من لعب الحظ.

فراين دي ترامبلاي في كتابه (كونفرساسيون مورال) يناهض كل الألعاب وخصوصاً الشطرنج، الأب فلوري يتحسر على الوقت المهدور لانهاء جولة، ويروى المقريزي ان الخليفة الحاكم في القاهرة أمر بجلد اشخاص عديدين في سنة ٤٠٣ للهجرة لانهم لعبوا الشطرنج في الأشهر الحرم.

جاك السادس ملك اسكتلندا أعطى تعليمات صارمة حتى يبعد ابنه عن لعبة الشطرنج.

الاستاذ الدومينيكي انغولد من القرن الرابع عشر الف كتاباً اسماه اللعبة الذهبية (له جودور)، يحوي سبع العاب شبهها بالخطايا السبع المميتة، أول هذه الألعاب كان الشطرنج، شبهه بلعبة الفخر والاعتزاز وذلك بنظره إحدى الخطايا المميتة.

لويس التاسع المدعو سان لويس، يقول عنه الكتاب الصادر في ليون ١٧٤٠ بعنوان (دراسة عن البوليس القديم) انه منع الشطرنج تحت طائلة العقاب، لان هذه اللعبة حسب رايه رزينة أكثر من اللازم وتتطلب جهداً يتعب العقل.

ميشال مونتاني المتوفي سنة ١٥٩٢ يقول في كتابه الأول (تجاربي) ما يلي: اني امقت الشطرنج لانه ليس لعبة عادية، انه ينسينا ما حولنا ويذهب بالوقت الذي

قد يسمح لنا بعمل شيء آخر. ويتابع فينتقد الكسندر الكبير في مقدونيا، لانه كان من هواة الشطرنج.

من يقرأ مجموعة القوانين الانكليزية الصادرة سنة ١٤٦٤ سيجد ان الملك ادوارد الرابع سن قانونا يمنع فيه ادخال الشطرنج إلى انكلترا.

مطران شارتر (جان بيتي دي ساريسبيري) المتوفي سنة ١١٨٢ يقول عن الشطرنج. ليس هناك اسوأ من ان يتعب الانسان لشيء لا يجديه نفعاً، إذ من الممكن استعمال هذا الوقت لشيء مفيد غيره. ويقول ج. ب. تيرس، في كتابه عن الألعاب الصادر في باريس ١٦٨٦، على المسيحيين ان يتجنبوا العاب التسلية التي تتعب الفكر مثل الشطرنج.

سنة ١١٢٥، هدد مطران غوي بطرد القسيسين الذين كانوا يلعبون الشطرنج خفية في المقابر. سنودس لانكر، حرم على رجال الدين ان يلعبوا الشطرنج الا نادراً، بينما سمح المندوب الكنسي في المكسيك سنة ١٥٨٥ لرجال الدين ان يلعبوا الشطرنج في غير الاماكن العامة على ان لا يصرفوا عليه مالاً كثيراً. بينما مطران باريس المتوفي سنة ١٢٠٨ منع تابعيه ان يقتنوا في بيوتهم رقعة شطرنج. ونحب ان نضيف هنا انه وجد في المسلمين من حارب الشطرنج ولن نتطرق إلى ذلك في هذا المقال ولكننا نذكر أن الامام الشافعي رحمه الله، كان يلعب الشطرنج استدباراً. أي دون أن يرى الرقعة وفي ذلك من الجواب ما يكفي.

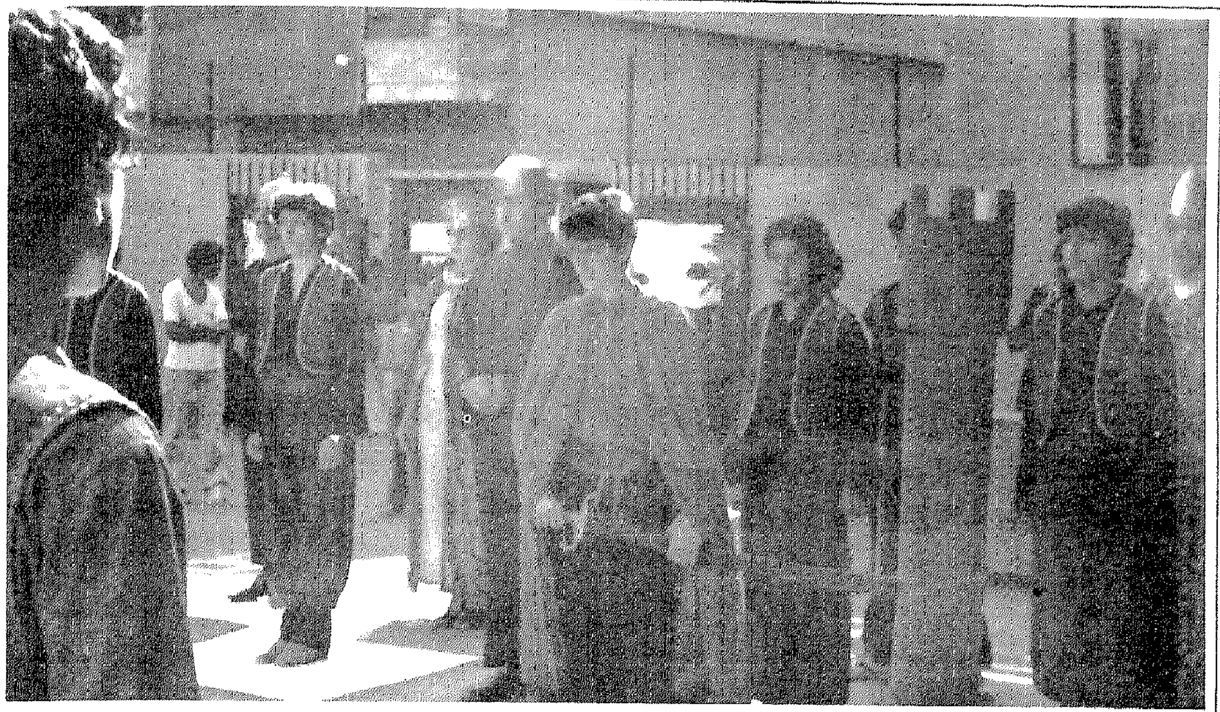
جولة حية في الشطرنج

اقامت المدرسة المعنية في بيروت باشراف ورعاية الاتحاد اللبناني للشطرنج في الرابع عشر من حزيران (مايو) من هذا العام جولة حية في الشطرنج كانت الأولى من نوعها في لبنان والثالثة بعد الجزائر وليبيا على ما نظن. وبهذه المناسبة نورد ما وقع تحت أيدينا في التاريخ حول أول جولة لعبت هكذا. ونعني بالجولة الحية ان يقوم أشخاص حقيقيون مكان احجار الشطرنج يلبسون ما يشير إلى نوع الحجر الذي يمثلون ويحركهم لاعبون من الخارج.

يروي رابليه في كتابه الخامس الفقرة ٢٤ و ٢٥ عن حفلة راقصة جرت. لبس الراقصون فيها ثيابا يقلدون فيها احجار الشطرنج. كما روى انه كان في



أشخاص حقيقيون مكان أحجار الشطرنج في دورة المدرسة المعنية في بيروت



... ومشهد آخر من المباراة.

قصر دون جوان النمسا (ابن شارل) غرفة رصعت ارضها بالمرمر الأسود والأبيض على شكل رقعة شطرنج.

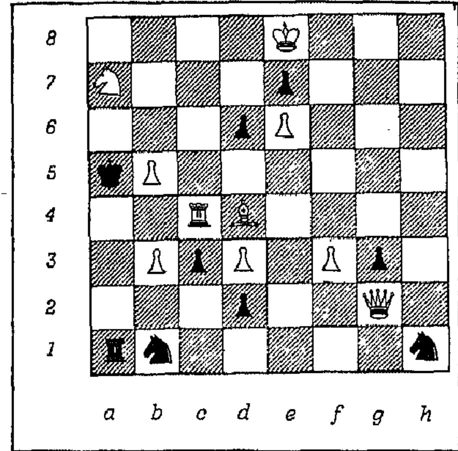
ويروي رينجياري سنة ١٥٥٤ و ١٥٥٥ عن جولة حية في الشطرنج. لعلها الأولى في التاريخ ويصف بيروبالد دي فيرفيل في كتابه لوحة الاختراعات الفنية سنة ١٦٠٠ جولة حية لعبها مواطنون امام ملكتهم وقد لبسوا ثيابا مزركشة تشبه احجار الشطرنج. وقد جرت هذه الجولة كما يصفها الكاتب على الشكل التالي:

دخل القاعة في البدء رجلان مقنعان يحملان معهما رقعة قماش كبيرة مخططة مثل رقعة الشطرنج. خانة بيضاء وبجوارها حمراء. الخانة هذه بقياس قدم ونصف طولا وعرضا. وبعد فرشها على الأرض وانسحاب المقنعين يبدأ الموسيقيون بالعزف على الكمان في الوقت الذي يدخل فيه اثنان بثياب مزركشة اسبانية (لعل ذلك مرده الاشارة إلى ان اوروبا عرفت الشطرنج من اسبانيا) يحمل كل منهما عصا طويلة وهما يرقصان الباليه بخطوات كبيرة. ثم يقفان من جهتي الصالة وجها لوجه.

وما ان يجلسا على كرسيهما حتى يدخل القاعة على نغم جديد ثمانية أولاد صغار يلبسون ثيابا تشبه الجنود ويمثلون البيادق في الشطرنج. وبعد رقص سريع مجنون يقومون ببعض التشكيلات الراقصة على نغم الباليه. ثم يقفون في اماكنهم المعروفة سلفاً. ثم يدخل الجنود الثمانية الاخرون بلبس مختلف. وبعد رقص استعراضي مختلف يقفون أيضاً في اماكنهم. ثم يدخل من يمثل الاحجار الأخرى كل لوحده وبنغم خاص به ثم يقف مكانه خلف البيدق. وبعد ان يدخل الفرسان والفيلة والرخ ويقف كل في مكانه. يتقدم الملك والملكة بهدوء ورزانة ليقف كل منهم في مركزه. هنا يتحرك الاسبانيان ويصعدان منصة خاصة بهما تعلو عدة درجات ثم تصدح الموسيقى خفيفة فيتمايل الجميع في اماكنهم. ويبدا الاسبانيان بمناداة الاحجار وتحريكها. فتنتقل وهي ترقص الباليه. فيؤسر حجر بعد حجر فيخرج من الرقعة حتى لا يبقى على الرقعة الا الاحجار الاربعة الكبار. (المقصود بهم على ما يظهر الملكان والوزيران) فينزل الاسبانيان عند ذلك ويدوران حول الرقعة بايقاع ثم يقفان أمام الجماهير للتحية وتنتهي هنا الجولة.

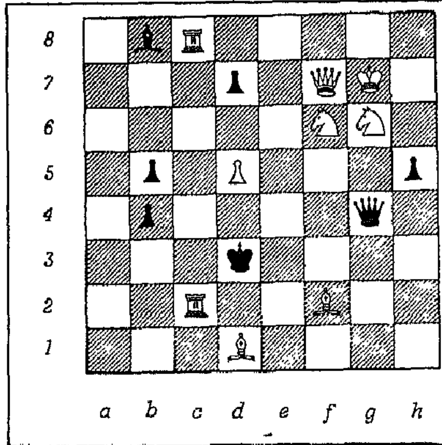
وتروي مجلة «له بافيير» سنة ١٨٤٣ عن حفلة راقصة مقنعة اقامها الملك تجرى خلالها جولة حية في الشطرنج يديرها نديما الملك وهما يلبسان ثيابا غنية مزخرفة.

المسالة رقم ٢١ مات بنقلتين



مسابقة الشطرنج رقم ١١

المسالة رقم ٢٢ مات بثلاث نقلات



حل المسابقة رقم ٩

المسالة رقم ١٧ المفتاح : 1 — é3

المسالة رقم ١٨ المفتاح : 1 — Cd6

اذا لعب الاسود Cg7 فسيرد الأبيض 2 — Cf4

واذا لعب الاسود Cg3 فسيرد الأبيض 2 — Cxç7

واذا لعب الاسود Cf6 فسيرد الأبيض 2 — Cg7

واذا لعب الاسود Cf4 فسيرد الأبيض 2 — Cd4

أما اذا لعب الاسود R × é6 فسيرد الأبيض 2 — Dg8+

والنقلة الثالثة يسهل رؤيتها في كل حالة.

ردود خاصة :

نشكر الصديق الأخ مصطفي البقالي على رسالته اللطيفة التي ندرجها فيما بعد وسنستجيب باذن الله لطلبه. انما ننتظر ديسمبر من هذا العام. اذ هناك وعد من اتحاد الامارات العربية باصدار كراس حول تاريخ الشطرنج في البلاد العربية سنحاول بعد صدوره ان نورد، تعميما للفائدة. في هذه المجلة، ما يتناسب وموضوعها.

كما وصلنا كتاب طويل من اتحاد الامارات العربية فيه شيء من تاريخ الشطرنج وكثير من الأعمال القيمة التي يقوم به الأخوان في الامارات نحتفظ به إلى يوم صدور كراسهم مع شكرنا لمن يكتب لنا حول هذا الموضوع. تاريخ الشطرنج في الدول العربية.

الفائزون :

الفائز في هذه المسابقة هو اللاعب جوزف الحايك من بجدرفل البترون وسترسل له جائزته اذا كان لا يستطيع الحضور لاستلامها من المجلة. ونود ان نشكر السيد حايك على عواطفه وعلى جهوده التي بذلها للوصول إلى كافة الحلول مع كافة الامكانات.

قسيمة الشطرنج

١١

مسقط وعمان

ميشال اسطفان

● سلطنة مستقلة تقع على شاطئ بحر العرب من جهة الشمال الشرقي من الجزيرة العربية ، ما بين خليج عُمان ، فمضيق هرمز ، فدولة الامارات ، فالربع الخالي (السعودية) ، فحضر موت ، فبحر عُمان. مساحتها ٢١٢٣٨٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها نحو مليونين ونصف المليون. عاصمتها مسقط ، وأشهر مدنها مطرح ومرباط وصور وصحار.

احتل الأتراك مسقط سنة ١٥٥١ على يد أمير البحر بيري ، لكنه عاد عنها فلم تخضع للسلطة العثمانية ، ولبثت منذ القرن الثالث عشر ، عشائرها من خارجيين وعباديين وغيرهم ، تتمتّع بنوع من الاستقلال الذاتي القبلي ، كل منها تحت سلطة أمام يجمعها ، إلاّ أن النفوذ البرتغالي دخل البلاد لفترة ، ثم النفوذ البريطاني ، لكن دون التأثير في الحكم الذاتي المحلّي.

وفي القرن الثامن عشر قامت في البلاد سلطنة «أبو سعيد» فبسطت سلطتها على معظم البلاد ، وامتد نفوذها إلى أفريقيا الشرقية ، وكانت المشيخات المتصالحة جزءاً منها إلى أن دخلت تحت الحماية البريطانية وفصلت عنها في أوائل الستينات.

وفي القرن التاسع عشر ، استكملت تكوينها كدولة مستقلة وارتبطت مع بريطانيا العظمى بمعاهدة سنة ١٨٩١ التي أكدتها بعدئذ بمعاهدة سنة ١٩٣٩ ثم أخيراً بمعاهدة ١٩٥١.

لم يكن يعكر هدوء البلاد غير عصيان أمام نزوة سنة ١٩١٥ واعلان انفصاله ، ثم قيامه بثورته المعروفة سنة ١٩٥٧.

من الملاحظ أن بلدان شواطئ بحر العرب ، يمنية وحضرموتيّة وعُمانية ، كانت في معظم مراحل التاريخ متباعدة عن مجرى التيارات المختلفة التي تدخل البلدان العربية الأخرى من ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية أو صناعية أو غير ذلك ، فلم تدخل تلك المناطق في الوقت نفسه ، وبالمدى ذاته ، مما أقام فروقاً كبيرة لا تخفى على المراقب ، وأدى بالنتيجة إلى انقلاب جاء بالادارة الحالية التي تبذل قصارى الجهد للحاق بقافلة التطور في دنيا العرب ، والتنسيق مع مختلف الدول العربية لاقامة المشاركة التي يجب أن تقوم بينها جميعاً بشكل فاعل.

الطوابع البريدية :

اما البريد فقد افتتح اعماله في مدينة مسقط بتاريخ أول ايار (مايو) سنة ١٨٦٤ بإدارة البريد الهندي ، واستعملت وقتئذ طوابع الهند البريطانية السارية في حينها لغاية أول كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧ ، ما عدا مجموعة تذكارية واحدة صدرت في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٤ ، لمناسبة الذكرى الستين لحكم آل بو سعيد ، بعد توشيحها «١٣٦٣ آل بو سعيد» على طوابع الهند البريطانية لسنة ١٩٣٧/٤١ و١٩٣٩/٤٣ (صورة ١) ، وعددها ١٥ طابعاً للبريد العادي و ١٠ طوابع للبريد الحكومي.

١٣٦٣
آل بو سعيد
١

وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٧ انتقلت اعمال البريد مؤقتاً إلى البريد الباكستاني بسبب تطور الوضع السياسي في المنطقة ولكن بقيت الطوابع الهندية البريطانية تستعمل في مسقط وعمان إلى أن صدرت في الباكستان في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر)

من السنة نفسها مجموعة من الطوابع الهندية مؤلفة من ١٥ طابعاً موشحاً بكلمة «باكستان» بالانكليزية وكانت تستعمل في الباكستان ومسقط وعمان ودبي وقطر.

وقبل وصول هذه المجموعة الموشحة إلى مسقط بفترة قصيرة، التبست على مدير البريد في مسقط الأمور، وتفهم خطأً أوامر عدة وصلته من كاراتشي، فأمر بتوشيح جميع ما لديه من طوابع هندية بكلمة «باكستان» بالانكليزية بأحرف مزخرفة، وقد تمّ التوشيح محلياً وباليد، ووضعت في البيع لمدة تسعة أيام فقط. ولا شك أن هذه الطوابع نادرة جداً لعدم معرفة كمية المستعمل منها.

في اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٨ انتقلت اعمال البريد ثانية في مسقط إلى الادارة البريطانية وبقيت لغاية نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٦. أما الطوابع التي كانت تستعمل في تلك الحقبة من الزمن، فهي الطوابع الانكليزية السارية في حينها من مجموعات الملك جورج السادس (اصدارات سنة ١٩٣٧ وما بعد)، ثم طوابع الملكة اليزابيت (اصدارات سنة ١٩٥٢ وما بعد)، بعد توشيحها بالعملة الهندية بالآنة والروبية، ثم بالنيابيزا والروبية كالآتي:

١) مجموعة عادية من تسعة طوابع صورة الملك جورج السادس (صورة ٢) ثم مجموعة من طابعين لذكرى اليوبيل الفضي للزواج الملكي، ثم مجموعة من أربعة طوابع لذكرى الالعاب الأولمبية العالمية لعام ١٩٤٨ ثم مجموعة من أربعة طوابع أيضاً للذكرى ال ٧٥ لاتحاد البريد العالمي لعام ١٩٤٩، ثم مجموعة عادية أخرى من سبعة طوابع صورة الملك جورج السادس صدرت سنة ١٩٥٠.

٢) أربع مجموعات صورة الملكة اليزابيت (صورة ٣)، منها مجموعة تذكارية لذكرى الملكة مؤلفة من أربعة طوابع صدرت بتاريخ ١٠ حزيران (يونيو) سنة ١٩٥٣، ثم صدرت ثلاث مجموعات ولكن بعد تغيير العملة إلى نيابيزا وروبية (صورة ٤)، صدرت الأولى بتاريخ اول نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٧ مؤلفة من ١١ طابعا، ثم مجموعة الكشاف العالمي مؤلفة من ثلاثة طوابع صدرت في اول آب (أغسطس) سنة ١٩٥٧، وأخيراً مجموعة عادية أخرى صدرت سنة ١٩٦٠ مؤلفة من ١٥ طابعاً من نيابيزا واحدة إلى ٥ روبيات.

وفي ٣٠ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٦ تسلمت سلطنة عمان أعمال البريد واصدرت في التاريخ نفسه اول مجموعة عادية مؤلفة من ١٢ طابعاً كالآتي: ٣ و ٥ و ١٠ و ١٥ و ٢٠ و ٢٥ و ٣٠ و ٥٠ روبيّة وواحد و ٢ و ٥ و ١٠ روبية صورة (٥، ٦، ٧).

وفي أول كانون الثاني (يناير) صدرت أول مجموعة تذكارية لمناسبة أول شحنة بترول تمّت في شهر تموز (يوليو) مؤلفة من أربعة طوابع مختلفة الصور (صورة نموذج واحد ٨)، ثم تلتها بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٠ مجموعة عادية بالعملة الجديدة من ٥ بيه إلى ١٠٠ بيه و١/٤ و١/٢ وريال واحد، تحمل صور ورسوم المجموعة المصورة الأولى (اصدار ٣٠ نيسان (ابريل ١٩٦٩).

وبتاريخ ٢٣ تموز (يوليو) سنة ١٩٧٠ تسلّم الحكم السلطان قابوس بن سعيد بن تيمور، وأعلن بتاريخ ٩ آب (اغسطس) سنة ١٩٧٠ توحيد اسم البلاد بسلطنة عُمان ثم أمر بتوشيح جميع الطوابع بذلك (صورة ٩ و ١٠ و ١١)، وصدرت أول مجموعة بالتوشيح المذكور بتاريخ ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧١ على المجموعة المصورة الأخيرة (اصدار ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٠، ثم تلتها مجموعات عادية وتذكارية مختلفة إلى يومنا هذا.

أخبار الطوابع الحديثة

تسلّمنا بكل سرور من الأستاذ محمد دلول المدير العام للمؤسسة العامة للبريد السوري نماذج عن الاصدارات السورية لعام ١٩٧٩ وهي كالآتي:



٢



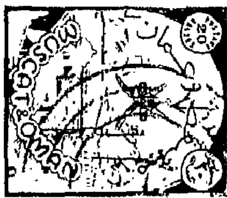
٣



٤



٥



٦



٧



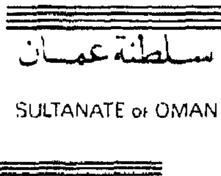
٩



١٠



٨



١١

١ – الحركة التصحيحية – طابع واحد فئة ٦٠ قرشاً (صورة أ)

٢ – التمييز العنصري – طابع واحد فئة ٣٥ قرشاً (صورة ب).

٣ – حقوق الانسان – طابع واحد فئة ٦٠قرشاً (صورة ج)

٤ – ذكرى الثامن من آذار – طابع واحد فئة ١٠٠ قرش (صورة د)

٥ – الذكرى المئوية الثامنة لوفاة ابن رشد – طابع واحد فئة ١٠٠ قرش (صورة هـ).

نشكر الأستاذ دلول على هذه المبادرة الطيبة لخدمة الهواة ونأمل أن نتسلم باطّراد أخبار الاصدارات المقبلة مسبقاً، استكمالاً للفائدة.



أ



ب



ج

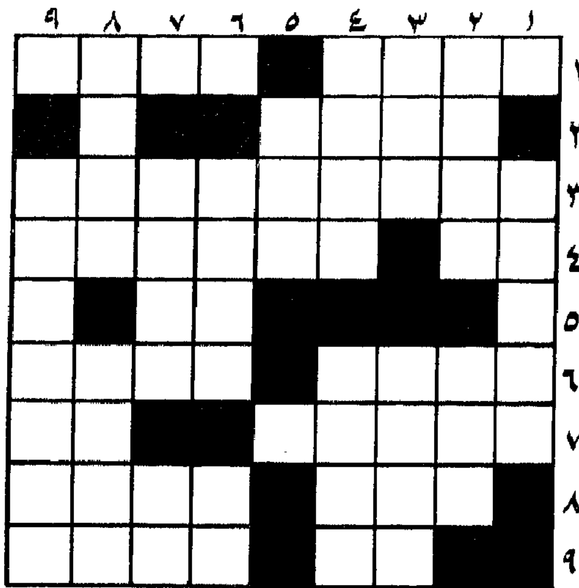


د



هـ

مسابقة العدد



افقياً :

(١) بائع الخمر (معكوسة). أراضي فيها ملح لا تنبت (معكوسة).
(٢) ذو صوف (معكوسة).
(٣) بلد عربي.
(٤) بئر قديمة. التشاؤم (معكوسة).
(٥) متشابهان.
(٦) برزا (معكوسة). مدينة عربية.
(٧) بحيرة في فلسطين. وذ (معكوسة).
(٨) بلد عربي. ضد أكثر.
(٩) حديدة في أسفل الرمح أو العصا للطعن. أعمى من مولده (معكوسة).

عمودياً :

(١) مدينة عربية.
(٢) مدينة قديمة في آسيا الصغرى تقع انقاضها على بحر أيجه واليها وجه القديس بولس إحدى رسائله. بلد عربي
(٣) صفة الممتلئ غضباً. اسم مضيق عربي.
(٤) خياطون. بلدة في فلسطين (معكوسة).
(٥) اسم لمدينة يوجد منها في قطرين عربيين.
(٦) مجندل (معكوسة). للتأوه.
(٧) مدينة عربية. مدينة ايرانية.
(٨) مؤذن الرسول. مدينة على شط العرب (معكوسة).
(٩) مكة والمسجد الأقصى (معكوسة).

حل مسابقة العدد التاسع

افقياً :

١ – عدن، جامعة.
٢ – ل، بيحان.
٣ – المكلا (معكوسة)، نا.
٤ – ضب، ن، م، ل.
٥ – لن، حقيبة (معكوسة).
٦ – اسقطرا، مو.
٧ – شعيب، رش.
٨ – باب المندب (معكوسة).
٩ – رب، ن، نجني.

عمودياً :

١ – الضالع (معكوسة)، بر.
٢ – د، سنبل (معكوسة)، دب.
٣ – بنك، قش.
٤ – يمن، نمط (نطعم مبعثرة)
٥ – لحج (معكوسة)، ليرة (معكوسة).
٦ – ١١١١، بابان.
٧ – نم (معكوسة)، يم (معكوسة)، جب (معكوسة).
٨ – ع، ن، قران.
٩ – ة، الحوشبي.

الفائزون :

الفائز الأول: سعيد الدايم، عمان، المملكة الاردنية الهاشمية. (مئة ليرة لبنانية)

الفائز الثاني: سامي الشامي، الجامعة اللبنانية، الفرع الأول، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدراسات العليا–بيروت اشتراك سنة في المجلة.

«يرجى من السيد سامي الشامي الاتصال برئاسة التحرير».

مسابقة الطوابع ١١

البروج الفلكية

منى شنير



العذراء

(٢٤ آب - أغسطس
٢٣ أيلول - سبتمبر)

● يرمز إلى برج العذراء بصورة فتاة جميلة هي آية من البراءة والوداعة. وفي الأساطير المصرية القديمة يرمز إليها بالآلهة «إيزيس» زوجة «أوزيريس». ويقال أنها تحمي الأمهات والأطفال ووحدة الأسرة. ومعروف أن هذه الأساطير نفسها تروي أن إيزيس إضطرت هرباً من الأعصار «تيفون» أن ترمي حزمة الذرة التي كانت في حوزتها فتحولت بالتالي حبيبات الذرة إلى ما يعرف اليوم باسم المجرات

ومن الطريف أن قدامى المصريين رمزوا إلى هذا البرج بإمرأة تحمل بيدها سنبلة قمح وهذا ما نجده مرسوماً في سقف بهو الأعمدة في معبد دندرة الفرعوني وهو معبد لاله هاتور إله الحب والجمال.

أما علماء العرب - المسلمين فأطلقوا على برج العذراء إسم «السنبلة» ويعرف إلى اليوم بهذا الاسم في بعض الأوساط.

إن مواليد برج العذراء ينجحون عادة في الأعمال الدقيقة والحساسة. وهذا الأمر هو من طبيعتهم الثانية. وهم أيضاً يتصفون بالبراءة والنقاوة ويهتمون كثيراً بأمور الصحة والتغذية والحمية. عندهم رغبة ملحة في خدمة الغير دون إظهار ذلك بشكل علني وذلك بسبب طبيعتهم الإجتماعية الموصوفة بالتردد والخجل.

يمتاز أصحاب هذا البرج بمزاج عصبي حاد مما يبدد الكثير من طاقتهم وهذا ما يفسر تشددهم في الأمور الدقيقة. وعدم إستطاعتهم وضع الأمور في نصابها. وهم مع ذلك يتميزون بمنطق تحليلي وأسلوب مرن في التعامل مع الناس في أكثر الأمور دقة. وأخيراً فإن إندفاعهم في المساعدة غير المعلن عنها للأصدقاء والمعارف تجعلهم محاطين بالعديد من المقربين والمخلصين.

إستناداً إلى أبحاث العلماء فإن برج العذراء له تأثير مباشر في ناحيتين محدودتين في الجسم البشري هما الجهاز العصبي والأمعاء.

من الشخصيات العالمية المشهورة في القديم والحديث والمولودة تحت برج العذراء نذكر:

الملكة إليزابث الأولى. الجنرال الفرنسي لافاييت (١٧٥٧ - ١٨٣٤). عميل بريطانيا في العالم العربي توماس أ. لورنس. الماريشال البريطاني مونتغمري أيام الحرب العالمية الثانية رجل الدولة الفرنسي ريشوليو الكاتب الروسي تولستوي. الكاتب الإنكليزي ه. ج. ويلز هنري فورد الثاني. الممثلة السويدية إينغريد برغمان. الفنان الفرنسي موريس شوفالييه. الممثلة السويدية الأصل غريتا غاربو ●

■ مياهُ الليطاني : مَطامِح صهيُونية قديمَة
(راجع مقالة : الصهيونية فكرة خرافية ..)

